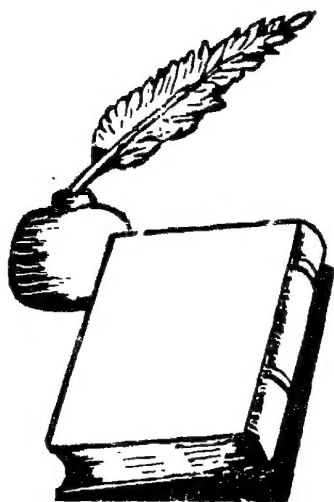


موسوعة التاريخ الإسلامى

٢

الدولة الأموية
والحركات الفكرية والثورية خلالها



تأليف
الدكتور أحمد شلبى
دكتوراه من جامعة كامبردج

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
والعائز لوسام « العلوم والفنون » من الطبقة الأولى
لكتاباته فى التاريخ الإسلامى والعقيدة الإسلامية

مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى - القاهرة



مَوْشَوَعِيَّةٌ

التاريخ الإسلامى

٠١٣٥٨

وأعضارة الإسلامية

٩٥٩.٥٩٣

٥٧١

٢٠١٥

١٩٧٢

دراسة تحليلية شاملة في عشرة أجزاء لتاريخ العالم الإسلامى كله من مطلع الإسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم بها المسلمون فى ترقية العمران وتطوير الفكر البشرى

٣

الدولة الأموية

والحركات الفكرية والثورية خلالها

تأليف

الدكتور أحمد رشيدى

الهيئة العامة للكتاب

دكتوراه من جامعة كمبردج
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الطبعة السابعة ١٩٨٤

مع زيادات واسعة وبخاصة عن الإسلام والفريق



٩٥٩.٥٩٣

٢٠١٥

١٥٩٤

الناشر
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

التاريخ

شعاع من الماضي ينير الحاضر والمستقبل .

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠

الطبعة الثانية سنة ١٩٦٦

الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٩

الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٢

الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٨

الطبعة السادسة سنة ١٩٨٢

الطبعة السابعة سنة ١٩٨٤

خطة البحث في هذه الموسوعة

ان خطة البحث التي اتبعها في كتابة « التاريخ الاسلامى » خطة جديدة ومريحة ، ويسرنى ان ابرزها في التخطيط التالى ليعرف القارىء عنها ، وليسهل عليه متابعتها :

| | | |
|--------------------|-----|--|
| دراسة زمنية في هذه | ج ١ | العرب قبل الاسلام — السيرة النبوية العطرة — عصر الخلفاء الراشدين |
| الاجزاء الثلاثة اذ | ج ٢ | الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها |
| ان العالم الاسلامى | ج ٣ | الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الاول ودور المسلمين خلاله فى خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية |
| وحدة واحدة . | | |

ثم دراسة مكانية (قطاعات جغرافية) فى الاجزاء الخمسة التالية لأن العالم الاسلامى انقسم الى دويلات كثيرة ، ويشمل كل جزء من هذه الاجزاء قطاعا من العالم الاسلامى ، بحيث يتناول تاريخه من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر مبتدئين من الغرب ومتجهين الى الشرق كالتخطيط التالى :

| الجزء الثامن | الجزء السابع | الجزء السادس | الجزء الخامس | الجزء الرابع |
|--|---|---|--|--|
| والاتحاد السوفيتى والهند والفلبين وسنغافورة . | الامارات العربية — قطر — البحرين — الكويت — العراق | الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق من مطلع الاسلام حتى الآن . | الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخلها الاسلام حتى الآن : | الأنطلس الاسلامية وانتقال الحضارة الاسلامية منها الى أوروبا |
| التاريخ الاسلامى للدول الاسلامية غير العربية بآسيا : | البحرين — جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، دولة الامارات العربية — قطر — البحرين — الكويت — العراق | موريتانيا — السنغال — جامبيا — غينيا — مالي — النيجر — نيجيريا — تشاد — السودان — الصومال | الحروب الصليبية : دوافعها — ادوارها — نتائجها | المغرب — الجزائر — تونس — ليبيا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر |
| ايران — أفغانستان — الباكستان — بنغلاديش — ماليزيا — اندونيسيا — الفلبين — اندونيسيا — اندونيسيا | | دراسة عن — وسائل انتشار الاسلام بقلب افريقية . | مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر | السفوسية : مبادئها وتاريخها |
| | | الدول الاسلامية الحالية : | الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ ظهورها حتى الآن | |

ونختم الموسوعة بدراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصرة :

| |
|---|
| الجزء التاسع : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : عصر محمد نجيب وعصر عبد الناصر |
| الجزء العاشر : ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم : عصر محمد انور السادات |

كتب للمؤلف

أولا : موسوعة التاريخ الاسلامى

دراسة تحليلية شاملة في عشرة أجزاء لتاريخ العالم الاسلامى كله
من مطلع الاسلام حتى الآن ، مع دراسة الجوانب الحضارية التى أسهم
بها المسلمون في ترقية العمران ، وتطوير الفكر البشرى :

١ — الجزء الأول : (الطبعة الحادية عشرة)

— مقدمة الموسوعة : نطاق التاريخ الاسلامى — تفسير التاريخ — دل
التاريخ علم ؟ .. فلسفة التاريخ — فائدة التاريخ — مراحل
تدوين التاريخ — قضية الالتزام في كتابة التاريخ الاسلامى
— علم التاريخ بين المسيحية والاسلام ...
— تاريخ العرب قبل الاسلام : البدو والحضر — حياة العرب السياسية
والاقتصادية والاجتماعية .

— السيرة النبوية العظيمة : جوانب من السيرة تدون لأول مرة
— الدعوة الاسلامية وفلسفتها — عصر الخلفاء الراشدين

٢ — الجزء الثانى : (الطبعة السابعة)

الدولة الاموية والحركات الفكرية والثورية في عهدها .

٣ — الجزء الثالث : (الطبعة السابعة)

الخلافة العباسية مع اهتمام خاص بالعصر العباسى الاول ، وبدور
المسلمين في خدمة الدراسات الاسلامية والحضارة العالمية .

٤ — الجزء الرابع : (الطبعة السادسة)

— الاندلس الاسلامية ، وانتقال الحضارة الاسلامية الى اوربا عن
طريقها .

— المغرب — الجزائر — تونس — ليبيا (من مطلع الاسلام حتى
المهد الحاضر) .

— السنوسية : مبادئها وتاريخها .

٥ — الجزء الخامس : (الطبعة السادسة)

— مصر وسوريا من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر .
— الحروب الصليبية : دوافعها — ادوارها — نتائجها .
— الامبراطورية العثمانية (تركيا) منذ نشأتها حتى الآن .

٦ — الجزء السادس : (الطبعة الثالثة)

الاسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء افريقية منذ دخولها
الاسلام حتى الآن :

- دراسة عن وسائل انتشار الاسلام :
- مراكز الشمال — هجرات عربية وغير عربية — التجار — الطرق
- الصوفية — مراكز داخلية .
- الدول الاسلامية قبل الاستعمار الاوربي :
- غانة — مالي — صغنى — دول الهرسا — برنو — باجــرسى —
- واداي — الفونج — مقدشو — مملكة الزنج .
- الدول الاسلامية الحالية :
- موريتانيا — السنغال — جامبيا — غينيا — مالي — النيجر —
- نيجيريا — تشاد — السودان — الصومال — جيبوتي .

٧ — الجزء السابع : (الطبعة الثالثة)

الاسلام والدول الاسلامية بالجزيرة العربية والعراق :

- دول الجزيرة العربية من مطلع الاسلام حتى الآن :
- المملكة العربية السعودية — اليمن — جمهورية اليمن الجنوبية —
- عمان — دولة الامارات العربية — قطر — البحرين — الكويت .
- العراق من مطلع الاسلام حتى الآن .

٨ — الجزء الثامن : (الطبعة الثانية)

الاسلام والدول الاسلامية غير العربية بآسيا من مطلع الاسلام حتى
الآن :

- ايران — افغانستان — الباكستان — بنجلاديش — ماليزيا — اندونيسيا
- الاقليات الاسلامية في الهند والصين وروسيا والفيليبين ..

دراسات تفصيلية عن تاريخ مصر المعاصر

٩ — الجزء التاسع : (الطبعة الثالثة)

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم . عصر محمد نجيب وعصر جمال
عبد الناصر (عصر المظالم والهزائم) .

١٠ — الجزء العاشر :

ثورة ٢٣ يوليو من يوم الى يوم ، عصر انور السادات . (عصر النجاح
في الشئون الخارجية والفشل في الشئون الداخلية) .
(ترجمت أكثر أجزاء هذه الموسوعة لعدة لغات)

كتب المؤلف

ثانيا : موسوعة النظم والحضارة الاسلامية

دراسة تحليلية شاملة في عشرة اجزاء ، تبرز الاتجاهات الحضارية التي جاء بها الاسلام لهداية البشرية في شئون العقيدة ، والسياسة ، والاقتصاد ، وفي مجال الحياة الاجتماعية والتربوية والعسكرية ، والتشريعية والقضائية ، كما تبرز جهود المسلمين في الحضارة التجريبية ،

واجزاؤها هي :

١١ — الجزء الأول : تاريخ المهامج الاسلامية (الطبعة الثالثة)

مهامج التطعيم في صدر الاسلام — انحرافاتهما في عصور الظلام — وجوب تصحيحها .

١٢ — الجزء الثاني : الفكر الاسلامي : منابعه وآثاره (الطبعة السادسة)

١٣ — الجزء الثالث : السياسة (الطبعة السادسة)

في الفكر الاسلامي

مع المقارنة بالنظم السيلسية المعاصرة .

١٤ — الجزء الرابع : الاقتصاد (الطبعة السادسة)

في الفكر الاسلامي

مع المقارنة بالنظم الاقتصادية المعاصرة . ومع دراسة شاملة للنقاط التالية :

- ١ — الاسلام والمسلمون في مواجهة المشكلة الاقتصادية .
- ٢ — مبادئ الاسلام الاقتصادية .
- ٣ — الاسلام والقضايا الاقتصادية الحديثة (شهادات الاستثمار ...) .
- ٤ — من تاريخ الاقتصاد في الاسلام (بيت المال : موارده ومصارفه ...) .
- ٥ — النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور واثار الفكر الاسلامي فيها .

١٥ - الجزء الخامس : التربية الإسلامية (الطبعة الثامنة)

نظمها - تاريخها - فلسفتها

دراسة عميقة وشاملة لفلسفة التربية عند المسلمين ، ولناهج التعليم وأمكنته ، وحالة المدرسين المالية والاجتماعية ، والإجراءات العلمية ، والعقوبات ، والجوائز ، والمكافآت ، وملابس المدرسين ، ونقابة المعلمين ، وتكايف الفرص بين التلاميذ ، وتوجيههم حسب مواهبهم ..

١٦ - الجزء السادس : المجتمع الإسلامي (الطبعة السادسة)

أسس تكوينه .. أسباب ضعفه .. وسائل نهضته

١٧ - الجزء السابع : الحياة الاجتماعية (الطبعة الثالثة)

في الفكر الإسلامي

- في نطاق الأسرة : كالختان وتحديد النسل وعمل المرأة ...

- وفي نطاق المجتمع : كالأفراح والمآتم والموسيقى والفناء ...

١٨ - الجزء الثامن : تاريخ التشريع الإسلامي (الطبعة الثالثة)

وتاريخ النظم القضائية في الإسلام

مع بحوث واسعة عن القرآن الكريم : المصدر الأول للتشريع

ومع دراسة شاملة لمصادر التشريع الأخرى

١٩ - الجزء التاسع : الجهاد والنظم العسكرية (الطبعة الثالثة)

في الفكر الإسلامي

بحث علمي يبرز موقف الإسلام من السلم والحرب ، كما يبرز اتجاهات الإسلام في مشكلات الحرب كالاستعداد للجهاد ووسائله ، وأخلاق الجهاد ، والخديعة في الحروب ، والثبات والفرار ، والرباط ، والتجسس والخيانة ، والهدنة والأسرى ..

٢٠ - الجزء العاشر : رحلة حياة (الطبعة الثالثة)

تجربة تعرض مجموعة من قضايا الحضارة الإسلامية

كتب المؤلف

ثالثا : مقارنة الأديان

سلسلة من الكتب في مقارنة الأديان ، تعتمد على أدق المراجع
بمختلف اللغات ، وتمتاز دراستها بالحيدة والعمق وتشمل :

٢١ — الجزء الأول : اليهودية : (الطبعة السابعة)

— دراسة لثتى المسائل اليهودية : اليهود في التاريخ من عهد
ابراهيم حتى الآن : الصهيونية ، أنبياء بني اسرائيل ، عقيدة بني اسرائيل ،
يهوه اله بني اسرائيل ، التعدد والتوحيد في الفكر اليهودي ، التابوت والهيكل ،
الكهنة والقرايين ...

— مصادر الفكر اليهودي : العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء
صهيون .
— اليهود في الظلام : الماسونية ، والروتاري ، الاغتيال ، التجسس ،
البلية والبهائية .
— من صور التشريع في اليهودية .

٢٢ — الجزء الثاني : المسيحية : (الطبعة السابعة)

— المسيح والمسيحية في نظر المسلمين واليهود والمفكرين الغربيين والكنيسة .
— بولس واضع المسيحية الحالية ، التثليث ، صلب المسيح للتكفير عن
خطيئة البشر .
— شعائر المسيحية ، المصادر الحقيقية للمعتقدات المسيحية ، المجامع ،
طبيعة المسيح والآراء فيها ، الطوائف المسيحية ، الرهبنة والاديرة ، خرافة
ظهور العذراء في كنيسة الزيتون ، حركة الاصلاح الديني ونتائجها ونقدها .

٢٣ — الجزء الثالث : الاسلام : (الطبعة السابعة)

— الله في التفكير الاسلامي ، النبوة في التفكير الاسلامي ، غير المسلمين
في المجتمع الاسلامي ، الدين المعاملة ، المرأة في الاسلام ، الرق وموقف الاسلام
منه ، السيلامة والاقتصاد في الاسلام .

٢٤ — الجزء الرابع : اديان الهند الكبرى : (الطبعة السابعة)

« الهندوسية — الجينية — البوذية »
— تقديم عن : جغرافية الهند ، سكان الهند ، اللغات في الهند ، الأديان
في الهند .
— دراسة الكتب المقدسة الهندية : الويدا : مهابهارتا : يوجاواسستها ،
كيتا .
— أهم المعتقد الهندية : الكارما والتناسخ ، الانطلاق والنرفانا ، وحدة
الوجود .
— تاريخ الهندوسية والجينية والبوذية وتاريخ واضعها .

كتب المؤلف

رابعاً : كتب في الثقافة العامة وكتب بلغات أجنبية

٢٥ — كيف تكتب بحثاً أو رسالة (الطبعة السابعة عشرة)

دراسة منهجية لكتابة البحوث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراه

كتابان باللغة الانجليزية هما :

٢٦ — ISLAM : Belief - Legislation - Morals
٢٧ — History of Muslim Education
مكتبة النهضة المصرية

وكتب باللغة الانونيسية والماليزية :

| | | |
|---------------------------------|---|----------|
| Pustaka National (Singapore) | negaraN dan Pemerintahan Dalam Islam | — ٢٨ |
| | Masjarakat Islam | — ٢٩ |
| | Hukum Islam | — ٣٠ |
| | Sedjarah dan Kebudajaan Islam | 1 — ٣١ |
| | Sedjarah dan Kebudajaan Islam | 11 — ٣٢ |
| | Sedjarah dan Kebudajaan Islam | 111 — ٣٣ |
| | Perbandingan Agama (Jahudi) | — ٣٤ |
| | Perbandingan Agama (Masihi) | — ٣٥ |
| | Perbandingan Agama (Islam) | — ٣٦ |
| | Perbandingan Agama (Agama2 yang | — ٣٧ |
| | Terbesar di India : Hindu-Jaina-Buddha) | |
| | Sadjarah Pendidikan Islam | — ٣٨ |
| | Politik dan Ekonomi Dalam Islam | — ٣٩ |
| | Kehidupan Social Dalam Pemikiran Islam | — ٤٠ |
| | Perkembangan Keagamaan Dalam Islam | — ٤١ |
| | dan Masehi | |
| | Perang Salib | — ٤٢ |
| | Kurikulum Islam Dalam | — ٤٣ |
| | Perkembangan Sedjarah | |
| | Pengajian Al Quraan | — ٤٤ |
| | Sedjarad Kehakiman Dalam Islam | — ٤٥ |

كتب المؤلف

خامسا : المكتبة الاسلامية لكل الأعمار

١٠٠ جزء من سير عظماء الاسلام ومن التاريخ والحضارة
وقصص القرآن للأولاد والشباب والسيدات والرجال
ظهر منها الأجزاء التالية :

المجموعة الأولى : السيرة النبوية العطرة :

- | | |
|------|---|
| ج ١ | محمد قبل البعثة |
| ج ٢ | من غار حراء .. الى غار ثور (قصة الاسلام في مكة) |
| ج ٣ | الاسراء والمعراج : دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات . |
| ج ٤ | الهجرة للمدينة ووسائل الاستقرار بها |
| ج ٥ | الرسول الداعية ومربي الدعاة |
| ج ٦ | الرسول في بيته : أزواجه — أولاده واحفاده — خدمه |
| ج ٧ | الرسول في بيته : مشكلات الحياة في بيت الرسول وكيف عالجهما |
| ج ٨ | الرسول بين أصحابه — الرسول يربي الفرد المسلم ويربى المجتمع الاسلامي |
| ج ٩ | الرسول يربي القضاة ، ويربى القوة العسكرية ، ويربى الولاة والحكام |
| ج ١٠ | الرسول والشباب — الرسول والعمل |
| ج ١١ | توجيهات طبية يقدمها الرسول — مكرامات للرسول — الرسول والمنافقون |
| ج ١٢ | الرسول والنصارى — الرسول واليهود |
| ج ١٣ | الاسلام والقتال ، وهل انتشر الاسلام بالقوة او بالدعوة — غزوة بدر ودراسات جديدة حولها — أهم أحداث غزوة بدر |
| ج ١٤ | غزوة احد والهزيمة التي اخافت المنتصر — غزوة الأحزاب وكلمة عن سلمان الفارسي |
| ج ١٥ | صلح الحديبية — كتب الرسول للملوك والرؤساء — غزوة مؤتة وبداء الصراع ضد الروم . |
| ج ١٦ | فتح مكة — غزوة حنين والطائف — غزوة تبوك — الفترة الأخيرة في حياة الرسول |

المجموعة الثانية : العشرة المبشرون بالجنة :

- ج ١٧ (١) أبو بكر الصديق : حياته وعصره والمشكلات التي واجهها
ج ١٨ (٢) عمر بن الخطاب والتوسع في عهده — عمر باتى الدولة
الاسلامية
ج ١٩ (٣) عثمان بن عفان والفتنة في عهده
ج ٢٠ (٤) على بن أبى طالب : شخصيته وحياته والمشكلات التي
واجهها
ج ٢١ (٥) طلحة بن عبيد الله (٦) الزبير بن العوام
ج ٢٢ (٧) سعد بن أبى وقاص (٨) ابو عبيدة بن الجراح
ج ٢٣ (٩) عبد الرحمن بن عوف (١٠) سعيد بن زيد بن عمرو

المجموعة الثالثة : دراسات قرآنية :

- ج ٢٤ نظرة عامة للقرآن الكريم — طريقة الوحي — نزول القرآن
وتدوينه — أسماء السور وترتيبها — قراءات القرآن — فضائل
القرآن — القرآن والعلم — فضائل قراءة القرآن وحكم
التطريب في أدائه والتكسب به .
ج ٢٥ خصائص القرآن والأصول التي جاء بها لخير الناس في الدنيا
والآخرة — اعجاز القرآن ومظاهر الاعجاز — معجزات
الرسل في ميدان المقارنة .
ج ٢٦ غير العرب والاعجاز البلاغى للقرآن — وجوه الاعجاز في
القرآن — مواجهة واقعية بين العرب والقرآن — التكرار
في القرآن : أسرارده واعجازه .

المجموعة الرابعة : من قصص القرآن الكريم :

- ج ٢٧ دراسات عن القصص في القرآن — قصة أصحاب الكهف .
ج ٢٨ قصة الرجلين والجنين — قصة ذى القرنين ويأجوج
ومأجوج .
ج ٢٩ قصة موسى والخضر — قصة أصحاب الجنة .
ج ٣٠ قصة عزيز — قصة أيوب عليه السلام
ج ٣١ قصة قارون — قصة أصحاب الأخدود .
ج ٣٢ قصة اسماعيل عليه السلام .
ج ٣٣ قصة يوسف عليه السلام .
(الأجزاء التالية ستظهر تباعا ان شاء الله)

(لم تدخل أعداد « المكتبة الاسلامية » ضمن العدد الخاص بكتب المؤلف)

كتب للمؤلف

سادسا : تعليم اللغة العربية لغير العرب

وقواعد اللغة العربية

- برنامج شامل ميسر لتعليم اللغة العربية بكل فروعها لغير العرب .
- أول سلسلة من نوعها في المكتبة العربية تبلا هذا الفراغ .
- دراسات شاملة سهلة لتواعد اللغة العربية من نحو وصرف .
- تضم هذه السلسلة الكتابين التاليين :

٤٦ — تعليم اللغة العربية لغير العرب : (الطبعة الثالثة)
يبدأ هذا الكتاب من المرحلة الأولى : مرحلة الهجاء ، ويتطور للقراءة ،
فالتعبير ، فالاملاء ، فالخط والنصوص ، ثم يقفز بالطالب الى مرحلة متقدمة
في القراءة والحادثة والكتابة ، مستعملا في هذه المرحلة موضوعات جذابة من
الفكر الاسلامي والعربي اختيرت من امهات الكتب العربية ثم صيغت في أسلوب
مناسب ، مع أسئلة وتمارين مفيدة .

٤٧ — قواعد اللغة العربية والتطبيق عليها : (الطبعة الثالثة)
عرض لجميع أبواب النحو العربي بطريقة تربوية سهلة
ودراسة واضحة لاهم أبواب الصرف

هذا الكتاب ضروري للمثقف العربي وغير العربي

كتب نفدت ولن يعاد طبعتها

- ٤٨ — في قصور الخلفاء العباسيين :
أكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٣ من هذه القائمة .
- ٤٩ — مصر في حربين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) دراسة مقارنة :
وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ٩ من هذه القائمة .
- ٥٠ — الحكومة والدولة في الاسلام :
وأكثر مادة هذا الكتاب تضمنها الكتاب رقم ١٣ من هذه القائمة .
- ٥١ — الاشتراكية : دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحي :
- ٥٢ — النظم الاقتصادية في العالم عبر العصور وأثر الفكر الاسلامي فيها .
وأكثر مادة هذين الكتابين تضمنها الكتاب رقم ١٤ من هذه القائمة .

محتويات الكتاب

| الصفحة | الموضوع |
|----------|--|
| | |
| | مقدمة الطبعة الأولى — الدولة الأموية (تاريخ يحتاج الى |
| ٢٤ — ١٧ | انضمام (|
| ٢٥ | مقدمة الطبعة الثانية |
| ٢٦ | في التقديم للطبعات التالية |
| | الدولة الأموية |
| ٣٢ — ٢٧ | تعريف بالدولة الأموية : |
| ١٠٧ — ٣٤ | تعريف بشقاء بني أمية : |
| ٤٥ — ٣٤ | معاوية |
| | صفات معاوية ومبتكراته ٣٨ — أعوان |
| | معاوية ٤٠ |
| ٥٤ — ٤٦ | يزيد |
| | البيعة ليزيد ٤٦ — معاوية والبيعة |
| | ليزيد ٤٨ — موقعة الحرة ٥١ — نهاية |
| | يزيد ٥٣ |
| ٥٥ | معاوية الثاني |
| ٥٨ — ٥٦ | مروان بن الحكم |
| ٧٢ — ٥٩ | عبد الملك بن مروان |
| | كلماته وأعماله ٦١ — الحجاج بن يوسف : |
| | ما له وما عليه ٦٣ — الصراع حول |
| | الكوفة ٦٤ — فتنة ابن الأشعث ٦٧ — |
| | اصلاحات الحجاج ٦٩ — الحجاز من |
| | السياسة للأدب والفن ٧١ |
| ٧٦ — ٧٣ | الوليد بن عبد الملك |
| | اصلاحات الوليد الداخلية ٧٤ |
| ٨٠ — ٧٧ | سليمان بن عبد الملك |
| ٩١ — ٨١ | عمر بن عبد العزيز |
| | نموذج غريد ٨٣ |
| ٩٥ — ٩٢ | يزيد بن عبد الملك |
| ٩٩ — ٩٦ | هشام بن عبد الملك |

| الموضوع | الصفحة |
|--|-----------|
| الوليد بن زيد | ١٠٠ — ١٠٣ |
| يزيد بن الوليد | ١٠٤ |
| ابراهيم بن الوليد | ١٠٥ |
| مروان بن محمد | ١٠٦ — ١٠٧ |
| التوسع الاسلامى فى عهد الدولة الأموية : | |
| اسباب التوسع وميادينه | ١١١ — ١١٣ |
| الميدان الأول : حروب المسلمين ضد الروم فى آسيا الصغرى | ١١٣ — ١١٩ |
| الميدان الثانى : حروب المسلمين فى شمالى افريقية والاندلس | ١٢٠ — ١٣٢ |
| شمالى افريقية | ١٢٠ |
| انتشار الاسلام بين البربر | ١٢٣ |
| الاندلس | ١٢٤ |
| المسلمون فى فرنسا | ١٢٩ |
| الميدان الثالث : حروب المسلمين فيما وراء النهر وفى السند | ١٢٣ — ١٤١ |
| جبهة ما وراء النهر | ١٣٤ |
| جبهة السند | ١٣٩ |
| الحركات الفكرية والتورية فى عهد الدولة الأموية : | |
| ١٤٣ — ٢٩٤ | |

الشيعة

| | |
|---|-----------|
| مقدمة عن نشأة التشيع واسبابها | ١٤٦ |
| الشيعة ومدعو التشيع | ١٥١ — ١٦٨ |
| فرق الشيعة وتطور معتقاداتها | ١٦٩ |
| الزيدية | ١٧٢ |
| الانثى عشرية | ١٧٥ |
| الحصمة والتقية والرجعة والمهدية | ١٨٠ |
| الاسماعيلية | ١٨٢ |
| ثورات الشيعة : | |
| الحسين بن على | ١٩٥ |
| تحركات الحسن بن علي بن ابي طالب | ١٩٦ |
| رحلة الحسين ومعركة كربلاء | ١٩٩ |
| رأس الحسين وبختمنا الآن | ٢٠٤ |
| الشيعة زعماء وزعمائهم فى مصر | ٢٠٥ |

| الموضوع | الصفحة |
|---------------------|-------------|
| المؤرخون والمعركة | ٢٠٦ |
| التوابون | ٢٠٩ |
| المختار بن أبى عبيد | ٢١٢ |
| الزبدية | ٢١٩ |

عبد الله بن الزبير

| | |
|---------------------------------------|-------------------|
| هل كان لابن الزبير فلسفة ؟ | ٢٢٢ |
| كيف بنى ابن الزبير مجده | ٢٢٤ |
| بدء النهاية | ٢٢٩ |
| مزيد من الدراسة عن عبد الله بن الزبير | ٢٣٢ — ٢٣٩ |
| تجل ابن الزبير ٢٣٤ — سوء علاقته ببعض | |
| أهله ٢٣٥ — سوء علاقته بأل البيت ٢٣٦ | |
| ابن الزبير وموقعة الجمل ٢٣٧ | |

الخوارج

| | |
|--|-------------|
| نشأة الخوارج | ٢٤٠ |
| موقعة النهروان ونتائجها | ٢٤٥ |
| نهاية على | ٢٤٧ |
| الخوارج في عهد الدولة الأموية : | |
| في عهد معاوية | ٢٤٨ |
| الخوارج والمهلب بن أبى صفرة (في عهد ابن الزبير ثم | |
| في عهد عبد الملك) | ٢٤٩ |
| الخوارج بقيادة قطرى بن الفجاءة | ٢٥١ |
| الخوارج وعمر بن عبد العزيز | ٢٥٢ |
| الخوارج في آخر الدولة الأموية | ٢٥٤ |
| انكار الخوارج : | |
| (أ) سبب حركات الخوارج | ٢٥٥ |
| (ب) ملامح الخوارج الفسالية | ٢٦٣ |
| (ج) فرق الخوارج وآراؤها في السياسة والدين | ٢٧١ |
| خلافتهم بعد مساعدتهم عبد الله بن الزبير | ٢٧٣ |
| الازارقة | ٢٧٥ |
| التجندات العنصرية | ٢٧٦ |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|------------------|
| ٢٧٧ | الإباضية |
| ٢٧٧ | العجلردة |
| ٢٧٨ | الصفورية |

المعتزلة والمرجئة والجبرية

| | |
|-----|--|
| ٢٨١ | نشأة المعتزلة |
| ٢٨١ | المذاهب التي نشأت حول خلق انفعال العبد |
| ٢٨٢ | رأى المرجئة |
| ٢٨٤ | رأى الجبرية |
| ٢٨٥ | رأى جمهور المسلمين |
| ٢٨٨ | رأى المعتزلة |
| ٢٩٣ | مبادئ المعتزلة |
| ٢٩٧ | كلمة ختام عن : الاسلام والفرق |
| ٣٠١ | ثبت المرجع |
| ٣٠٦ | تمهيس الأعلام والأمكن |

فهرس الخرائط والمخططات

| | |
|-----|--|
| ٣٠ | مخطط الأسر الإسلامية التي حكمت في القرون الأولى |
| ٣٣ | مخطط لخلفاء بني أمية |
| | خريطة لحروب المسلمين في الميدان الأول والثاني : آسيا الصغرى |
| ١١٥ | والقسطنطينية — شمالى إفريقيا والاندلس |
| ١٣٦ | خريطة لحروب المسلمين في الميدان الثالث : ما وراء النهر — السند |
| ١٦٨ | مخطط لفرق الشيعة |
| ٢٧٨ | مخطط للمشكلات الدينية التي بحثها الخوارج |

مقدمة الطبعة الأولى

تاريخ يحتاج الى إنصاف :

باسم الله العلى العظيم نبدأ دراستنا لتاريخ الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية في عهدها ، ونحن ندرك الصعوبات التى تقابل الباحث وهو مقدم على دراسة تاريخ هذه الحقبة ، فلقد تحالفت ظروف كثيرة على الحط من شأن الأمويين بقصد أو ببدن قصد ، وتكاد المراجع التى بين أيدينا تخلو خلوا تاما من كلمة مدح أو ثناء على أكثر خلفاء هذه الدولة ، أما عبارات القذف والطعن فقد أسهبت فيها كتب كثيرة واقتصدت كتب أخرى ، وكان أيسرها ما اكتفى باللوم والتقريع .

ما الأسباب التى دعت الى ذلك ؟ وكيف الطريق لإحقاق الحق ؟

الاجابة عن ذلك أن بنى أمية وقفوا وجها لوجه أمام بنى هاشم ، وقف معاوية فى وجه على* وصارعه وكتب له النصر ، ووقف يزيد فى وجه الحسين وسقط الحسين بسيوف يزيد ، وسقط زيد بن على بن الحسين وابنه يحيى فى معارك ضد جيوش الأمويين ، ولهذه الدماء أثرها لدى الرواة والكتاب ، فأما رواة الشيعة وكتابهم فقد وقفوا يعلنون سخطهم على بنى أمية ، ويصفونهم بالقسوة والوحشية ، وأما غير هؤلاء من الرواة والكتاب فربما لم يروا هذا رأى ، ولكنهم خافوا شعور الجماهير ، فأثروا السلامة وأغفلوا الموضوع كله أو لم يتعمقوا فيه .

ولا نزاع أن الأمر كان يختلف اختلافا كبيرا لو هب معاوية يتهم رينالا غير على* بأنه آوى قنلة عثمان وكوّن منهم جيشه ، ولو نشط يزيد فى وجهه ثائر آخر غير الحسين فهزمه ، وهكذا دواليك ، فالمسألة فى الحقيقة ليست الا استغلالا لدماء القتلى باعتبارهم من آل البيت ، وأمسك من أسوأهم

« مدعى التشيع » بهذا الأمر ، وحركوا به العواطف ، وكان مدعو التشيع في أغلب فترات ذلك العهد يكوّنون طبقة الغوغاء ، ويثيرون الفوضى للنيل من الاسلام والمسلمين حتى يثأروا لأديانهم وعقائدهم المهزومة ، وكانوا لا ذلاق لهم مع على نفسه ، ومع أبناء على ، فطالما خدعوهم ، بل قل إنهم هم بذين قتلوههم بسيوفهم ولما فرغوا من دمائهم أخذوا ينوحون عليهم أو يتظ هرون بذلك ، ويطلبون الأخذ بثأرهم كما سنرى فيما بعد .

وطبقة كهذه من الغوغاء كانت مخيفة أزعجت الرواة فلم ينقلوا من مفاخر الأمويين كل ما كان يمكن أن ينقل ، وأزعجت الكتاب فلم يدونوا ما وصلهم من أقوال الرواة ، وضاعت الحقائق التاريخية بين هذا الظلام الذى أسدله على العالم طغيان من أسموا أنفسهم « شيعية أهل البيت » وهم في الحقيقة ألد أعداء أهل البيت وألد أعداء الاسلام .

وسقطت الدولة الأموية قبل عهد التدوين وقامت على أثرها دولة بنى العباس ، وقد مسحت دولة بنى العباس كل ما يمكن أن يكون قد بقى حيا من مفاخر بنى أمية ، وبدلا من ذلك أضفت على تاريخ الأمويين ألوانا من الظلام وصنّوا من التشويه .

ولا نزاع أن العلويين عانوا من بنى العباس أكثر مما عانوه من بنى أمية ، ولكن ذلك لم يدوّن تدوينا كافيا ، لأن بنى العباس امتد بهم العمر ودون التاريخ في عهدهم ، فتأثر بسلطانهم ونفوذهم ما كتبه كثير من المؤرخين .

لقد اتهم يزيد بن معاوية بالجهل وسوء السيرة ، واتهم بذلك يزيد ابن عبد الملك وابنه الوليد ، ولا شك أنه وجد بين خلفاء العباسيين والفاطميين من كانوا كذلك ، ومع هذا فقد أسدل التاريخ الستار على كثير من مساوىء هؤلاء ، واهتم المؤرخون بانتقاص بنى أمية باحثين عن أسباب الانتقاص هنا وهناك .

واذا تركنا هؤلاء الضعاف الذين لا بد من ظهورهم في كل دولة ، فاننا نرفع بعض أسماء الأمويين الى أسمى طبقة بين ساسة العالم كله في مختلف عصوره ، ونضع دون تردد بين هؤلاء أسماء معاوية وعبد الملك ابن مروان والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، وبعض خلفاء الأمويين بالاندلس ، ونقرر دون تردد أيضا أنه قل من يضارع هؤلاء بين خلفاء بنى العباس وخلفاء الفاطميين والأدارسة •

والعجيب أن أغلب المؤرخين المحدثين من مسلمين أو مستشرقين تلقوا ما كتبه المؤرخون الأول على أنه حقائق ، فجاءت أكثر الدراسات الحديثة بعيدة عن الانصاف كما سنشير الى بعضها في هذا التقديم وفي أثناء الدراسة ، وجدير بتاريخ الأمويين أن يكتب من جديد وأن تتخذ أسسه من الواقع ، أى من حضارة الأمويين التى لا تزال تنطق بها دمشق وغيرها من العواصم الاسلامية ومدن الأندلس ، ومن صنوف التفكير التى أنتجها العقل الأموى كالبريد والسكة وتعريب الدواوين وتنظيم الجيوش وغيرها ومن انتصارات الأمويين التى سجلت زحفا للإسلام لا يزال واضح الجانب ، ومن أسس أخرى ستكون عمادنا فيما نقوم به من دراسة •

لقد انتهوا الأمويين بأنهم حكام عرب وليسوا حكاما مسلمين ، واستدلوا على ذلك بأنهم اضطهدوا الموالى ، والعجيب أنه وجد بين المؤرخين الأوربيين من جذية هذا رأى مثل Wellhausen الألماني ولكن هذا الاتهام لا يقوى أمام النقد البرىء وأمام الدراسة العميقة ، وحقيقة الأمر أن الفرس انضموا لعلى منذ العهد الباكر وحاربوا جيوش معاوية ، ثم اثاروا الفتن والدمار والتخريب ، واشعلوا ألوانا من الحروب ضد الأمويين وضد المسلمين على العموم ، وكان من نتيجة ذلك أن استحقوا سخط الأمويين •

فالمسألة لم تكن أكثر من دفاع عن النفس وكراهية متبادلة بين الفرس وبين الأمويين ، وكان المقصود من تحدى الفرس للأمويين إضعاف الجبهة الاسلامية ، ولقد كان بسوريا نفسها — موطن الخلافة الأموية — مسلمون

من غير العرب ، وكان بمصر مسلمون من غير العرب ، وكذلك كان في شمالي افريقية ، ولم ينل هؤلاء من سخط الأمويين ما ناله أهل فارس الذين بدعوا الذخومة واستمروا يتلمسون السبل لإشعال نارها .

ومما أخذ على بنى أمية أنهم شرعوا سباً على بنى أبي طالب في حياته، فلما مات استمروا على ذلك المنكر . وتساءل الناس : كيف لم يتسع حلم معاوية لذلك الأمر ، فيترك سب خصمه الذى مات ؟ وقيل فى هذا انه — أن عد عيبا شخصيا — لا يقلل من صلاحية معاوية أو غيره من أبطال بنى أمية للخلافة ، ولا يحط من أقدارهم كقادة وساسة مبرزين ، وربما جاز لنا أن نأخذ الأمر من ناحيته السياسية فنذكر أن بنى أمية اضطروا لذلك اضطارا ليصرفوا العامة من الناس عن تعلقهم بآل البيت لأنهم آكل البيت ، فأخذوا يسيبون عليا لا لشيء الا لأجل حماية دولتهم ، وقد وضع عبد العزيز بن مروان هذا الأمر فى حديث له مع ابنه عمر ، قال عمر بن عبد العزيز : كان أبى عبد العزيز بن مروان يمر فى خطبته يهدّثها هدّثا ، حتى اذا وصل الى ذكر أمير المؤمنين على[ؑ] تتعتع ، فسألته فى ذلك فأجاب : يا بنى أدركت هذا منى ؟ قلت : نعم . قال : يا بنى أعلم أن العوام لو عرفوا من على ما نعرفه لتفرقوا عنا الى ولده (١) .

فمثل هذا السبب كان دواء للعوام ، فلا شك أن الذى يترك معاوية لعلى يستطيع أن يجد وسيلة يسبب بها هذا التصرف ، ولكنه من فعل العوام أن يدع رجل معاوية وينضم الى ولد على لا لكفاءة ، ولا لدهاء سياسى أو مقدرة حربية ، وانما فقط لأنه ابن على ، وشعور العامة هذا هو الذى دفع بنى أمية ليسبوا عليا ولينسبوا اليه أشياء أغلب الظن أنهم لا يؤمنون بها .

والذى يدعونا الى التماس العذر كذلك لمعاوية فى موقفه من سب على أن معاوية كان معروفا بالحلم وغفران السيئات ، فقد اتسع حلمه لعمرو بن

الخاص وجذبه اليه ، وسنرى فيما بعد أن احساس كل منهما نحو الآخر لم يكن وديا ، واتسع حلمه لزياد بن أبيه ، وكان زياد من أتباع علي وقد تأبى علي معاوية طيلة حياة علي ، فلما مات علي أمته معاوية واسترضاه وغفر له ، واتسع كذلك للمغيرة بن شعبة الذي كان قد اعتزل الفتنة ، واتسع لمرwan بن الحكم الذي كان قد بايع لعلي ، واتسع لغير هؤلاء واتسع حلمه وكرمه للحسن والحسين فلم يمسسهما سوء في حياته ولا نقص شيء مما وعدهما به ، فالذي يجعله يستمر على موقفه من سب علي بعد موته إنما هو محاولة توطيد سلطانه بصرف العامة عن علي وبنيه .

وفي هذا التقديم نذكر المؤرخين وبخاصة المسلمين منهم بالوان الحلم والاصلاح وسعة الصدر التي امتاز بها رجال مثل معاوية وعبد الملك والوليد وعمر بن عبد العزيز ، ونذكرهم كذلك بالزحف الاسلامي الذي قام به هؤلاء فاتحين أو معلمين مبشرين ، فلقد قام الثلاثة الأول بدفع راية الاسلام الى الأمام في عدة جبهات حتى أصبحت تخفق على رقعة واسعة من الأرض تشمل الملايين أو مئات الملايين من البشر ، وقام الرابع بمثاليته وصلاحه بجذب هؤلاء الملايين الى الاسلام فاستجابوا أو قل انهم انهالوا وحدهم ينضمون للدين الذي انتج مثل هذا الخليفة النادر ، وقد ضاعت الاندلس التي فتحها الأمويون ولكن ضياعها كان في غير عهد الأمويين ، فالسؤال عن ضياعها أولئك الذين كان في أيديهم حكمها .

ذلك شعاع من النور نبدأ به هذه الدراسة نقصد به إحقاق الحق وتتبعية الدارسين ، الذين يسرون على النهج الذي رسمه الآخرون دون تفكير في دوافعه ، ودون يقظة ذهنية تعيد الأمور الى نصابها ، وما أحوجنا في حياتنا الاسلامية الحاضرة الى خلافة كخلافة بنى أمية تعيد وحدة العالم الاسلامي ، وتعيد قوته التي كانت تهدد أعظم الممالك في ذلك العهد ، وفي ضوء هذا الشعاع سنسبر في دراستنا غير معادين للأمويين ولكن غير مدافعين أيضا . وانما باحثين عن الحق مهما صادفنا من متاعب في سبيل البحث عنه ، فإذا عثرنا عليه أثبتناه فترحين به غير فاعطين لسواء .

وهذا التقديم يقودنا الى أن ننتقد بقوة ما ذكره Nicholson (١) من أن « المسلمين عدوا انتصار بنى أمية وعلى رأسهم معاوية انتصارا للاستقراطية الورثنية التي شنت العداء على الرسول وصحبه والتي جادها الرسول جهادا طويلا حتى أخضعها لسلطانه » ولسنا ندري من هم المسلمون الذين يعينهم نيكلسون ، فالذى يحدثنا عنه التاريخ بصراحة أنه في أثناء الصراع بين على ومعاوية كانت كفة معاوية تزداد رجحانا يوما بعد يوم ، في حين كانت كفة على تتسيل وتضعف ، وأن كثيرين من أساطين المسلمين وفدوا على معاوية وأيدوه لما رأوا من الاستقرار عنده وما كان من الفوضى والتمرد بين أتباع على ، حتى اذا مات على كان طبيعيا أن التفت المسلمون حول معاوية جميعا ، ويثبت معاوية أسباب انتصاره على على فيبين أن منها أنه كان أقرب الى قريش من على ، وتلك حقيقة تكاد تكون واضحة لكل الباحثين في التاريخ الاسلامى ، يقول معاوية : « عُنْتُ عَلَى عَلَى بِأَرْبَعَةٍ : كُنْتُ أَكْتُمُ سِرَّهُ وَكَانَ رَجُلًا يَظْهَرُهُ ، وَكُنْتُ فِي أَصْلَحِ جُنْدٍ وَأَطْوَعِهِ ، وَكَانَ فِي أَجْبَثِ جُنْدِهِ وَأَعْصَاهُ ، وَتَرَكْتُهُ وَأَصْحَابُ الْجَمَلِ وَقُلْتُ : إِنْ ظَفَرُوا بِهِ كَانُوا أَهْوَنَ عَلَىَّ مِنْهُ وَإِنْ ظَفَرَ بِهِمْ طَعَنْتُهُ بِقَتْلِهِمْ ، وَكُنْتُ أَحَبُّ إِلَى قُرَيْشٍ مِنْهُ (٢) » .

وقد سبق أن أوردنا في الجزء الأول من هذا الكتاب (٣) رأى الأستاذ الخضرى فى على وأنه لم يكن محبوبا من شيوخ عصره لاهماله مشورتهم ولشدة اعتداده بنفسه ، ويختم الأستاذ الخضرى عرضه لهذا الموضوع بقوله : إن من أكبر الأسباب في عدم استقامة الأمر لعلى يرجع إلى عقيدته في نفسه ، وثقته المتناهية بما يراه ، واستغنائه عن رأى الأسيخ من قريش ، وشدة عليهم ، ويقارن الأستاذ الخضرى بين شدة عمر وشدة على بقوله :

(١) A Literary History of the Arabs p. 139.

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٣٦٦ — ٣٦٧ .

(٣) ص ٦٣٤ من الطبعة الحادية عشرة .

ان. عمر كان يشهد الأمة كلها معه ، ولكن عليا كان يشهد ومعظم الأمة عليه (١) .

ويبدو أن نيكلسون قال بهذا الرأي السطحي معتمدا على تأخر بنى أمية في دخولهم الاسلام ، وليس ذلك بمقياس صحيح ، فقد تأخر عمر في دخول الاسلام عن عثمان وسعد وطلحة والزبير .. ولكن ذلك لم يجعل أحدا منهم يرجح عمر ، وقد اعتر المسلمون جميعا وفي قمتهم الرسول صلوات الله عليه بدخول أبى سفيان دين الاسلام ، وكثره الرسول بأن جعل بيته حراما يجد فيه الناس الأمن والدعة ، ويوم تولى معاوية تبعه الناس جميعا ولكن يوم تولى على هب في وجهه الآلاف هنا وهناك ، وهذا الرأي الذى أوردناه يزكيه فان فلوتن اذ يقول : « كان السواد الأعظم من العرب يرى في حزب بنى أمية حزب الدين والنظام » (٢) .

والطريقة التى اتبعناها في تأليف هذا الكتاب هي الطريقة التى وعدنا بها في الجزء الأول وسرنا على نهجها هناك ، وهى طريقة دراسة الأفكار مجمعة موحدة ، فقد جرت عادة المؤرخين أن يتكلموا عن الفتوحات في عهد معاوية عند الكلام عن معاوية ، وعن الفتوحات في عهد الوليد عند الكلام عن الوليد ، وهكذا ، كما جرت عاداتهم أن يذكروا نشاط الشيعة ونشاط الخوارج مبشرة تبعا لكل خليفة ، واعتقادي أن هذا تمزيق للفكرة ، وتركيز لكل نشاط الدولة في شخص الخليفة ، ولذلك تحدثت عن الخلفاء فيما يتصل بهم وبمبولهم وأخلاقهم وأعوانهم ، أما الفتوحات فقد جمعت في مكان واحد حيث تحدثنا عن « الفتوحات في عهد الدولة الأموية » فدرسناها في ميادينها المختلفة ميدانا بعد ميدان ، وأما الشيعة والخوارج وغيرهما من الحركات الفكرية والثورية ، فقد نالت كل منها دراسة مستقلة شملت الناحية الفكرية والناحية الثورية ، وذلك يجعلنا أولا نرى الشعوب وما كان لها من

(١) تاريخ الأمم الاسلامية ج ٢ ص ٨٤ .

(٢) فان فلوتن : السيادة الربية والشيعة والانرايليات في عهد بنى أمية

ترجمة الدكتور حسن ابراهيم ص ٦٩ .

موجات فكرية وحركات ، ويجعلنا ثانيا نرى الموضوع الواحد في مكان واحد ، فذلك أقرب لنيله والتعمق فيه وأرجو أن تلاقى هذه الطريقة رضا القراء •

والآن هيا بنا الى دراسة فترة تعد في القمة من فترات التاريخ الاسلامى ، هى فترة الخلافة الأموية ، والله المسئول أن يهيىء لنا الهدى والقوة والرشاد وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، انه سميع مجيب •

جوكجاكرتا فى الثالث من يوليو ١٩٦٠

دكتور أحمد شلبى
مدير المركز الثقافى العربى بجاكركتا
والأستاذ بجامعة اندونيسيا

مقدمة الطبعة الثانية

يسرنى بالغ السرور أن أقدم للقراء الأعزاء الطبعة الثانية للجزء الثانى من « موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية » ، وهو جزء يحوى تاريخ فترة من أهم فترات التفوق العربى والإسلامى ، انها فترة الأمويين بما لها من مآثر خالدة وآثار عميقة .

وموسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية بأجزائها التى ظهرت حتى الآن لقيت عناية المؤرخين والقراء ، وقد كتب لى كثيرون منهم يوجهون الثناء ، ومن الحق على أن أوجه الثناء اليهم ، فان اقبالهم هبوا الذى دفعنى الى مضاعفة الجهد ومحاولة المزيد من الاجادة ، وكتب آخرون يطلبون تحقيق فكرة أو مزيدا من الشرح ، فاستجبت لرغباتهم ما استطعت السبيل لذلك ، اذ لا بد أن يقوم ارتباط بين المؤلف وقرائه .

والحمد لله ، انجح التوفيق ، واهب النعم ، وباسمه تعالى أزف هذه الطبعة للقارئ الكريم بما فيها من تعديلات وزيادات اقتضاها استمرار البحث والتنقيب ودوام الاتصال بالقارئ ، الذى نعمل له ونجد لأرضائه .

والله ولى التوفيق .

المؤلف

فى الرابع من ديسمبر سنة ١٩٦٥

في التقديم للطبعات التالية

- أحق ما أذكره في هذه المناسبة :
- شكر الله على كريم عونه ،
وشكر القارئ على عظيم أقباله ،
ودعوة أن تظل معنا عناية الله وتأييده ،
- ووعده بمضاعفة الجهد في خدمة الدين والوطن باخلاص لا يعرف
التردد ، وإصرار لا يعرف الكلال .
- ومن الزيادات المهمة التي ظهرت في الطبقات المتأخرة ما يلي
- ١ — رأس الامام الحسين وأين مدفنها الآن .
- ٢ — السيدة زينب بنت الامام على وموقفها في كربلاء ومدفنها الآن .
- ٣ — مزيد من التحقيق عن مواقف عبد الله بن الزبير .
- ومن الله العلي العظيم نسأل العون والتوفيق .

المؤلف

في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٨٢

في التقديم للطبعة السابعة

وابتداء من الطبعة السابعة كتبت نقطة شديدة الأهمية هي أن
عِرْقَ التي تُسمَّى « الفرق الإسلامية » ليست في الحقيقة إسلامية ،
وليس لها جذور من الفكر الإسلامي ، وإنما هي حركات ظهرت في فترات
الضعف متأثرة بعوامل خارجية ، وليست كالفرق في اليهودية أو المسيحية ،
وأرجو أن يتدبر القارئ هذا الرأي الجديد بما يستحقه من عناية .

في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٨٤

الدولة الأموية

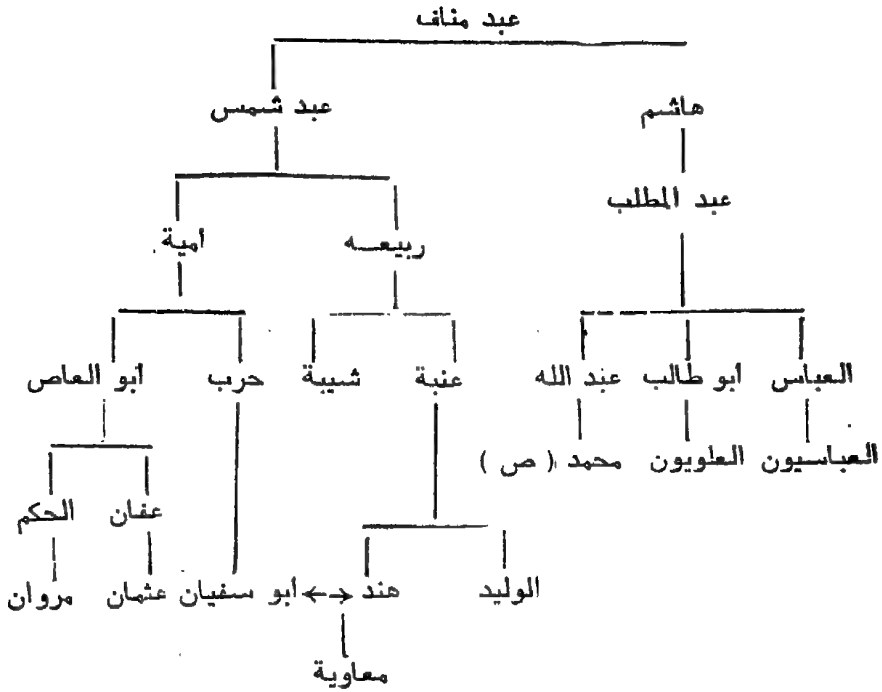
والحركات الفكرية والنهضة خلالها

الدولة الأموية (٤١ — ١٣٢ هـ)

تعريف بها :

تنسب الدولة الأموية الى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان أمية هذا سيدا من سادات قريش في الجاهلية ، وكان هو وعمه هاشم ابن عبد مناف متنافسين على الرياسة والشرف ، وقد تجمع لأمية عناصر السلطان في الجاهلية ، فهو منحدر من أرومة مجيدة ، وله مال كثير ، وعشرة من الأولاد النجباء ، وإذا تجمعت هذه الأركان الثلاثة لشخص في الجاهلية ضَمِنَ الشرف السؤدد .

ولما جاء الاسلام تغيرت العلاقة بين بنى أمية وبين أبناء عموماتهم بنى هاشم ، اذ انقلب التنافس الى عدااء ظاهر ، لأن بنى أمية وقفوا موقفا حازما ضد الرسول ودعوته ، وأما بنو هاشم فقد عاونوا الرسول وحرسوه سواء منهم من دخل الاسلام ومن لم يدخل فيه ، وفي غزوة بدر كانت قوة قريش متركزة تقريبا في بنى عبد شمس ، فأبو سفيان كان صاحب العير التي كانت قادمة من الشام الى مكة ولما استنفر قريشا لمساعدته بعد أن عرف أن المسلمين سيقطعون عليه الطريق ، نفر أهل مكة بقيادة عتبة بن ربيعة بن شمس جد معاوية لأمه . وهكذا كان قائد العير وقائد النفير من بنى عبد شمس ، وكانت حينذاك تتمثل في هذا الفرع ، من فروع قريش العزة والاباء ، ولهذا كان يضرب المثل بذلك فيقال للخامل : لست في العير ولا في النفير ، ولم يدخل بنو أمية الاسلام الا بعد أن لم يبق طريق غير الدخول فيه ، عندما زحف محمد بكأف التابعين له المؤمنين برسالته وقيادته ليدخل بهم مكة .



عبد مناف

الجد الأعلى للأسر الإسلامية التي حكمت في القرون الأولى

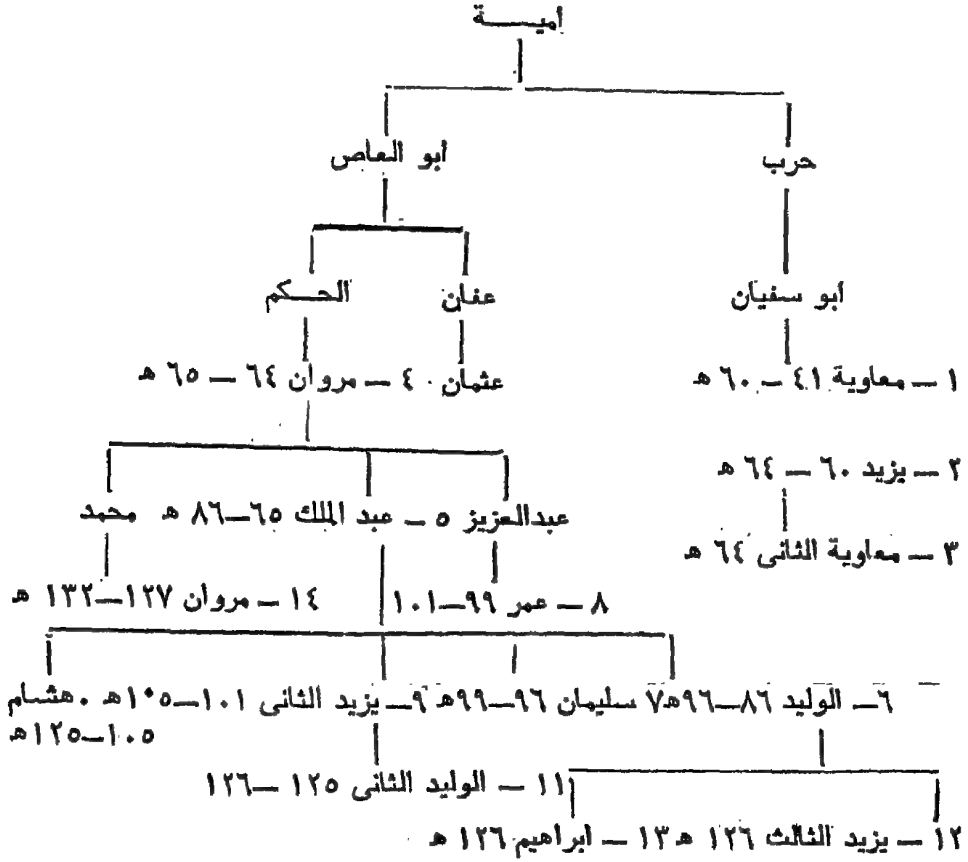
وعلى هذا كان بنو أمية من المتأخرين في دخول الاسلام ، ومن أشد الأعداء له قبل أن يدخلوا فيه ، ولكن ما أن دخلوا فيه حتى أظهروا بطولة رائعة وحماسة بالغة ، وكأنما كانوا يريدون أن يعوضوا ما فاتهم من السبق ، وأن يئسوا الناس بمواقفهم مع الاسلام ما فعلوه ضده ، فلقد أبلوا بلاء حسنا في حروب الردة والمتنبئين وماعى الزكاة ، كما كانوا سيوفا مشهرة وقوى هائلة في زحف الاسلام خارج الجزيرة العربية كما سبق القول في الجزء الأول من هذه الموسوعة ، وحسبنا أن نذكر هنا أن أبا سفيان زعيم بنى أمية فَمَكَّدَ إحدى عينيه وهو يشترك مع الرسول في مغازيه ثم فقد الأخرى في موقعة اليرموك وهو يقاتل تحت امره ابنه يزيد ، كما كانت هند زوجة أبى سفيان وأم معاوية تشترك في حروب الفتوح ، وروى عنها أنها كانت تصيح في النساء قائلة : عضدوا الرجال بسيفوكم .

وقد تطلع بنو أمية للخلافة منذ عهدا الباكر ، ولكنهم لم يكن لهم فيها أمل في عهد أبى بكر وعمر ، فلما طعن عمر وأَسْنَدَ الشورى لست من الصحابة فيهم عثمان ظهرا أمل بنى أمية ونما ، وأيدوا ترشيح عثمان غلانية وجهارا وفاز عثمان فاتجه بنو أمية الى تأسيس خلافة أموية منذ ذلك الحين ، حتى ليتمكن القول إن الخلافة الأموية بدأت منذ تولية عثمان ، فلقد كان جهد معاوية متجها في عهد عثمان الى تقوية نفسه واعداد الشام ليكون لها مستقبل السلطان الاسلامى . ويروى أن معاوية دخل على أبيه حينما استعمله عمر على الشام . فقال له أبوه : يا بنى ، ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا ، فرفعهم سبقهم وقصّر بنا تأخرنا ، فصرنا أتباعا وصاروا قادة ، وقد قلّدوك جسيما من أمرهم ، فلا تخالفن أمرهم فانك تجرى الى أمد لم تبلغه ، ولو بلغت لتنفست فيه (١) ، واستجاب معاوية لرأى والده ونصّحه ، فأحسن السيرة ومهّد لنفسه في الشام ، ولم ينزل معاوية عن سلطانه بعد مقتل عثمان ، وظل يصارع عليا حتى خر على وانتقلت الخلافة رسميا الى معاوية .

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ١٤ — ١٥ .

ولبنى أمية فرعان كانت فيهما الخلافة ، هما فرع حَرْبِ بن أمية وفرع أبى العاص بن أمية ، وأكثر الخلفاء من الفرع الثانى ، أما الفرع الأول فليس منه الا معاوية وابنه يزيد وحفيده معاوية الثانى ، ولم ينعم يزيد بالملك لحظة ، أما معاوية الثانى فلم يبق فى الملك الا بضعة أيام ، وهكذا ناضل معاوية نضالا طويلا من أجل الخلافة ولما مات لم تستقر الخلافة فى أولاده ، وبذل معاوية جهدا ضخما ليبيع لابنه يزيد من بعده ولكن المشكلات الجسام كانت فى انتظار الابن ، فلم يضعه أبوه فوق السلطان ولكنه وضعه فوق الرعى التى استمرت تدور به دون استقرار حتى سقط ميتا ، فسبحان الله مالك الملك •

خلفاء بني أمية



ومن ملاحظة هذا الجدول يبدو لنا أن خلفاء الدولة الأموية أربع عشرة ومدتها احدى وتسعون سنة ، وهناك أربعة من الخلفاء كانت مدتهم سبعين عاما هم معاوية وعبد الملك والوليد وهشام ، أما العشرة الباقون فمدة خلافتهم احدى وعشرون سنة فقط .

تعريف بخلفاء بنى أمية :

معاوية (٤١ - ٦٠ هـ)

ولد معاوية قبل الهجرة بحوالى خمسة عشر عاما ، ودخل الاسلام يوم فتح مكة مع من دخل من أهل مكة ، وكانت سنّته آنذاك ٢٣ عاما ، وكان الرسول حريصا على أن يقرب اليه حديثى العهد بالاسلام من عظماء الأسر حتى يضمن اقبالهم على هذا الدين ويتيح لهم الفرصة ليتعمق الاسلام في قلوبهم ، وعلى هذا قرب الرسول إليه معاوية وضمّه الى كتّاب الوحى^(١) ، وقد روى معاوية عن الرسول وعن كبار الصحابة وعن أخته زوجة الرسول أم حبيبة بنت أبى سفيان ، كما روى عنه عبد الله بن العباس وسعيد ابن المسيب وآخرون .

وكان يزيد بن أبى سفيان قائد أحد الجيوش الأربعة التى وجهها أبو بكر لفتح الشام ، وكانت وجهته دمشق ، ولما أراد أبر بكر أن يرسل مددا لهذه الجيوش كان معاوية على رأس المدد الذى أرسله ليزيد ، وحارب معاوية تحت امره أخيه ، وتولى قيادة الفيلق الذى فتح صيدا وبيروت وغيرهما من سواحل الشام ، ولما تم النصر للمسلمين فى عهد عمر ، ولى يزيد ولاية دمشق ، كما جعل معاوية واليا على الأردن ، وتوفى يزيد فى طاعون عمواس فى عهد عمر ، فضم عمر الى معاوية ولاية دمشق ، وكان معاوية قوى الشكيمة ، أمينا الى أبعد حدود الأمانة ، سياسيا بارعا ، وهذا مما حبه لعمر . ولما جاء عهد عثمان جُمعت لمعاوية ولاية الشام كله ، وأصبح حكام الشام تحت أمره يوليههم ويعزلهم ، وظل أميرا عشرين عاما كما أصبح بعد ذلك خليفة عشرين عاما^(٢) .

وفى عهد عثمان استطاع معاوية أن يكون نفسه ، ويضع الأساس

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١٩٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٥ .

للكه . وأن يجعل الشام تحت يده المطلق بحيث لا تعرف لها حاكما سواهم . فلما قتل عثمان وبويج على كان الأثران قد آن ليبدأ دور معاوية ، واعتقادي أن معاوية ما كان ينزل عن حكم الشام أيا كان الخليفة الذي يتولى بعد عثمان ، وأيا كان السبب الذي ينتهي حكم عثمان ، مقتولا مات أو مات ميتة عادية .

وهناك حديث مهم جرى بين معاوية وكبار الصحابة إبان الفتنة التي قتل فيها عثمان ، وهذا الحديث يصور لنا قوة معاوية واستعداداته الكامل لما قد تدفع اليه الأحداث . قال ابن قتيبة يروي هذا الحديث :

قدم معاوية بن أبي سفيان في خلال الفتنة من الشام الى المدينة ، فأتى مجلسا فيه على بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمار بن ياسر ، فقال لهم : يا معشر الصحابة ، أوصيكم بشيخي هذا خيرا ، فوالله لئن قتل بين أظهركم لأملأنها عليكم خيلا ورجالا ، ثم أقبل على عمار بن ياسر — وكان أشد الثائرين على عثمان — فقال له : يا عمار ، ان بالشام مائة ألف فارس كلهم يأخذون العطاء مع أبنائهم وعبدانهم ، ولا يعرفون عليا ولا قرابته ، ولا عمارا ولا سابقته ، ولا الزبير ولا صحابته ، ولا طلحة ولا هجرته ، ولا يهابون ابن عوف ولا ماله . ولا ينتقون سعدا ولا دعوته ، فإياك يا عمار أن تقع في فتنة إن عثر ف أولها فقد لا يعرف آخرها (١) .

وفي ضوء هذا الاستعداد عارض معاوية خلافة علي ، ووجد السذور الذي يظهره وهو أنه ولي دم عثمان ، وأن عليا تهاون في الدفاع عن عثمان وآوى قتلته ، وبدأت سلسلة من المعارك أهمها صفين التي هزم فيها معاوية في ميدان القتال ، وانتصر في ميدان الحنكة والسياسة كما قلنا عند الحديث عن علي في الجزء الأول من هذه الموسوعة ، وبعد معركة صفين قامت عدة

مبارك انتقص فيها معاوية ملك على وضيق عليه ، وكان على يعانى عناد خصمه وقوته ، ويعانى عناد الخوارج وقوتهم ، ويعانى فى العراق تمرد أتباعه وتناقضهم وقعودهم عن نصرته ، وفى نفس الوقت كان معاوية مسموع الكلمة ، يعلو شأنه السياسى من يوم الى يوم ، واستراح على من هذه المشكلات عندما طعنه ابن ملجم طعنة قاتلة ، وخلا الأمر لمعاوية .

وبعد مقتل على قامت محاولة ضئيلة ترمى الى البيعة للحسن بن على ، أو قل انه قد بويغ فعلا من بعض الشيعة ، ولكن هذه المحاولة سرعان ما انتهت حينما أشيع أن قائده قيس بن سعد بن عبادة قد قُتِلَ ، فإذا ببعض أهل العراق — الذين كانت الفوضى ونكث العهد قد أصبحت من أبرز خصائصهم — ينهالون على بيت الحسن ، يهتكون حرمانه ، وينهبون متاعه حتى تلزعه بساتطاً كان يجلس عليه ، ولم يسلم الحسن نفسه من بعض الطعنات من هؤلاء البرابرة الغادرين (١) .

على أن الحسن بن على كان قد عاصر المشكلات التى علانها أبوه ، وعرف الحسن أن أباه لم يستطع أن يتغلب عليها ، وإذا كان البطل عجز عن حل هذه المشكلات فما أخرى الحسن يطلب السلامة ، إيماناً منه أن تيار الأحداث كان أقوى منه ، على أن صفات الحسن لم تكن تهيئه للخلافة . فلم تكن له ميزة أعظم من أنه ابن على ابى طالب ، وهذه لا تكفى قطعاً لنيل الكفانة ، فلم يكن للحسن علم أبيه ، ولم تكن له بطولة أبيه ، ولم تكن له سلبية أبيه ، ومع هذا غلبت أباه الأحداث ، فأنى للشباب الذى يروى أنه تزوج مائة زوجة (٢) أن يملا هذا الفراغ ، لقد قيل انه كان يجبر على أبيه المتاعب ويخلق له الأعداء بسبب كثرة الزواج والطلاق حتى أوصى على الناس ألا يتكحروا بناتهم (٣) ، فكيف يستطيع الحسن أن يقود الناس

(١) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٢٢ .

(٢) عقيدة الشيعة ص ٨٩ وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ١٩١) أن زوجته كن سبعين ، لها سرارية فكانت ، واعتقد أن هذه الأرقام مبالغ فيها وأنها من وضع أعدائه ، ولكن يبدو أنه كان كثير التزوج على أى حال .

(٣) عقيدة الشيعة ص ٩٠ .

ويوجه الأمور ؟ لذلك نجده يقنع بشروط اشترطها لنفسه ولذويه ، ويتعهد بالتنازل عن حقه في الخلافة اذا قبل معاوية هذه الشروط وهى :

- ١ — ألا يأخذ معاوية أحدا من أهفل العراق بإحنة •
 - ٢ — وأن يؤمن الأسود والأحمر ، ويحتمل ما يكون من هفوات الناس •
 - ٣ — وأن يجعل له خراج الأهواز مسلما كل علم •
 - ٤ — وأن يحمل الى أخيه الحسين ألفى ألف درهم •
 - ٥ — وأن يفضل بنى هاشم فى العطاء على بنى شمس (١) •
- ولم تكن هذه الشروط موضع نظر من معاوية ، فانه كان مستعدا أن يعد بأى شئ نظير تنازل الحسن ، ولذلك يقال انه عندما عرف ميل الحسن للصلح على أساس التنازل نظير شروط ، أرسل له صحيفة بيضاء مفضاة ليكتب فيها ما يشاء من شروط •
- وتم الصلح على هذا الأساس وتنازل الحسن لمعاوية وأعلن أنه سامع له مطيع (٢) •

ودخل معاوية الكوفة بعد ذلك (ربيع الثانى سنة ٤١ هـ) حيث التقى الحسن ومعاوية ، وباع الناس معاوية ، وباع معهم الحسن والحسين ، وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع الناس فيه على خليفة واحد ، وعاد معاوية بعد ذلك الى دمشق حيث اتخذها عاصمة للخلافة بعد أن كانت عاصمة امارته ، وعاد الحسن وأسرته الى المدينة وبقي بها حتى توفى سنة خمسين أو احدى وخمسين ، ويقال أنه توفى مسموما ، وأن زوجته هى التى سمته بإيعاز من يزيد بن معاوية حتى يخلو له الجو بعد معاوية ، ولكن ذلك

(١) عقيدة الشيعة ص ٨٦ •

(٢) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ١٢٤ •

الاتهام لم يثبت ، فقد روى أن الحسين جهد به ليخبره عن سقاه ، فأجاب :
الله أشد نقمة ان كان الذي أظن ، والا فلا يقتل بى برىء (١) .

ويروى ابن قتيبة قطعة من الأدب الرفيع تتصل بموت الحسن ، قال :
لما بلغ معاوية خبر موت الحسن أظهر فرحا وسورا ، فلما عرف عبد الله
ابن العباس ذلك دخل على معاوية ، فقال له معاوية : يا ابن عباس ، هلك
الحسن . فأجاب ابن عباس : نعم هلك ، انا لله وانا اليه راجعون ، وقد
بلغنى الذى أظهرت من الفرح والسرور لوفاته ، أما والله ما سد جسده
حفرتك ، ولا زاد نقصان أجله فى عمرك ، ولئن أصبنا به لقد أصبنا بهمن
كان خيرا منه ، جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجبر الله مصيئته ،
وخلف علينا من بعده أحسن الخلف . وبكى ابن عباس وبكى الحاضرون
جميعا ، قال معاوية : كم ترك بنين صغارا . قال ابن عباس : كلنا كان
صغيرا فكبر . قال معاوية : كم له من العمر ؟ فأجاب ابن عباس . الحسن
أعظم من أن يجهل أحد مولده . قال معاوية : أصبحت يا ابن عباس سيد
قومك . قال ابن عباس : أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين فلا . قال
معاوية : لله أبوك يا ابن عباس ما استنبأتك الا وجدتك مستعدا (٢) .

صفات معاوية ومبكراته :

وصفات معاوية أهملته للنجاح فى المنصب الكبير الذى تولاه ، فمنصب
الحاكم يحتاج الى حزم أحيانا وإلى سماحة أحيانا أخرى ، وكان معاوية
موهوبا فى الناحيتين ، يقول ابن طباطبا (٣) : كان معاوية جيد السياسة ،
حسن التدبير لأمر الدنيا ، عاقلا حكيما ، فصيحيا بليغا ، يحلم فى موضع
الحلم ويشتد فى موضع الشدة ، الا أن الحلم كان أغلب عليه ، وكان كريما

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٩٢ .

(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ١ ص ١٦٦ — ١٦٧ .

(٣) النخري فى الأدب السلطانية والدول الإسلامية ص ٩٢ — ٩٣ .

بأذلا للبال محبا للرياسة مشغوبا بها ، حسن الصلة بأفذاذ رعيته ، فلا يزال
أشراف قريش مثل عبد الله بن العباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله
ابن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي أبكر ، وأبان بن عثمان بن عفان ، وناس
من آل أبي طالب يقدون عليه بدمشق فيكرم فتواهم ويحسن قراهم ويقضى
حوادثهم ولا يزالون يحدثونه أغلظ الحديث ويجيبونه أقبح الجبه وهو
يداعبهم تارة ويتغافل عنهم أخرى ، ولا يعيدهم الا بالجوائز السنية
والصلوات الجمّة . ومن حلمه أنه قال يوما لقيس بن سعد بن عبادة :
يا قيس ! والله ما كنت أود أن تتكشف الحروب التي كانت بيني وبين على
وأنت حي . فأجابه قيس : والله اني كنت أكره أن تتكشف هذه الحروب
وأنت أمير المؤمنين . فلم يقل له شيئا . وما أثر عن معاوية قوله : اني
لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ،
ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، كانوا اذا شدوها أرختها .
واذا أرخوها شددتها (١) .

ويرى المبرد (٢) فلسفة لمعاوية في معاملته خصومه اذ يقول : اني
لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وان لم تكن الا كلمة يشتقى بها
مشتف جعلتها تحت قدمي ودبر أذني . ووصفه عبد الله بن العباس فقال :
ما رأيت أليق من أعطاف معاوية بالملك والرياسة ، ومر عبد الملك بن مروان
بقبر معاوية فأكثر الترحم عليه ، فقيل له : قبر من هذا ؟ فأجاب قبر رجل
كان والله ينطق عن علم ويسكت عن حلم ، كان اذا أعطى أغنى واذا حارب
أغنى (٣) . ويروى عن معاوية قوله : اني لأرفع نفسي عن أن يكون ذنب
أعظم من عفوى ، وجهل أكثر من علمي ، وعورة لا أداريها بستري ، واساءة
أوسع من احساني . ويروى عنه قوله كذلك : ما من شيء ألد عندي من
غيظ أتجره (٤) .

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٢٩ .

(٢) الكامل ج ١ ص ٦١ .

(٣) الفخرى لابن طباطبا ص ٩٥ — ٩٦ .

(٤) الطبري ج ٤ ص ٢٤٨ .

وقد انتكر معاوية في خلافته أشياء لم يسبق إليها ، فهو الذى أمر أن ترفع الحراب بين يديه ، وهو الذى وضع المقصورة ليصلى بداخلها فى المسجد ليأمن هجمات الأعداء عليه حين صلاته ، وقد كان ذلك بسبب قتل عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وهما يصليان (١) * ومن مبتكرات معاوية كذلك تَرْقِيَّةُ نظام البريد بحيث كانت الخيل المضمرة تتقف مستعدة فى مراكز على طول الطريق ، فيركب صاحب البريد واحدا منها ويسرع به حتى يصل الى محطة أخرى فيستبدل به غيره ويتركه ليستريح وهكذا ، وأنشأ معاوية كذلك ديوان الخاتم (٢) *

أعوان معاوية :

ومن أعوان معاوية الذين اعتمد عليهم فى تذليل الصعاب وكبح جماح المتمردين عليه عمرو بن العاص ، وقد مر بعض الحديث عنه ، ولكننا نضيف نقطة مهمة توضح فطنة معاوية ودهاءه ، تلك أن أحاسيس عمرو تجاه معاوية لم تكن ودية ، ولا كانت أحاسيس معاوية ودية تجاه عمرو ، ولكن ادراك معاوية أن عمرا أحد الدهاة المشاهير وحاجته لمثل هذا الداهية ، وادراك عمرو أنه يستطيع أن يجنى ثمار ما يقدمه لمعاوية من خدمات ، هذا الادراك من الداهيتين جعلهما يتعاونان ويتبادلان المنفعة ويخفى كل منهما ما فى نفسه تجاه الثانى ، وقد كان ذلك الاحساس المكتون يظهر من حين لآخر ، ولكن كلا منهما كان من القوة والفطنة بحيث يستطيع أن يعيد هذا الاحساس الى ستره ومخبئه * حدث ابن طباطبا (٣) قال : « ومن دهاء معاوية استمالته لعمرو بن العاص أحد الدهاة المشاهير ، وقد كان عمرو عندما نشبت الفتنة بين على ومعاوية معتزلا الفريقين ، فرأى أن يستميله

(١) المرجع السابق ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٤ وصبح الاعشى ج ١٤ ص ٣٦٨ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٠٠ والسياسة فى الفكر الاسلامى للبولف ص ١٥٦ وما بعدها .

(٣) الفخرى ص ٩٣ .

ويستقوى به ، ووعده ولاية مصر ، ومصر كانت الأمل الذي تهفو له نفس ابن العاص ، وبهذا انضم عمرو الى معاوية وساعده بمساعدة كبيرة مع أنما لم يكن بينهما مودة قلبية ، وكان يتباغضان سرا ، وربما ظهر ذلك على صفحات وجهيهما وفلتات ألسنتهما ، ومما يدل على ذلك أن معاوية سأل يوما جالباءه وفيهم عمرو : ما أعجب الأشياء ؟ فكانت اجابة عمرو قوله : أعجب الأشياء أن المبطل يغلب المحق • وكان بذلك يعرض على معاوية ، فقال معاوية يرد عليه : يل أعجب الأشياء أن يعطى الانسان ما لا يستحق اذا كان لا يخاف • وكان معاوية بذلك يعرض بعمرو وولاية مصر • ومع ما كان بين الاثنين فقد اتسعت نفس معاوية لعمرو واستقاد منه وأفاده •

ومما يدل على ذلك أيضا ما رواه الطبرى (١) أن عليا ثشق الجموع في موقعة صفين حتى أصبح على مقرية من معاوية ، ثم صاح به : يا معاوية علام يقتل الناس بيننا ؟ هلم أحاكمك الى الله فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور • فقال عمرو لمعاوية : أنصفك الرجل • فقال معاوية لعمرو : ما أنصفت اذ حشنتى على مبارزته وانك لتعلم أنه لم يبارز من رجل قط الا قتل • قال عمرو : ولكن لا يجعل بك الا مبارزته • فأجاب معاوية : طمعت فيها يعدى •

ويروى الطبرى (٢) كذلك أنه لما بايع الحسن معاوية ودخل هذا الكوفة واجتمع بالناس في المسجد أراد معاوية أن يخطب الناس فأشار عليه عمرو أن يقدم الحسن ليخطب الناس ، ولكن معاوية كان سىء الظن بعمرو فقال له : أما تريدنى أن أخطب الناس ؟ فأجاب عمرو : بلى ، ولكنى أريد أن يبدو عى الحسن للجماهير ، والى على معاوية فاستجاب وقبضم الحسن ، فأجاد هذا في خطابه القصير وغمر فيه معاوية وختم خطابه بقوله

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٩ ، ونظر كذلك الإلمية والسباسة لابن قتيبة ج ١ ص ١٠٣ .
(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٢٤ .

تعالى « وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » (١) فاعتناظ معاوية من عمرو وقال له : هكذا أردت يا ابن العاص .

ولما كمل الأمر لمعاوية أعطى مصرَ لعمرو طعمة له جزاء خدماته ، فظل واليا عليها حتى مات سنة ٤٣ هـ ، وي بعده ولاها معاوية عبد الله بن عمرو ابن العاص فبقى واليا عليها حوالى سنتين (٢) .

ومن أعوان معاوية كذلك المغيرة بن شعبة وزيد بن أبيه وعبيد الله ابن زياد .

والمغيرة بن شعبة كان والى الكوفة لمعاوية ، والكوفة والبصرة أكثر البلاد عداً للأمويين ، ولذلك كان يختار لهما أقوى الولاة وأكثرهم إخلاصاً ، وكان المغيرة من أحسن الولاة الذين ساسوا الكوفة لأنه استطاع أن يضمن الطاعة لأمر المؤمنين بأقل ما يمكن من الضحايا والدماء ، وقد وضع سياسته بقوله : لا أحب أن أبداً أهلك المصر بقتل خيارهم وسفك دمائهم فيسعد الخليفة بذلك وأشقى ، ويعز في الدنيا معاوية ويذل المغيرة في الآخرة ، ولكنى قابل من محسنهم ، وعاف عن مسيئتهم ، وحامد حليمهم ، وواعظ مسفيهم ، حتى يفرق بيننا الموت : ولكن يؤخذ على المغيرة استمراره على الطعن واللعن له ، ولعل ذلك كان اتباعاً لسياسة ذلك العصر . وقد ظل المغيرة واليا على الكوفة حتى مات سنة ٥١ هـ فضم معاوية ولاية الكوفة الى والى البصرة ذى اليد الحديدية والقلب القاسى زياد بن أبيه .

وزياد بن أبيه هذا كان واليا لعلى على فارس ، وقد حاول معاوية أن يستميله في حياة على فلم يستطيع ، فلما قتل على خشي زياد على نفسه فاعتصم بفارس ولم يبايع ، ورأى معاوية أن يتغلب عليه بالحكمة فأرسل اليه المغيرة بن شعبة وما زال به حتى بايع بعد أن أرسل اليه معاوية كتاب أمان .

(١) سورة البقرة الآية ٣٦ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٣٧ - ١٣٨ .

ويعرف زياد هذا بزياد بن أبيه أو بزياد بن سمية نسبة الى أمه سمياً ، اذ لم يكن له أب معروف ، فقد جعلت به أمه نتيجة اتصال غير شرعى ، ويقال إن أبا سفيان اعترف بتبديل موته بضمرة بعض المشركين بأنه الذى اجتمع بأم زياد ، وزياد على كل حال ليس مسئولاً عن هذه الجريمة التى ارتكبتها أمه أو ارتكبها الرجل الذى اتصل بأمه ، ووجب الله زياداً براءاً فائقة وبطولة فادرة ، مما حدا بأبى سفيان أن يعترف بأنه أبوه • ولكن نسب زياد الى أبى سفيان لم يثبت الا فى عهد معاوية سنة ٤٨ هـ حيث اعترف معاوية بأخوته له لينتفع به وبموأبه ، ومنذ ذلك الحين أصبح يطلق عليه زياد بن أبى سفيان (١) •

وقد ولاء معاوية البصرة وخراسان وسجستان ، وكانت بلاد العراق كثيرة الشغب على معاوية ، وكان الفسق والفجور والفواحش كثيرة الانتشار فى بلاد العراق ، ولذلك استعان معاوية على هذه البلاد بأكثر الناس صلة به وأقواهم الى اعادة الأمور الى نصابها ، ولما دخل زياد البصرة خطب الناس خطبته المعروفة بالبراء لأنه لم ييأداها بحمد الله ، وهى خطبة قوية جدا عدد فيها مساوىء أهل البصرة وتوعدهم بالويل والثبور ، وأقسم لهم فيها « لياخذن الولى بالمولى ، والمقيم بالظالمين ، والمقبل بالمدير ، والمطيع بالعاصى •• حتى تستقيم قناتهم » (٢) • وبر زياد فى قسمه بل زاد عليه أن أخذ بالثبته • ومما يروى عن أخذه الناس بغير حق أن العسس قبضوا على أعرابى وجد فى الخلاء مساء ، وكان زياد قد حرم على الناس أن يخرجوا من بيوتهم ليلاً ، فلما مثل الأعرابى بين يديه سأله زياد : هل سمعت النداء ؟ فأجاب : لا والله ، قدمت بطوبة لى وغشيتى الليل فأقمت لأصبح ، ولا علم لى بما كان من الأمر • فقال زياد : أظنك صادقاً ، ولكن فى قتلك صلاح الأمة ، وأمر به فضربت عنقه (٣)

(١) الطبرى ج ٤ ص ١٦٣ •

(٢) اقرأ هذا الخطاب فى الطبرى ج ٤ ص ١٦٥ — ١٦٦ •

(٣) الطبرى ج ٤ ص ١٦٧ •

تلك كانت سياسته الطاغية ، ولكننا نتفق مع المرحوم الأستاذ الخضري في قوله « ان عهد زياد بالعراق على ما فيه من قسوة كان عهد رفاهة وأمن ، وهذا مما يسطره التاريخ لعرب العراق آسفا ، وذلك أنهم قوم لا يصلحهم الا الشدة ، واذا وليهم وال فيه لين ورحمة فسَدُوا وارْتَكَبُوا المصاعب وأجرَمُوا الى الأمراء والخلفاء من غير بينة واضحة (١) » .

وقد ظل زياد واليا على البصرة ، فلما مات المغيرة بن شعبه والى الكوفة ضم معاوية الكوفة الى زياد سنة ٥١ هـ ، كما قلنا من قبل ، وكان زياد أول من ولى الكوفة والبصرة معا (٢) ، وقد ظل زياد واليا عليهما حتى مات سنة ٥٣ هـ . فكان يقيم ستة أشهر بالكوفة وستة أشهر بالبصرة كما روى ذلك الطبري (٣) ولم تكن الكوفة والبصرة وحدهما هما التابعتين لزياد وإنما امتد حكمه الى نصف الامبراطورية الشرقى برمته ، وتركز اهتمام معاوية في الغرب (٤) .

واذا قورن زياد بالمغيرة رجحه المغيرة ، فالمغيرة حقق الهدف الذي حققه زياد بضحايا أقل ، وذلك هو مقياس عظمة الرجال .

ويرى أستاذنا الخضري ونرى معه أن الطريقة التي اتبعها زياد ، وانتهى بها المغيرة أحيانا ، هي بمثابة النظام العرفي الذي تلجأ له الدول في الظروف الخاصة ، فليس بطبيعة الحال نظاما عاما خاضعا للقانون الاسلامي العالم (٥) .

ومن ولاية العراق القساة عبيد الله بن زياد ، وكان يسير سيرة أبيه ، وقد بدأ معاوية بتوليته خراسان عقب وفاة زياد فأبلى فيها بلاء حسنا .

(١) محاضرات في التاريخ الاسلامي ٢ : ١٧٤ .

(٢ ، ٣) الطبري ج ٤ ص ١٧٤ .

(٤) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ١ : ١٤٧ .

(٥) محاضرات في التاريخ الاسلامي ص ١٠٧ .

ثم نقله معاوية الى البصرة مبته ٥٥ هـ عندما عرف فيه قوة الشكيمة التي كان يعرفها في أبيه ، فلم يزل واليا على البصرة حتى توفي معاوية (١) فلما ثارت الكوفة في عهد يزيد ، وكتب أهلها يستدعون الحسين ، وأرسل هذا ابن عمه مسلم ابن عقيل ليرود له الطريق فاجتمع حوله أهل الكوفة ، حينئذ أشار ناصحو يزيد عليه أن يعزل والي الكوفة النعمان بن بشير وأن يضم ولاية الكوفة لعبيد الله بن زياد والي البصرة فعمل يزيد بذلك (٢) ، فقدم عبید الله الى الكوفة وسارت الأحداث على نحو ما سنوضح فيما بعد عند الحديث عن الشيعة •

ونختم حديثنا عن معاوية ذاكرين أن عهده كان من أنضر عهود الخلافة الاسلامية ، كان فيه الأمن الداخلي مستتباً ، فقد غلبت على أمرها كل العناصر المعادية لمعاوية ، غلبت يخلقه وعطائه أو بسيفه ومضائه ، وكان عهده حاقلاً بالرخاء والغنى ، أما العلاقات الخارجية فقد كان للمسلمين فيها النصر والغلبة ، كما سنوضح ذلك عند الحديث عن الفتوحات الاسلامية • لقد كان عهد معاوية طويلاً مولكته كان عريضاً أيضاً ، حفل بكل الأسباب التي تنبئ عن دولة عظيمة وأمة ناجحة •

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٥٨ •
(٢) المرجع السابق •

يزيد (٦٠ - ٦٤ هـ)

هو يزيد بن معاوية وأمه ميسون الكلبية ، وهى امرأة بدوية تزوجها معاوية قبل أن يلى الخلافة ولكنها لم تحتلم حياة الحضر ، ويروى عنها شمس تحن فيه الى حياة الخيام ودينيا البادية وتذم القصور والملابس المشفوف ، فأعادها معاوية الى أهلها ومعها ابنها يزيد ، فنشأ هذا فى البادية حيث أجاد اللغة والأدب والصيد ، بقدر ما جهل الخداع والسياسة والادارة .

البيعة ليزيد :

بدأت فكرة المبايعة ليزيد سنة ٤٩ هـ وكان الذى بدأ بها المغيرة ابن شعبة ، ويروى أنه أحس بأن معاوية يتوى عزله عن الكوفة ، فذهب الى الشام وقابل يزيد وقال له : ذهب أعيان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبراء قريش وذوو أسنانهم ، وانما بقى أبناؤهم وأنت من أفضلهم ولا أدرى ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة . قال : أو ترى ذلك يتم ؟ قال : نعم (١) .

وأخبر يزيد أباه بذلك الرأى ، فاستدعى معاوية المغيرة وسأله فى ذلك ، فحسّن المغيرة هذا الرأى ، ووصفه بأنه الطريق لحقن الدماء وجمع الكلمة ، فسأله معاوية : ومن لى بهذا ؟ فأجاب المغيرة : أنا أكفيك الكوفة ويكفيك زياد البصرة . وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك .

ويروى السيوطى (٢) دور المغيرة فى بيعة يزيد بصيغة أخرى ، قال : كتب معاوية الى المغيرة يقول : اذا قرأت كتابى فأقبل معزولا . فأبطل المغيرة على معاوية ، فلما حضر سأله : ما أبطل بك ؟ فأجاب : أمر كنت أوطئه وأهينته ،

(١) انظر الطبرى ج ٤ ص ٢٢٤ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥ .

قال : وما هو ؟ قال : البيعة ليزيد من بعدك • قال : أو قد فعلت ؟ قال : نعم
قال معاوية : ارجع الى عمك •

ورواية ابن عبد ربه في العقد الفريد قريبة من هذا (١) •

وعلى كل حال فقد وضع المنيرة هذه البذرة في أرض خصبة فبدأت
تنمو وتردهر ، وكوفئ عليها بأن عاد الى الكوفة دون أن يعزل ، وقل كذلك
ان حركة المغيرة كانت تعبيرا عن هوى في نفس معاوية • هوى أغلب الظن
أنه ساوره منذ مدة ، ولكنه كان ينتظر الأوان لبرازه ، فانتهاز معاوية هذه
الفرصة ليتحسس صدى هذا الرأي عند الآخرين ، فكتب الى زياد
يستشير ، فأجابه زياد بأن يترث ، وأضاف بأن يزيد صاحب تهاون مع
ما قد أولع به من الصيد (٢) • وكان القوم يعدون الصيد من أمور النزق
والطيش في ذلك الوقت ، فهدأت الفكرة الى حين •

ومات المغيرة ثم مات زياد ، وأصر معاوية على أن يحقق لابنه أمه ،
واعتمد على عبيد الله بن زياد وأمثاله ممن بدعوا يرسلون اليه الرسل
يؤيدون هذا الرأي ويثنون على يزيد • ولم يبق أمامه الا الحجاز يقوده
الحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن
ابن أبي بكر ، وعبد الله بن عباس ، وقد أعلن هؤلاء رفضهم لتعيين يزيد
وهاجموا هذه الفكرة ، فاضطر معاوية أن يذهب بنفسه اليهم بالامانة ،
فانتقل هؤلاء الى مكة ، فلحق بهم معاوية ، وهناك حادثهم وذكرهم ببره
بهم وبأهلهم ، وصلته لأرحامهم مع كرههم له ، ودعاهم لمبايعة ابن عمهم
يزيد ، فنفروا وثاروا فتوعدهم معاوية ، وصاح فيهم : « انى كنت أخطب
فيكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فأصفح ، وانى
اليوم قائم بمقالة ، وأقسم بالله لئن رد على أحد منكم كلمة في مقامى
لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه ، فلا يبقين رجلا

(١) اقرأ الجزء الأول ص ١٧ — ١٨ •

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٢٢٥ •

إلا على نفسه » ثم دعا صاحب حرسه أمامهم فقال له : أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين مع كل منهما سيف ، فإن ذهب رجل منهم يرد على وأنا أخطب بكلمة تصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما ، ثم خرج إلى المسجد وأخذهم معه ، ورقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا يبتز أمر دونهم ، ولا يقضى إلا عن مشورتهم ، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد فبايعوا على اسم الله ولما سمع الناس هذا القول اعتقدوا أن زعماءهم بايعوا فأقبلوا فبايعوا (١) .

ولما مات معاوية تجددت البيعة ليزيد رضى الناس أو كرهوا ، وامتنع عن البيعة الزعماء السابقون ، فكتب يزيد إلى واليه على المدينة أن يشدد على هؤلاء النفر ، فبايع ابن عمر وابن عباس ، وابن أبي بكر ، وامتنع الحسين ، وعبد الله بن الزبير وظلا على عنادهما ، وعمل كل منهما على أن ينال الأمر لنفسه ، وبدأ صراع سنعرض له فيما بعد ، سقط فيه الحسين في كربلاء في عهد يزيد ، فخلأ جو المعارضة لابن الزبير الذى كونه خلافة استمرت بنوع سنوات وظل يدافع عنها حتى سقط في عهد عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف .

معاوية والبيعة ليزيد :

هل كان معاوية مصيبا أو مخطئا في تعيينه ابنه يزيد خليفة من بعده ؟
عندى أن الاجابة عن هذا السؤال تكمن في بضع نقاط هي :

أولا : كان معاوية مصيبا في فكرة تعيين خليفة من بعده ، فالعالم الاسلامى آنذاك لم يكن قد نسي الأهوال التى مرت بعد قتل عثمان بسبب الطمع في الخلافة ، وقد أيد فكرة التعيين كبراء الحجاز الذين سبق ذكرهم

(١) انظر رواية الطبرى ج ٤ ص ٢٢٥ وما بعدها ، وقد أورد السيوطى في تاريخ الخلفاء ص ١٩٧ رواية أخرى تؤدى لنفس النتيجة ، وانظر كذلك العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٤ ص ٣٧١ وما بعدها .

عندما كتب معاوية لواليه على المدينة مروان بن الحكم يقول له : « انى كبرت سنى ودق عظمى وخشيت الاختلاف على الأمة من بعدى ، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بهذا الأمر بعدى ، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك ، فاعرض ذلك عليهم وأعلمنى بالذى يردون عليك » فلما أخبرهم مروان بنية معاوية فى تعيين خليفة من بعده وافقوا ، مع العلم أنه لم يحدد فى هذه المرحلة من سيكون ذلك الخليفة (١) .

ثانيا : نقم زعماء المدينة السالفو الذكر أن يعين معاوية ابنه خلفا له وصاح عبد الرحمن بن أبى بكر قائلًا : « ما الخيار أردتم لأمة محمد ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل » ووافقه على ذلك غيره من الزعماء بالمدينة ، ولعمري إن سؤالهما يخطر بالبال ويعجز الباحث أن يجد له جوابا وهو : لماذا لم يقل مثل هذا القول عندما كان على يطالب بالخلافة باسم قرابته من الرسول ؟ أو عندما تولى الحسن مكان أبيه عقب مقتل الأب ؟ ألا يجعلنا هذا نعتقد أن بنى هاشم هم الذين بدأوا بخلق فكرة التوارث فى الحكم الاسلامى ؟

ثالثا : ومن الناحية العملية كان نقل الخلافة من الأمويين الى غيرهم فى ذلك الوقت مطلبًا يكاد يكون مستحيلا ، فالولاة على الأقاليم كانوا من بنى أمية أو من أتباعهم ، وانتقال الحكم الى الحسن مثلا سيكون معناه عزل هؤلاء الولاة ، ثم رفضهم العزل أو رفض بعضهم ، ثم تكرار معارك الجمل ومبارك صفين على نحو أوسع . فلا يمكن أن نطالب بشئ دون أن يكون ممكن التنفيذ ، لقد كان الحكم فى عهدى أبى بكر وعمر يتبع هيئة معنوية هى الخلافة الاسلامية ، فأصبح بحكم الظروف آنذاك يتبع شخص الخليفة .

رابعا : لم يكن معاوية يقصد الخير للمسلمين فى تعيينه ابنه يزيد بقدْر

(١) اقرا « السياسة فى الفكر الاسلامى » للمؤلف ص ١١٠ وما بعدها

(م ٤ - التاريخ الاسلامى)

ما كان يقصد تهيئة أسباب السعادة لابنه ، وهذا مما يؤخذ عليه ، ولو كان يريد الخير للمسلمين لاختار من بنى أمية من هو أصلح من يزيد .

خامسا : على أن معاوية مع عظم سلطانه لم يستطع أن يهمل ديمقراطية الاسلام ، فنجدته يعمل عدة سنوات لتولية ابنه ، ويبدل العطاء ويقرب البعيد ، ويقوم برحلات نائية يسأل فيها الناس أن يبائعوا ليزيد ، ولولا ديمقراطية الاسلام لعين معاوية ابنه دون هذا العناء الذى تشعب وطال .

سادسا : لم يكن يزيد كفئا لهذا الأمر الضخم ، ولكن هل كان معارضوه أفضل منه ؟

هل يعدّ أفضل منه عبد الله بن الزبير الرجل الذى ينسب اليه أكثر من أى شخص آخر أنه أثار حرب الجمل ، ودفع بخالته عائشة وهى زوج الرسول الى أتون الحرب ، ففض بهذا عنها الحجاب الذى فرضته الآية الكريمة « وقرن فى بيوتكن » (١) ، وتسبب فى معركة خسر فيها الآلاف من المسلمين (٢) ؟ وهو كذلك الرجل الذى دفع بالحسين ليقاوم بنى أمية لا أملا فى نجاح الحسين ولا تأييدا له ، ولكن ليموت الحسين فيخلوا لابن الزبير الجو كما قال عبد الله بن العباس (٣) ، فاعتقداى أن مثل هذا الرجل لا يستوفى الصلاحية ليلى خلافة المسلمين .

وأما الحسين بن على ففضله أنه من الأرومة الطيبة ، وأنه قريب النسب بالمصطفى صلوات الله عليه ، وفيها عدا ذلك لا يثبت له التاريخ تجارب سياسية أو ادارية متعددة أو بارزة تجعله يفضل غيره فى جمل العبد ، ولعله أخطأ التوفيق حينما قبل دعوة أهل العراق وسار اليهم مع نسائه وأولاده ، وهو يعلم أن أهل العراق خذلوا أباه ، وأنهم كما

(١) سورة الاحزاب الآية ٢٣ .

(٢) اقرا تحقيق هذه الافكار وأسانيدها فى الجزء الاول من هذه الموسوعة

(٣) سيأتى هذا الموضوع عند الكلام عن الشيعة فيما بعد .

وصفهم الفرزدق له : قلوب ممة وسيوف مع بنى أمية وستشرح فيما بعد
فلسفة الحسين رضى الله عنه في هذا الموقف عند الكلام عن موقعة
كربلاء .

وأما عبد الله بن عمر فرجل آخره أكثر منه رجل سياسة وإدارة .

وأما عبد الرحمن بن أبى بكر فيصفه معاوية بقوله : إذا رأى أصحابه
فعلوا شيئاً فعل مثله ، ليس له همة إلا فى النساء واللهو (١) . وإذا صح
ذلك أو بعضه قلت أسهمه التى ترفعه الى حمل أعباء الخلافة .

وخلاصة القول أن تعيين معاوية خلفاً له عمل حكيم ، وأن كون
ال خليفة الجديد من بنى أمية أمر مسلم به للضرورة ، ولم يبق إلا تحديد
الأموى الذى يتولى الخلافة بعد معاوية ، ونعتقد أنه كان فى بنى أمية
من يفضل يزيد كعبد الملك بن مروان مثلاً ، وإن كان يزيد لم يكن أقل من
منافسيه كما سبق القول ، وقد أخذ على يزيد قتله للحسين ورميه الكعبة
بالمجنيق ، ولكن يجب أن يقتسم معه هذا الذنب أولئك الذين دفعوا
الحسين لثورة لا أمل فيها ، وعرضوا مكة لمقذوفات المنجنيق ، وسيأتى
تفصيل ذلك .

ونختتم هذا الموضوع بملاحظة واضحة هى أن أكثر الذين طمعوا فى
الخلافة ، أو رشحوا أنفسهم لها ، أو رشحهم الناس هم من أولاد الخلفاء ،
ومعنى هذا أن النظام الوراثى كان قد وجد طريقة الى أكثر القلوب
والعقول .

موقعة الهرة

ومن أهم الرجال الذين اعتمد عليهم يزيد ، عبيد الله بن زياد بن أبيه
ومسلم بن عقبة المري ، وقد مر الكلام عن الأول وسيجئ فيما بعد مزيد

(١) اقرا وصف معاوية لهؤلاء الأربعة فى الطبرى ج ٤ - ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

من الكلام عنه ، أما مسلم بن عقبة فأهم ما يرتبط باسمه موقعة الحرة ، ومن حديثها أن أهل المدينة خلعوا يزيد ، وسجنوا من بالمدينة من بنى أمية ثم أخرجوهم منها ، فأرسل إليهم يزيد ليعودوا إلى الطاعة دون قتال فامتنعوا ، فأرسل لهم جيشا كثيفا بقيادة مسلم بن عقبة المري ، وقال له يزيد : ادعهم إلى البيعة ثلاثة أيام دون حرب ، ولا تقاثلهم إلا بعد انقضاء هذه المدة ، ففعل مسلم ، ولكن أهل المدينة استمروا في عصيانهم ، فهاجمهم مسلم من جهة الحرة ، وانتصر عليهم ، وأباح المدينة لجنده ثلاثة أيام (١) ، وكان ذلك في ذي الحجة سنة ٦٣ هـ .

ومن الأسباب الهامة التي أدت إلى هزيمة أهل المدينة نذكر سببين رئيسيين .

الأول : أن أهل المدينة أخرجوا بنى أمية منها ، واكتفوا منهم بأن أخذوا عليهم العهود ألا يدلّثوا على عوراتهم ، وألا يظاهروا عليهم ، وذلك كما ترى عمل ساذج ، فلا بد لبنى أمية المطرودين أن يساعدوا ذويهم ، وأن يرشدوهم إلى أيسر الطرق للتغلب على هؤلاء المتمردين على سلطان أسرته ، وهذا ما كان ، فقد أدلى عبد الملك بن مروان لمسلم بن عقبة بمعلومات وأفكار كانت من أهم أسباب النصر السريع ، فبناء على رواية الطبرى نصح عبد الملك مسلما أن يختار الحرة مكانا لهجومه ، وأن يبدأ الهجوم في مطلع النهار حيث تكون الشمس بين أكثاف أهل الشام فلا تؤذيهم ، وتكون في وجوه أهل المدينة فيصيبهم إذاها ويصيبهم شعاعها (٢) .

الثاني : أن أهل المدينة ولوا عليهم رجلين ، قولى الأنصار عبد الله ابن حنظلة ، وولت قريش عبد الله بن مطيع ، وكان هذا دليل تفكك وانقسام من أول الأمر ، ويروى أن عبد الله بن عباس لما سمع بذلك قال : أميران !! هلك القوم (٣) .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٧٠ وما بعدها . والفخرى في الأدب السلطانية ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٣٧٣ .

(٣) ابن عبد ربه ، المعتد الفريد ج ٤ ص ٣٨٨ .

ولقد سقط في موقعة الحرة خيرة أبناء الأنصار والمهاجرين ، فمن المسئول عن هذه المعركة وهؤلاء الضحايا ؟

لست أستطيع أن أخلى أهل المدينة من مسئولية كبيرة ، فهب أن يزيد لم يكن صالحا للخلافة ، ولكن التفكير الاسلامي واضح في أن « الامام الجائر خير من الفتنة ، وكل لا خير ، وفي بعض الشر خيار » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (١) ، ولم يكن أهل المدينة يستطيعون أن يقفوا في وجه جيش الشام بعدده وعدده ، فلماذا استمروا في عصيانهم ؟ وقد دعاهم مسلم ثلاثة أيام وهو يحدق بهم ، ولكن العصبية والكبرياء دفعا القوم الى الاستمرار في اشعال هذه النار التي صاروا لها حطباً بعد وقت وجيز .

لا نخلى مسلم بن عقبة من مسئولية باهظة لحرقه وإسرافه في إراقة الدماء ، فالرجل كان مريضاً ، وكانت إحدى رجليه في المعركة والأخرى تتقدم إلى القبر ، ولكنه أراد أن يختم حياته بهذه القسوة وتلك الوحشية فلم يكتف بالانتصار واخضاع الثائرين ، ولكنه أباح مدينة الرسول ثلاثة أيام للجيش المنتصر ، كما استمر في إراقة الدماء بعد أن كتب له النصر ، وإذا كان ليزيد في هذا التصرف الأهوج فهو شريك لمسلم في هذه المسئولية .

نهاية يزيد :

كانت نهاية يزيد قريية ، فقد كان حكمه حوالى ثلاث سنوات فقط ، ومات وهو في شباب غض ، ولم يهنأ يزيد بالخلافة يوماً واحداً فقد ثارت في وجهه الأحداث ، فأخذ يعالجها ، ولكن العلاج كان أقسى من الداء ، ثار في وجهه الحسين كما سيأتى تفصيله عند الكلام عن الشيعة ، فقتله له عبيد الله ابن زياد ، وفتح قتله باباً من الشر على بنى أمية لم يقفل قط .

(١) اقرأ من هذا الموضوع في كتاب « السياسة في الفكر الاسلامي » للمؤلف .

وئارت عليه المدينة فكانت موقعة الحرة المشؤومة التى أراق مسلم بن عقبة فيها دماء مئات من الصحابة الأجلاء ومن أبنائهم ، فجلب ذلك الفعل بسخط المسلمين على يزيد •

وئار عليه ابن الزبير بمكة فأرسل جيشا رمى الكعبة بالمنجنيق وهدمها كما سيأتى بيانه عند الحديث عن ثورة ابن الزبير ، ويقول ابن طباطبا أن ولاية يزيد كانت ثلاث سنين وبضعة أشهر ، وفى السنة الأولى قتل الحسين ابن على ، وفى السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام ، وفى السنة الثالثة غزا الكعبة (١) •

ومات يزيد وخلف هذه التركة المثقلة ، فناء بها ابنه ، وحمها مروان ابن الحكم مدة عام ، ثم تولى حملها البطل عبد الملك بن مروان فاستطاع أن يلم الشعب ويوحد العالم الاسلامى مرة أخرى ، ويضمن عمرا جديدا للخلافة الأموية ، بعد أن كانت هذه الخلافة على وشك الزوال كما سيأتى فيما بعد •

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٩٨ ورواية الطبرى (ج ٦ ص ٣٧٠) تجعل موقعة الحرة سنة ٦٣ ، ومعنى هذا أن سنة ٦٢ لم يكن فيها أى من هذه الأحداث الثلاثة •

معاوية الثانى (٦٤ هـ)

لا نخصص فراغا طويلا للحديث عن معاوية الثانى ، فقد كان شابا ضعيفا لم تطل خلافته أكثر من أربعين يوما ، ثم تنازل عن الخلافة لرضه ، وانزوى فى بيته حتى مات بعد ثلاثة أشهر •

كيف آلت الخلافة الى هذا الشاب المريض الذى لم يطمع فيها قط ؟ الجواب أن جده معاوية وضع أسس الوراثة فى الخلافة ، وكافح سنين عدة لتنتم البيعة ليزيد ، وبالتالي تهيأ الناس للأخذ بهذا النظام ، ولذلك بايع أهل الشام لمعاوية الثانى بعد موت أبيه ، ولكن ابن الزبير كان قد أعلن نفسه خليفة فى عهد يزيد ، ومات يزيد قبل القضاء على ابن الزبير ، ولما مات يزيد كبر أمل ابن الزبير فى النجاح ، وجاء معاوية الثانى فى هذه الظروف فأدرك أنه لا قوة له للاشتراك فى هذا الصراع ، فجمع الناس بالمسجد وخطب فيهم خطبة قال فيها ، انى قد ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين امتنحناه أبو بكر فلم أجده ، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم ، فأنتم أولى بأمركم ، فاختروا له من أحببتهم ، فما كنت لأترودها ميتا وما استمتعت بها حيا (١) •

وانتهت بذلك صفحة معاوية الثانى من التاريخ ، وانتهى بانتهائه العهد السفينى وبدأ العهد الأموى الثانى ، وهو عهد بنى الحكم بن أبى العاص بن أمية ، ويروى أن عبد الملك بن مروان كان يرى أن بسرعة نهاية الفرع السفينى جاءت نتيجة لقتل الحسين ، ولذلك كتب الى الحجاج يقول : جنبنى دماء بنى عبد المطلب فليس فيها شفاء الحرب (يفتح الرأى ومعناه الغضب) وانى رأيت بنى حرب تداعى ملكهم لما قتلوا الحسين ابن على (٢) •

(١) الطبرى ج ٤ ص ٤٠٩ ، وانظر كذلك الفخرى لابن طباطبا ص ١٠٢ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣١١ •
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤٠١ •

مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥ هـ)

مر بنا الحديث عن مروان بن الحكم في عهد عثمان وفي موقعة الجمل ولما انتهت موقعة الجمل اعتزل مروان السياسة وباع عليا وأقام بالمدينة ، ولما آلت الخلافة الى معاوية قرية معاوية اعترافا بالمساعدات التي قدمها اليه يوم كان حاملا لختام عثمان ، وإيماننا منه بأن مروان لعب دورا هاما في حرب الجمل أضعف به عليا وقضى بسهمه على طلحة ، وأما مبايعته لعلي بعد ذلك فقد أخذها معاوية على أنها ضرورة لحماية مصالح بني أمية بمكة والمدينة ، يضاف الى ذلك حلم معاوية الذي اتسع للجميع ، ورغبته في الاستفادة من الكفاءات المختلفة .

وعلى هذا ولى معاوية مروان ولاية المدينة ، وفي عهد يزيد كان مروان مقربا اليه وكان بين مشيريه بدمشق . ومات يزيد ، ثم تنازل خلفه عن الخلافة دون أن يعين من يخلفه . واختلفت كلمة بني أمية فيما بينهم ، واختلف الناس عليهم ، فأوشك ملكهم أن يضيع ، ويروى أن مروان نفسه كان على وشك أن ينطلق لابن الزبير فيبايعه لولا أن عبید الله بن زياد قال له : « استحييت لك مما تريد ، أنت كبير قریش وسيدها تصنع ما تصنعه؟ » فدب الأمل في نفس مروان وأجاب : ما فات شيء (١) .

وكانت حالة ابن الزبير في ذلك الوقت في تقدم واضح ، فقد دان له الحجاز ، وتبعه أهل الكوفة والبصرة — وكان عبید الله بن زياد قد أخلاهما وفر تحت ضغط الأحداث — كما تبعه أهل الجزيرة وأمراء الشام وهم من قيس ، ولم يبق على الولاء لبني أمية الا الأردن وكان واليها جسان بن مالك من كلب (٢) . وتلك النتيجة التي حققها عبد الله بن الزبير أو تحققت له ، جعلت بعض المؤرخين يراه خليفة ذلك العصر ، ويعد مروان بن الحكم

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٠٩ ، ٤١٢ .

(٢) الطبری ج ٤ ص ١٠٨ ، ١١٠ .

متمردا عليه ولا يعترف هؤلاء بخلافة مروان ، كما لا يعترفون بخلافة عبد الملك الا من يوم موت ابن الزبير واجتماع الكلمة على عبد الملك (١) .

ويجدر بنا أن نعطي بعض التفاصيل عن الحسالة بالشام في ذلك العهد ، فان العصبية كانت قد بدأت تظهر بين عرب الشمال (قيس) وعرب الجنوب (كلب) ، وكان عرب الشمال يميلون الى ابن الزبير فبايعوا له وعلى رأسهم الضحاك بن قيس أمير دمشق ، والنعمان بن بشير أمير حمص ، وزفر بن الحارث الكلابي أمير قنسرين ، أما كلب فكانت تعضد الأمويين ولكنها انقسمت على نفسها ، فبعضها يريد البيعة لخالد بن يزيد ابن معاوية لأنهم أحوال أبيه ، ولأن منزلته ستكون لهم كما عبر عن ذلك مالك بن هبيرة ، وبعضهم يريد البيعة لمروان بن الحكم لسنه وتجاربه ، وكان على رأس هؤلاء الحصين بن نمير الذي أجاب : لا ، بعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتهم بصبى ، وأخيرا اجتمعت كلمة كلب وبنى أمية في مؤتمر الجابية الذي عقد في ذي العقدة سنة ٦٤ على البيعة لمروان بن الحكم ، ثم خالد بن يزيد من بعده ، ثم عمرو بن سعيد بن العاص (٢) . وبهذا رضى كل الطامعين في الخلافة من بنى أمية كما رضى أتباعهم .

كان أمام مروان صراع طويل ، أوله صراع بالشام مع القيسية الذين يقودهم الضحاك بن قيس ، وبعد ذلك يخرج الصراع الى العراق والحجاز ومصر وغيرها ، وقد حصلت موقعة كبيرة بين الضحاك وبين مروان في « مرج راهط » في المحرم سنة ٦٥ هـ قتل فيها الضحاك وكثيرون من قومه وفر بعدها النعمان وزفر ، وخلت الشام بذلك لمروان (٣) . وبعدها سار الى مصر فافتتحها وبايعه أهلها وترك بها ابنه عبد العزيز والياً عليها ، وأرسل عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق الى فلسطين حيث كان مصعب بن الزبير قد زحف عليها ، فانتصر عمرو في هذه المعركة ، وعاجلت المنية

(١) اقرأ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ والعقد الفريد

ج ٤ ص ٣١٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٠٩ — ٤١٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٤١٥ — ٤١٧ .

مروان قبل أن تظهر نتيجة الصراع الذي بدأ في الحجاز والعراق فمات في رمضان سنة ٦٥ هـ بعد أن عهد بالخلافة من بعده لابنه عبد الملك ثم عبد العزيز وأهمل قسم مؤتمر الجابية السالف الذكر (١) .

وكان مروان يتمتع بحكمة وسداد رأى وفصاحة وشجاعة ، وكان يجيد قراءة القرآن ، ويروى كثيرا من الحديث عن كبار الصحابة وبخاصة عن عمر بن الخطاب وعثمان ، واليه يرجع الفضل في ضبط المكايل والموازن .

ومن أهم الرجال الذين اعتمد عليهم مروان ، عبيد الله بن زياد وعبد الملك بن مروان وعبد العزيز بن مروان . وقد تحدثنا من قبل عن عبيد الله وسنعود للحديث عنه فيما بعد ، أما عبد الملك فلنا عنه حديث طويل عند الكلام عن خلافته ، والحديث على خلافة عبد الملك سيشمل كذلك حديثا عن أخيه عبد العزيز بن مروان .

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٧٤ .

عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ)

عبد الملك هو المؤسس الثاني للدولة الأموية ، تولى الخلافة والعالم الاسلامي منتفكاً ، فابن الزبير أعلن نفسه خليفة في الحجاز ، والشيعية ثائرون ، والخوارج متمردون ، والمختار بن أبى عبيد الثقفى يقود جيشاً كبيراً يبطش به دون أن يعرف لماذا يبطش ، وسيأتى تفصيل الكلام عنه ، وقد استطاع عبد الملك أن يرد البلاد كلها الى الطاعة ، وأن يقضى على كل تمرد وعصيان ، فاستحق أن يوصف بأنه المؤسس الثانى للدولة الأموية •

وعبد الملك كان يتمتع بثقافة عالية وكان يعد أحد فقهاء المدينة ، من طبقة سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ، ويقول الشعبى عنه ما ذكرت أحداً الا وجدت لى الفضل عليه الا عبد الملك فانى ما ذكرتته حديثاً الا زادنى فيه ، ولا شعرا الا زادنى فيه (١) • وكان يقال فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيب وعبد الملك بن مروان وعروة بن الزبير وقبيصة بن ذؤيب • وقال ابن عمر عنه : وكَدَ الناس أبناءً وولَدَ مروان أباً (٢) •

وقد عهد له أبوه بالخلافة بعد فترة قصيرة من مؤتمر الجابية الذى تقرر فيه أن يلى خالد بن يزيد الخلافة بعد مروان ، ثم يليها من بعده عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يحدث التغيير الذى قام به مروان أثراً عند خالد وأنصاره لأن العالم الاسلامى — كما قلنا من قبل كان قد اتجه الى نظام التوارث السياسى ، ثم لأن شخصية عبد الملك كانت ترجح كل شخصيات ذلك العهد تقريباً ، وقد سخط على بيعة عبد الملك عمرو بن سعيد فدفع رأسه ثمناً لهذا السخط كما سيأتى فيما بعد •

(١) الفخرى ص ١٠٦ •

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ١١٦ •

ويبدو أن عبد الملك كان رجل الساعة ، فقد كان ثابت الجاش لا ترعزعه الشدائد ، بل كان يميل الى مصارعة الشدائد ليزعزعها هو . ويروى المسعودي (١) أن عبد الملك سار على رأس الجنود الشامية ليساعد عبيد الله ابن زياد الذي كان يحارب المختار بن أبي عبيد ، وحط عبد الملك رحاله في الطريق ليلة ، فجاءه خبر مقتل عبيد الله وانهمزام جنده ، ثم جاءه بعد قليل خبر انهمزام جيشه الذي أرسله لمحاربة ابن الزبير بالمدينة ، وتلاه خبر ثالث بدخول جنود ابن الزبير أرض فلسطين ، وخبر رابع بمسير امبراطور الروم مهاجما حدود الدولة الاسلامية عند المصيصة ، وخبر خامس بأن عبيد دمشق وأوياسها أطلقوا المسجونين وهاجموا السكان ، وخبر سادس أن بعض الاعراب أغاروا على حمص ويعطبك . . . قال المسعودي : يترَوَى أن عبد الملك لم يترك ليلة قبلها أشد ضحكا ولا أحسن وجها ولا أبسط لسانا ولا أثبت جنانا من تلك الليلة تجلدا وسياسة . وواجه هذه الأحداث وانتصر عليها ، وأعاد الأمن وقطع دابر الفتنة .

ومن أهم الأحداث التي واجهت عبد الملك ثورة عمرو بن سعيد الأسدي ، وقد كان عمرو يطمع في الخلافة بعد مروان ، وكان مروان فيما يبدو يطمعه أن يقدمه على خالد لحدثه سن خالد ولا تشغاله بالعلوم عن الخلافة ، ولهذا نجد عمرو بن سعيد يجاهد الأبطال ليثبت الأمر لمروان ولكن مروان خدعه وولى عهده واديه عبد الملك ثم عبد العزيز .

ورأى عبد الملك من الحكمة أن يدا من عمرا فيبدو أنه وعده بالخلافة من بعده وفكره أن من العار أن يختلف بنو أمية وهناك ابن الزبير على وشك أن يقتصر أمره ويسحق أعداءه ، فبقى عمرو بين القفاعة بهذا الوعد وبين الرغبة في اعلانه وتثبيتته ، وظل الحال على ذلك حتى سنة ٦٩ أو سنة ٧٠ هـ حيث خرج عبد الملك تجاه العراق يريد مصعب بن الزبير ومعه عمرو ، فقال هذا لعبد الملك : قد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده ، وعلى هذا

(١) مروج الذهب ج ٢ ١١٣ ، وانظر كذلك تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٢١ .

جاهدت معه وكان من بلائى معه ما لم يخف عليك ، فلجعل لى علنا هذا الأمر من بعدك • فلم يجبه عبد الملك بشيء • فانصرف عمرو عائدا الى دمشق فى غفلة من عبد الملك ، وهناك استولى عليها وتحصن بها ، ولما عرف عبد الملك ذلك عاد الى دمشق ودارت مناوشات بين الاثنين ولعبت السياسة دورا هاما فاصطالح الاثنان وعاد مظهر الصفاء بينهما ، ولكن عبد الملك لم يغفر لعمرو خروجه عليه ، ووجد أن ملكه مزعزع ما دام عمرو سبيء النية به •

وفى احدى الليالى أعد عبد الملك عدته واستدعى عمرا لزيارته فخرج هذا اليه فى عدة من مواليه وأتباعه ، ودخل عمرو ولكن أتباعه كانوا يحجزون أولا بأول خلف الأبواب ، فلما وصل عمرو الى حيث يجلس عبد الملك كان عمرو وحده ليس معه الا وصيف واحد ، وفتك عبد الملك بعمرو ، ولما أحس بأعوان عمرو يهتفون به ويحيطون بالقصر ألقى اليهم رأسه وألقى معها بذكر الأموال ، فلما رأى الناس رأس عمرو يثسوا من مساعدته وأنهالوا على بدر الأموال يلتقطونها وينصرفون بها ، واستتب أمر دمشق لعبد الملك (١) •

عبد الملك : كفايته وأعماله :

كان عبد الملك يقود جيوشه بنفسه فى أكثر الأحوال • وكان النصر حليفه ، ومن أهم المعارك التى قادها معركة العراق ضد مصعب بن الزبير وقد انتصر فيها عبد الملك وقتل مصعب ، وسيأتى مزيد من الكلام عن عبد الله بن الزبير وصراعه مع الدولة الأموية ، ولكننا هنا نقول أن عبد الملك حينما أراد أن يقود جيش الشام ليلتقى بمصعب أشار عليه رؤساء أهل الشام أن يقيم هو بالشام ويبعث على الجيوش قائدا غيره ، فان لحقت جيوشه فذاك والا أمدهم بجيوش أخرى ، وقالوا له : اننا نخشى أن

(١) اقرأ القصة كاملة فى الطبرى ج ٤ ص ٥٩٦ - ٦٠٠ ، والمعتمد الفريد ج ٤ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ، والامامة والسياسة ج ٢ ص ٢٣ - ٢٥ •

تصاب بسوء فلا يكون للناس ملك يدبر أمرهم ، فأجاب عبد الملك : أنه لا يقوم بهذا الأمر الا قرئى له شجاعة وله رأى فى الحروب وله فراسة وسياسة ، وانى أجد هذه الشروط فى نفسى ، فأوثر أن أتولى أنا قيادة هذه الجيوش (١) .

ومن أخلاق عبد الملك اعتداده بنفسه وإيمانه أنه ليس هناك من يضارعه من معاصريه ، وهو يقول فى ذلك : ما أعلم أحدا أقوى على هذا الأمر منى ، وأن ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ، ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائسا (٢) .

ومن أعمال عبد الملك المجيدة أنه عرّب الدواوين ، فقد كان ديوان الشام يكتب باليونانية ، وكان ديوان فارس يكتب بالفارسية ، وكان ديوان مصر يكتب بالقبطية ، فعزم عبد الملك على نقلها جميعا الى اللغة العربية وقد تم فى حياته نقل ديوان الشام الى العربية على يد سليمان بن سعد ونقل ديوان فارس على يد صالح بن عبد الرحمن ، أما ديوان مصر فقد تم نقله فى عهد الوليد (٣) وهناك مزيد من الكلام عن حركة التعريب عند الكلام على الدواوين فى كتاب « السياسة فى الفكر الاسلامى » .

ومن الأعمال المجيدة لعبد الملك أيضا سك النقود الاسلامية سكا منتظما (٤) .

ومن أعظم رجال عبد الملك أخوه عبد العزيز وقائده الشهير الحجاج ابن يوسف الثقفى ، أما أخوه عبد العزيز فقد صحب أباه مروان بن الحكم عندما ذهب ليسترد مصر من عامل ابن الزبير ، ولما تم لمروان ذلك ولى ابنه

(١) الطبرى ج ٥ ص ٦ - ٧ (٢) المرجع السابق ٢١٣ .
(٣) عن نقل ديوان الشام اقرا البلاغرى ص ١٩٦ - ١٩٨ ، وعن ديوان فارس اقرا ص ٣٩٨ .
(٤) عن امر النقود اقرا البلاغرى ص ٢٤١ و ٤٥١ - ٤٥٦ و « الاقتصاد فى الفكر الاسلامى للمؤلف » .

عبد العزيز عليها وعاد هو . وقد كان عهد عبد العزيز من أحسن العهود على مصر ، أدخل خلاله ألوانا من الإصلاحات ، فبنى مقياس النيل ، وأقام قنطرة على خليج أمير المؤمنين ، كما أعاد بناء جامع عمرو وزاد فيه من جهاته الأربع (١) ، وقد عفى عبد العزيز بمدينة حلوان عناية كبيرة ، واتجه لأعدادها لتكون عاصمة أمارته ، فأنشأ بها بركة ماء ، وغرس الأشجار والنخيل ، وأقام المساجد ، ونقل لها بيت المال ودواوين الحكومة ، وكان عبد العزيز سمحا كريما لم يدخر مالا يذكر مع أن مصر كانت طعمة له ، أى لا يرسل من دخلها شيئا لعاصمة الدولة الإسلامية ، ويروى أنه أنفق كل ثروته ، فلما مات لم يترك غير سبعة آلاف دينار وهو مبلغ زهيد إذا قيس بهذا الرجل ومكانته وثرائه .

الحجاج بن يوسف ، ماله وما عليه :

كان الحجاج فيما نعرف أشهر القواد المسلمين ، وربما جاءت شهرته من ناحية بطونته ومقدرته الحربية التى استطاع بها أن يثبت عرش بنى أمية وكان يهتر تحت خلفاء الأمويين ، وربما جاءت هذه الشهرة من ناحية قسوته وعنفه وسفكه الدماء بحق أو بدون حق ، ومن المؤرخين من يلومه على ما أزهد من أرواح وما سفك من دماء ، ومنهم من يلتمس له العذر ذاكرين أن الفتن بالعراق كانت متصلة ، وأن تاريخ العراق يثبت أنه لم يعرف الدعة الا فى ظل القهر والدماء والتنكيل ، فالمؤرخون بهذا يلقون اللوم على التأثيرين لا على من أطفأ الثورة ، ولكن المقياس الذى نراه صحيحا هو اباحة الشدة اللازمة لضمان الأمن والسلام ، وأعتقد أن الحجاج كان يستطيع أن يحقق ذلك بأقل مما سفك من دماء وما أزهد من أرواح ولذلك لا نخليه من مسئولية ما سفك من دماء وما وزع من أموال بدون مبرر . وقد أدرك عبد الملك اسراف الحجاج فى الدماء والأموال فكتب إليه « أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك فى الدماء وتبذيرك فى الأموال ،

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢١٥ .

ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس ، وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء بالدية في الخطأ وبالقود في العمد ، وحكم عليك في الأموال بردها الى مواضعها .. » وقد رد الحجاج بكتاب جاء فيه : « أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري في الأموال ، ولعمري ما بلغت في عقوبتي أهل المعصية ما هم أهلهم ، وما قضيت حق أهل الطاعة بما استحقوه ... » والله ما قتلت الا فيك ولا أعطيت الا لك ... » .

وسنرى من استعراض الأحوال في ذلك العهد أن قسوة الحجاج كانت ضرورية ، ولكتها كما قلنا قد دخلها السرف :

الصراع حول الكوفة بين عبد الملك والمختار وابن الزبير :

كان المختار بن أبي عبيد الشائر بالكوفة عدوا لكل من عبد الملك وعبد الله بن الزبير ، ولذلك اشترك الاثنان في محاربته ، لأن كل واحد من هذين الاثنين كان يرغب في ضم مدُن العراق اليه ، ومن أهم المعارك التي وقعت موقعة الجازر ، وكان يقود جيش عبد الملك قائده عبيد الله بن زياد ، أما جيوش المختار ، فكان يقودها ابراهيم بن الأستر ، وقد دارت الدائرة على ابن زياد وقتل هو وحصين بن نمير وعدد كبير من جند الشام واستقرت الكوفة بذلك للمختار (١) .

وحينئذ ولى ابن الزبير أخاه مصعبا على البصرة وأمره بتخليص الكوفة من المختار ، فسار بجيش كبير وكانت ضلالات المختار قد ظهرت ، فتخلى عنه لذلك ابراهيم بن الأستر ووجوه أهل الكوفة ، فقتله مصعب وقتل من بقى معه وخلص العراق بذلك لابن الزبير (٢) .

(١) ابن عدي ربه : العقد الفريد ٤ : ٤٠٤ ويروى صاحب الفخرى أن عبيد الله بن زياد قتل في عهد مروان بن الحكم في معركة ضد جيوش المختار (انظر ص ١٠٤) .

(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٤٠٥ .

ولم يهنا ابن الزبير بالنصر الذي أحرزه ضد المختار ، إذ أن عبد الملك سرعان ما سار بنفسه ومعه قادته وجنده إلى العراق والتقى بمصعب ومعه جنده العراقيون ، ولكنهم سرعان ما انقضوا من حوله فهزم وقتل غيلة (١) ، وكان الحجاج ضمن قادة عبد الملك في هذه المعركة ، ولما قتل مصعب استسلم قادته فأمنهم عبد الملك وأبقاهم في مناصب القيادة ومن هؤلاء المهلب ابن أبي صفرة الذي أصبح من خيرة القادة للخلفاء الأمويين وإبراهيم بن الأشتر الذي كان قد اصطنعه مصعب ثم أمنه عبد الملك بعد قتل مصعب .

ولم يبق أمام عبد الملك إلا الحجاز حول ابن الزبير ، فأرسل عبد الملك قائده الحجاج لمقاتلته ، فسار الحجاج سنة ٧٢ هـ وحاصر مكة ورمأها بالمجانيق . واشتدت الحال على أهل مكة حتى تخلوا عن ابن الزبير ، وكان ممن تخلى عنه ابنه حمزة وحبيب ، واستشار ابن الزبير أمه فيما يفعل ، فأشارت عليه أن يظل يدافع عن عقيدته حتى يموت كما مات أصحابه ، فاستجاب لرأيها وصمد في المعركة حتى قتل وعين عبد الملك الحجاج والياً على الحجاز .

وتجددت الفتن بالعراق كالعهد به ، فلم يجد عبد الملك بدا من تعيين الحجاج والياً على العراق ليقمع تمرد غنقله من ولاية الحجاز إلى ولاية العراق فسار للكوفة سنة ٧٥ هـ ودخلها في اثني عشر ركباً ، وصعد المنبر وهو ملثم ثم كشف اللثام وألقى خطابه الشهير الذي جاء فيه :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العلامة تعرفوني

يا أهل الكوفة اني لأرى رعوساً قد أينعت وحن قطفها واني

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٤١٠ .

(م هـ - التاريخ الاسلامي)

لصاحبها ، وكأني والله أنظر الى الدماء بين اللحي والعمائم ... وانكم كأهل قرية » كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » (١) . وبعد أن أتم خطابه القاسي المملوء بالتهديد والتحذير أمر غلامه أن يقرأ عليهم كتاب الخليفة اليهم فقرأ الغلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الملك أمير المؤمنين الى من الكوفة من المسلمين ، سلام عليكم . فلم يردوا السلام ، فقال الحجاج للغلام : توقف ، والتفت الحجاج للناس وصاح فيهم : يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون ، والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن ، اقرأ يا غلام . فبدأ الغلام يقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الملك أمير المؤمنين الى من بالكوفة من المسلمين ، سلام عليكم . فلم يبق أحد بالمسجد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام (٢) وترك الحجاج الكوفة الى البصرة حيث كرر شدته ووعيده ، وخضع أهل البصرة واستكانوا كما فعل أهل الكوفة . وامتد نفوذ الحجاج بعد ذلك حتى شمل الشرق كله ، فعين من قبيله المهلب بن أبي صفرة واليها على خراسان وظل هذا في خراسان حتى وفاته سنة ٨٣ هـ (٣) .

ويعلق الأستاذ الخضري على موقف أهل العراق من الحجاج بقوله : وتبين هذه الخطبة حال أهل العراق وسكونهم الى الذلة ، يجيئهم الحجاج في بضعة عشر راكبا ، وفيهم الأشراف والرؤساء فيخطبهم ويتوعدهم بالمصائب وهم ساكتون لا يرد أحد منهم عليه قولاً ، ويوبخهم على ترك السلام على أمير المؤمنين فيستكينون ويخضعون ، وهم الذين فتحو أبواب الشرور (٤) .

(١) سورة النحل الآية ١١٢ .

(٢) الجرد : الكامل ج ١ ص ٣٣٣ - ٢٣٤ .

(٣) ابن قتبية : المعارف ص ٢٠٤ .

(٤) محاضرات في التاريخ الاسلامي ج ٢ ص ١٤٥ .

فتنة ابن الأشعث :

وخضع أهل العراق لتهديد الحجاج وأمرهم بالانضمام لجيوشه ففعلوا ، فجند من الكوفة عشرين ألفا ، ومن البصرة عدداً مثل ذلك ، وأمر عليهم عبد الرحمن بن الأشعث الذي ينحدر من كندة ، تلك القبيلة التي كان منها ملوك في الجزيرة العربية قبل الاسلام (١) . وأرسل الحجاج عبد الرحمن وجيشه الى سجستان لحرب الملك رتييل ملك الترك ، وكان بين هذا الملك وبين المسلمين عهد على أن يدفع جزية ، ثم نقض العهد ، وهجم على سجستان الاسلامية ، وهزم جيش المسلمين ، وقتل والي سجستان عبيد الله بن أبي بكر ، فسير اليه الحجاج جيش العراق بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث الذي نجح في جولته الأولى نجاحاً عظيماً ، وفتح كثيراً من البلاد ، ثم توقف من تلقاء نفسه زاعماً أن من الخير ألا يتعمق في تلك البلاد دفعة واحدة ، بل أن يأخذها مرحلة مرحلة ، وأن يجعل كل مرحلة في عام وكتب للحجاج بذلك ، فرد عليه الحجاج مسفهاً رأيه ، طالباً منه أن يستمر في السير ، فعرض عبد الرحمن بن الأشعث الأمر على جنوده واستشارهم ايطيع أم يخالف ، وهيات أن يشير أهل العراق بالطاعة ، وهم يرون في الحجاج عدوهم الأول ، وقائد أعدائهم بنى أمية ، ثم أن الفتنة من طبيعتهم ، فزينوا له المخالفة ، وأكدوا له طاعتهم له واتباعهم لأمره فيما يتخذ من خطوات (٢) .

وهكذا استدار الجيش الذي أعده الحجاج ، ليحارب الحجاج ، وهكذا كانت فتنة ابن الأشعث الشهيرة ، وقدّر لها أن تصادف بعض النجاح فقد هزم ابن الأشعث جيوش الحجاج واستولى على البصرة سنة ٨١ هـ ، ثم استولى ابن الأشعث على الكوفة سنة ٨٢ هـ ، وجرت بعد ذلك سلسلة من المعارك الفاصلة الطويلة في المكان المعروف بدير الجماجم سنة ٨٤ هـ ، واستمرت هذه المعارك حوالي مائة يوم ، وواصل عبد الملك إرسال المسدد

(١) اقرأ عن بني الأشعث ملوك كندة في الجزء السابع من هذه الموسوعة

(٢) الطبري ج ٥ ص ١٤٠ — ١٤٦

الى الحجاج حتى تم له النصر في هذه المعارك وفي معارك مسكن « حيث استنزف القتال بين الحجاج وبين ابن الأشعث مع فلول جيشه ، وفي فتنة ابن الأشعث هذه سقط الآف لا تحصى من أشرف العساق ورؤسائه ، برأى الحجاج في قتل الأسرى بعد موقعتي هير الجماجم ومسكن ، فكان ذلك مما أضعف فتن العراق بعد ذلك ، أما ابن الأشعث فقد فر ولجأ الى دمايل فطلبه الحجاج فقتل نفسه وأرسلت رأسه الى الحجاج (١) »

وقبل أن نترك فتنة ابن الأشعث يجدر بنا أن نشير الى رؤية أوردها الطبرى لأنها أن صحت تعد سقطة كبيرة من سقطات الحجاج ، فقد روى الطبرى (٢) أن ابن الأشعث كان أبغض رجل الى الحجاج بالعراق ، وأن الحجاج كان يقول : ما رأيته قط الا أردت قتله ، ويروى الطبرى كذلك أن الحجاج لما عين ابن الأشعث على جيش العراق جاء اسماعيل بن الأشعث الى الحجاج فقال له : لا تبعثه فأنى أخاف خلافه ، ووالله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لواله من الولاة عليه طاعة وسلطانا « فقال الحجاج : ليس هناك ما هو أرغب لى من أن يخالف أمسى أو يخرج من طاعتي » وأمضاه على ذلك »

ان عهدنا بالحجاج أنه فطن ذكى لا يولى عدوا يبيادله الكراهية على أحد جيوشه الكبيرة ، ولكن اذا صحت هذه الروايات فأنها كما قلنا أنفسا سقطة عظمى تحسب على الحجاج ويحتمل وزرها ، وبخاصة أن الجيش عراقى دأبه العصيان والتمرد ما وجد لذلك سبيلا ، وبين هذا الجيش وبين الحجاج ترات عظيمة وغل قديم ، ويقول الطبرى (٣) أن أهل العراق أغروا ابن الأشعث بالثورة لاجتماعهم على بغض الحجاج والكراهية له »

وقد بلغ من قسوة الفتنة أن عبد الملك أبدى استعدادا للتضحية بقائده الحجاج وعزله عن العراق اذا كان ذلك يرضى العراقيين ويعيدهم

(١) انظر الطبرى ج ٥ ص ١٤٦ - ١٨٨ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٣) الرجوع السابق ج ٥ ص ١٦٥ .

الى الطاعة (١) ، ولكي أهل العراق ما كانوا يطلبون غير التمرد وسفك الدماء ، ولم يكن لهم فيما يبدو هدف ثابت في تلك الأثناء .

اصلاحات الحجاج :

بقى هناك شيء ذو بال يوضع في الميزان عند الحكم على الحجاج ، ذلك هو ما قام به من اصلاحات عمرانية ، والعجيب أن الذي يدرس الحجاج لا يجده عقلية عسكرية فقط ، بل يجده كذلك ذا عقلية بناءة في زمن السلم ، وقد قام بإصلاحات مدنية جليلة النفع ، فهو الذي بقي مدينة واسط في منتصف الطريق تقريبا بين الكوفة والبصرة وجعلها مقراً حكمه ومنزل جنده الشاميين . وعمل على انعاش البلاد بعد أن أنهكتها الحروب عشرين عاماً ، فأصلح القنوات التي تحمل مياه دجلة والفرات الى أطراف البلاد وتعهدها بالعناية الدائمة ، وأصلح السدود التي تصون خصب الأرض من عادية الصحراء ، وقاوم الحجاج بشدة الهجرات الريفية الى المدن ، وأقام التجارة على قواعد الطمأنينة والثقة باصلاح نظام النقد ونظام الموازين والمكاييل والمقاييس ، وتذهب الروايات كذلك الى أنه عنى بإعجام القرآن (٢) .

على أن الحجاج لم يكن يعمل لنفسه ولا يعمل باسمه ، وعلى هذا فعبد الملك وابنه الوليد شريكان للحجاج في كل ما قام به من خير وشر ، وقد وضع يزيد بن أبي مسلم ذلك لسليمان بن عبد الملك عندما سأله هذا : أترى الحجاج استقر في قعر الجحيم بعد ؟ فأجاب أبو مسلم : يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك في الحجاج فإنه عن يمين أبيك وعن يسار أخيك ، فحيث كانا كان (٣) .

وبعد ، فهذا هو الحجاج وذلك قبس من حياته وتصوير سريع له شيء

(١) المرجع السابق .

(٢) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ج ١ ص ١٧٦ — ١٧٧ ،

(٣) المبرد : الكامل ج ٢ ٥٤٧ — ٥٤٨ ،

حالتى السلم والحرب ، ولمحة خاطفة للظروف التى أحاطت به والمشكلات التى عاش فيها ، فهل يميل القارئ بعد ذلك الى لومه أو الى الاعتذار عنه ؟

وإذا فعل منصب الخلافة بعبد الملك :

ولنعد الى عبد الملك الخليفة العالم ، والرجل النادر بين الرجال لنصور انقلابا فى حياته عندما تولى الخلافة ، فقد روينا شيئا عن مكانته العلمية وكيف كان معدودا بين مشاهير الفقهاء ، وكان فى القمة بين الباحثين والمجتهدين ، ثم ضاع منه هذا الاتجاه العلمى بين صليل السيوف الذى غمر معظم عصره ، ووقع القنا الذى شغل لبه ، ويبدو أن عبد الملك اندمج فى حياة الخلافة ، وسعد بها واطرح ماضيه العلمى فلم يؤثر عنه فى أثناء خلافته بحث علمى ذو بال ، ويروى أن الخلافة آلت اليه والمصحف فى حجره ، فأطبقه وقال : هذا آخر العهد بك (١) ، ولم يصح عبد الملك من سكرته بحب الجاه والسلطان الا فى آخر أيامه حيث سجل صحوته فى مقطوعة شعرية رقيقة نقتطف منها الأبيات التالية :

لعمري لقد عمرت فى الدهر برهة
ودانت لى الدنيا بوقع البوائر

فأضحى الذى قد كان مما يسرنى
كلمح مضى فى الزمنات الغواير
فيا ليتنى لم أعن بالملك ساعة
ولم أله فى لذات عيش نواضر
وكنت كذى طمرين عاش ببلغة
من الدهر حتى زار ضنك المقابر (٢)

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢١٧ .

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

الحجاز من السياسة .. للأدب والفن :

الحجاز هو مهبط الدعوة الإسلامية وعاصمة الدولة في عهدها الأول ولا انتقل على" إلى الكوفة اعتبر الحجاز أن ذلك عمل استراتيجي مؤقت دعت له دواعي الحرب بين علي وأصحاب الجمل ، أو بينه وبين معاوية والخوارج ، وأمل الحجاز أن يعود له السلطان عقب الانتهاء من تلك الحروب ، فلما تم النصر لمعاوية واتخذ دمشق عاصمة له لم يمت أمل أهل الحجاز إذ اعتبروا ذلك شيئاً مؤقتاً أيضاً سببه أن معاوية كان والياً على دمشق وكانت دمشق عاصمة لولايته عشرين عاماً قبل خلافته ، وعلى كسيف حال لم يستطع الحجاز أن يقاوم معاوية لما أحرزه من انتصارات وما حققه من دهاء .

وفوجيء الحجاز بعد ذلك بحقيقة مرة هي انتقال الخلافة من الشورى إلى الوراثة ، واستمرار الخلافة في بني أمية ، ومعنى ذلك ضياع سلطان الحجاز نهائياً ، فهب الحجاز يناضل ، ولعل أهم سبب لنضاله هو محاولته استعادة سلطانه الغابر ومجده الذي أوشك أن يزول ، فكانت وقعة الحرة التي قصصنا طرفاً من حديثها من قبل ، وفي هذه الموقعة المشؤومة سقط زهرة شباب الأنصار والمهاجرين ، كما سقط كثير من الصحابة والتابعين ، وهناك من نجا من هول المعركة ولكن حكم الاعدام كان ينتظره من مسلم بن عقبة .

وتجدد أمل الحجاز بعد ذلك في ابن الزبير بعد موت يزيد ، واتسع شأن ابن الزبير ، ولكن مكة تعرضت في عهد ابن الزبير لأهوال جيش الشام مرتين : أحدهما في عهد يزيد حينما سار إليها جيشه عقب الانتهاء من موقعة الحرة ، وقد آلت رياسة هذا الجيش إلى الحصين بن نمير لموت مسله ابن عقبة قبل أن يصل الجيش إلى مكة ، وقد أنزل هذا الجيش النوازل بمكة ، ولكنها نجت من التدمير بموت يزيد وانسحاب ذلك الجيش .

وثانيتها في عهد عبد الملك حيث قضى الحجاج على ابن الزبير وقضى في نفس الوقت على أمل الحجاز في استرداد سلطانه .

وهكذا أصبح الحجاز ولا أمل له في السلطان السياسى ، وقد ضحى الحجاز بأعلى ما به من دماء ليستعيد مكانته ولكن هذه التضحيات لم تأت بطائل • ونشأ بعد ذلك جيل جديد في الحجاز ، جيل لم يطمع في سلطان سياسى ، ولم يكن موضع ثقة خلفاء دمشق فلم توكل لهم أعمال ذات بال ، ورث هذا الجيل ثروة طائلة جمعها الجيل السابق الذى كانت له الصدارة من قبل ، فاجتمع بذلك في أبناء مكة والمدينة الشباب والفراغ والجدة ، واتجهت المدينتان المقدستان الى الأدب والفن تجد فيهما السلوى عما فقدتاه من جاه عريض وسلطان ضخم ، وهكذا أصبح النسيب فنا قائما بذاته بعد أن كان يظهر في مطلع القصائد فقط ، وظهرت الصالونات الأدبية وحلقات الغناء والموسيقى ، فظهر طويس وابن سريج والغريص ، وقد أبدع الغريص في الغناء حتى توهم الناس أنه يتلقى غناؤه من الجن ، ويروى أنه خرج مرة الى طريق الحجاج وتوقف حيث يراهم ولا يرونه وأخذ يغنى من شعر عمر بن أبى ربيعة :

أيها الرائح المجد ابتكارا

قد قضى من تهامة الأوطارا

فملك الطرب قلوب السامعين وقالوا : طائفة من حجاج الجن (١)

وهكذا انتقل الحجاز من قمة الى قمة ، من قمة في السياسة الى قمة في شئون الأدب وشئون الفن •

(١) الاغانى ٣ : ٣٠٢ وما بعدها .

الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦ هـ)

ولد الوليد سنة خمسين الهجرة ، وتلقى بعض الثقافات الاسلامية ، ولكن ثقافته في اللغة العربية كانت ضعيفة فكان بسبب ذلك لسانا ، ويروي أن أباه عبد الملك قال : أضرب بالوليد حنثنا له فلم يرسله البادية . وكانت البادية مدرسة لمن أراد أن يتعلم اللغة الفصحى بعيدا عما انتشر بالمدن الاسلامية من لحن بسبب اختلاط العرب بغير العرب ، ولكن أباه لم يدعه في لحنه وخطئه بل قال له في حزم : انه لا يلي أمر العرب الا من يحسن كلامهم . ولهذا دخل الوليد بيتا وأخذ معه جماعة من علماء النحو وأقام مدة يشتغل به (١) .

وكان مروان بن الحكم قد بايع لابنيه عبد الملك ثم عبد العزيز ، ولكن عبد العزيز مات قبل وفاة عبد الملك فعين عبد الملك ولديه : الوليد ثم سليمان سنة ٨٥ هـ ، وكتب بذلك الى البلدان فبايع الناس ولم يمتنع غير سعيد بن المسيب بالمدينة (٢) ولما مات عبد الملك جدد الناس البيعة للوليد .

وقد مر بنا الجهد الكبير الذي بذله عبد الملك ليعيد وحدة العالم الاسلامي ، والعناء المتصل الطويل الذي استلزم صراعا امتد حوالى عشرين عاما ، ولكن عبد الملك استطاع أن يحقق أمله وأن يصل الى غايته وترك لابنه الوليد ملكا مستقرا هادئا متحدا . وكان الوليد خير من يتسلم هذا الملك ، وأعظم من يرعى هذا التراث ، وكان عبد الملك رجلا صراعا في عهد يحتاج للصراع ، وكان الوليد رجلا سلم واصلاح فجاء في عهد سلم وقام بالاصلاح . ولقد بنى عبد الملك البناء شاهقا وجاء الوليد فزينه وحسنه ونماه .

(١) الفخرى ص ١٠٩ .

(٢) اقرأ قصة ذلك في الطبري ج ٥ ص ٢٥٩ - ٢١٠ .

اصلاحات الوليد الداخلية :

أن ما قام به الوليد من اصلاحات داخلية يدل دلالة واضحة على سمو روح الاسلام وعظم مبادئه وتوجيهاته ، ويدل كذلك على عبقرية عظيمة لهذا الخليفة العظيم ، إنها أعمال لو تمت في العصر الحديث لكانت مفخرة ، فما بالك وقد تمت منذ حوالي ثلاثة عشر قرناً أى في عهد كان الظلام والجهل مطبقين على أكثر بقاع الدنيا ، تعال بنا نجل جولة سريعة في اصلاحات هذا الخليفة الفذ .

من أعمال الوليد العظيمة أنه تعهد الأيتام وكفلهم ورتب لهم المؤدين، كما رتب للزمنى من يخدمهم ، وللمكفوفين من يقودهم ، ورتب لهؤلاء جميعاً الأرزاق المنتظمة (١) ، كما وضع المجذومين في بيت يرعاهم طبيباً حتى لا يخرجوا على الناس بعاهااتهم ورتب لهم الأرزاق الوافية ، وأعطى كل متعذرٍ خادماً يهتم بأمره وأجرى لهم الأرزاق الوافية (٢) .

واهتم الوليد كذلك بالعمران فأنشأ الطرق ومهدا وبخاصة الطرق المؤدية للحجاز ، كما حفر الآبار على طول هذه الطرق ، ووظف من يعنى بهذه الآبار ويمد الناس بمائها (٣) ، ويروى أن الوليد كان شديد السكف بالعمارات والأبنية واتخاذ المصانع حتى اشتهر بذلك شهرة سليمان بحب النساء والطعام ، وشهرة عمر بن عبد العزيز بالتقوى والورع ، وكان الناس يلتقون في عهد الوليد — والناس كما يقولون على دين ملوكهم — فيسأل بعضهم بعضاً عن البناء والعمران ، فلما تولى سليمان واهتم بالنساء والطعام كان الناس يتساءلون عن التزويج والجوارى ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز وبرز في التقوى كان الرجل في عهده يقابل الرجل فيسأله: ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن (٤) .

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٢٣ .

(٢) الطبرى : ج ٥ ص ٢٢٤ - ٢٦٥ والفخرى ص ١٠٩ .

(٣) المرجعان السابقان .

(٤) الطبرى ج ٥ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

ومن آثار الوليد الخالدة في العمارة المسجد الأموي بدمشق ، وكان يعد أحد عجائب الدنيا ، ولا يزال حتى اليوم ناطقا بعظمة الوليد وجهده البالغ ، ومن آثاره كذلك عمارة المسجد النبوي وقد قام بذلك والى المدينة آنذاك عمر بن عبد العزيز ، فهدم البناء القديم بأمر الخليفة وأعاد بنائه بعد أن وسعه بادخال حجرات أزواج الرسول فيه ، وكذلك بادخال دور أخرى اشتريت لهذا الغرض .

وكان الوليد يميل الى العدل والقسطاس ، روى أن محمد بن يوسف عامله على اليمن حمل له هدايا وألطافا ، فقبل للوليد أن محمداً غصب هذه الهدايا من الناس وكلفهم عملها دون أجر ، فامتنع الوليد عن أخذ الهدايا وأصر محمد على أنها من ماله الخاص ، فلم يقبلها الوليد حتى حلف محمد بين الركن والمقام في مكة خمسين يمينا ما غصب شيئا منها ولا ظلم أحدا ولا أصابها الا من طيب (١) .

وكان عهد الوليد على العموم عهد سعة ورخاء وأمن واطمئنان ، وفي ظل هذا اليُسْر وتلك الوحدة القوية ، ثم في ظل إيمان الوليد وقوته اتسع العالم الاسلامي وامتد حتى شمل الأندلس وشمل السند وغيرهما من البقاع على ما سيأتى ايضاحه .

ومن أهم الرجال الذين اعتمد عليهم الوليد الحجاج قائد أبيه وقد مر ذكره ، وقد أوصى عبد الملك ابنه الوليد بالحجاج وصية تمثل مكان الحجاج في ملك بنى أمية ، قال عبد الملك : وانظر الحجاج فأكرمه فانه هو الذى وطأ لكم المنابر ، وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناوأك ، فلا تسمعن فيه قول أحد ، وأنت اليه أحوج منه اليك (٢) . وقد كانت هذه الوصية عميقة الأثر في نفس الوليد وجدير بها أن تكون كذلك روى عن الوليد قوله :

(١) المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٢٠ .

كان عبد الملك يقول : الحجاج جلدة ما بين عيني وأنفى وأنا أقول : انه جلدة وجهي كله (١) .

وتختلف الروايات عن احساس الوليد تجاه الحجاج في أخريات أيام الحجاج ، فيروى الطبري أن الحجاج ثقل على الوليد قبيل موته ، ولكن الوليد لم يستطع أن يعزله أو يمس به بسوء وبقي الحجاج حتى مات ففرح الوليد بموته (٢) ولكن ابن عبد ربه يروى أنه لما مات الحجاج في آخر أيام الوليد بن عبد الملك تفجع عليه الوليد (٣) وتتفق رواية المبرد مغزى مع رواية ابن عبد ربه . فقد روى عن الأصمعي أن الوليد خرج يوماً على الناس وهو مشعان الرأس (منتفخ الشعر متفرقه) فقال : مات الحجاج ابن يوسف وقرّة بن شريك وجعل يتفجع عليهما (٤) . وذلك الرأي هو ما نميل إليه ، فكل الدلائل تدل على عمق الصلة بين الوليد والحجاج حتى آخر اللحظات .

ومن الرجال الذين اعتمد عليهم الوليد كذلك عمر بن عبد العزيز الذي ولاه المدينة سنة ٨٧ هـ وسيأتي مزيد من الكلام عنه عند الحديث عن خلافته ، ومنهم محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم وموسى بن نصير وسنحدث عن هؤلاء الثلاثة عند الحديث عن الفتوحات في عهد الدولة الأموية .

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٥ ص ٥٥ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٢٦٦ .

(٣) العقد الفريد ج ٥ ص ٥٥ .

(٤) الكامل في اللغة والأدب ج ٣ ص ٤٥٢ .

سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ)

ولد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ وروى عنه عن أبيه الوليد وكان الوليد قتيلاً وشاهداً في ذكره عزله أخيه سليمان بن ولادة السمرقانية ابنه وملك سليمان ذلك ما لم يستقر عليه من الخراج وروى عنه ابن القاسم وقتيبة بن مسلم (١) وروى عنه الطبري عن العزيز بن صالح : أن لك ولأخيك سليمان ربة واحدة في أملاكها غارا أن تبقى كلها أن تمسقط كلها ولكنها لا تنجز ، ولم يتم رأى الوليد ذلك ، ولهذا نقم الوليد على عمر بن عبد العزيز فعزله عن ولاية المدينة .

وقد كانت حادثة تغيير ولى عهد الوليد حادثة مشؤمة ، صبغت بطامع عهد سليمان بلون كرهه ، وجعلت الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام المر ، الانتقام لشخصه من القادة البارزين الذين ملأ ذكرهم البقاع ، وقد كان الحجاج يحس بالفجوة والكراهية بينه وبين سليمان ، وكان يتخفى أن يموت قبل الوليد ، وقد حقق الله أمنيته فنجح الحجاج بالموت من عهد سليمان ، أما آل الحجاج ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم فقد ذاقوا العذاب الوبيل من سليمان ، وهكذا عذب وقتل محمد بن القاسم درة عسره والذي على يده دخل الاسلام السند ، وقتل قتيبة بن مسلم الذي دسح الفتح الاسلامي الى خراسان وما وراء النهر والذي كان ميمون النقيبة ويلقب عند أهل خراسان بملك العرب . ويقال أن قتيبة بن مسلم هو الذي بادر — لخوفه من سليمان — بعزله ، فثار عليه بنو تميم وكانوا يكونون عنصراً هاماً في جيشه وولى الشائرون أمرهم رجلاً منهم أسمه وكيع ابن حسان التميمي ثم هجموا على قتيبة فقتلوه ، وعلى كل فقد قتل قتيبة من جراء ولاية عهد الوليد (٢) ويروى الطبري (٣) أن رجلاً من أهل خراسان

(١) الطبري ج ٥ ص ٢٦٧ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٩٩ .

(٢) اقرأ تفاصيل قتل قتيبة في الطبري ج ٥ ص ٢٧٣ وما بعدها وفي البلاذري ص ٤١١ وما بعدها .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٢٨٣ .

قال للعرب : يا معشر العرب قتلتم قتيبة ، والله لو كان قتيبة منا فمات
فيما جعلناه في تابوت فكنا نستفتح به اذا غزونا .

وهناك تنكيل أوقعه سليمان بالقائد العظيم موسى بن نصير ، ولم
يكن هذا التنكيل مرجعه ولاية العهد ، ولكن سببه — فيما يروى — شره
سليمان وحبه للعنزة ، وتقول الرواية ان موسى بن نصير قدم من الأندلس
ومعه هدايا وطرف ، ولما كان في الطريق مرض الوليد وطمع سليمان في
الحصول على هدايا الأندلس وطرفه لنفسه ، فكتب الى موسى يطلب منه
أن يترث في سفره ريثما يموت الوليد ، فلم يقبل موسى وواصل سفره
فنقم عليه سليمان وعذبه وحبسه وصادر أمواله وألزمه غرامة كبيرة جعلته
يسأل العرب المعونة لسدادها (١) .

تلك كانت مأساة الانتقام التي حدثت في عهد هذا الخليفة ، وهي بلا شك
نقطة سوداء في تاريخه ، وفيما عدا هذه النقطة فاننا نجد بعض المؤرخين
يذكرونه بخير ، فيقول أنطوني (٢) ان الناس كانوا يقولون عن سليمان
أنه مفتاح الخير ، أطلق الأسارى ، وعفا عن المسجونين ، وأحسن الى
القاسي ، واستخلف عمر بن عبد العزيز .

ويقول السيوطي (٣) ان سليمان كان من خيار بني أمية وكان فصيحاً
مفوهاً ، مؤثراً للعدل ، محباً للغزو ، ويروى كذلك عن ابن سيرين أنه قال :
يرحم الله سليمان ، افتتح أيامه باحيائه الصلاة لمواقيتها ، واختتمها
باستخلافه عمر بن عبد العزيز .

والحقيقة أنه كان غلاماً نبيلاً من سليمان أن يترك ولديه ويولى عهده
ابن عمه ، وقد رأى سليمان بنفسه حرص الآباء على تولية أبنائهم ، رأى

(١) ابن قتيبة : في الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٧٩ — ٨٠ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٠٤ .

(٣) تاريخ الخلفاء : ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٤) انظر نتوح البلدان ص ١٤٣ والأغاني ج ١٣ ص ١٦٠ ومعجم البلدان
عند الكلام عن بلدة « الرملة » .

ذلك في بيعة يهـ معاوية ومروان ، وفي أبيه عبد الملك وأخيه الوليد ، ولكن سليمان كان من القلائد الذين آثروا المصلحة العامة للمسلمين وجعلوها ترجح مصلحة أبنائهم وتتغلب على عواطف الأبوة ، ثم ان اختياره كان موافقا الى أبعد حدود التوفيق ، فوضع بين خلفاء بني أمية الرجل الذي يعتبر بحق في عداد الخلفاء الراشدين •

وقد عرف عن سليمان حبه لقصره الصحراوي في الرملة وامضاءه أغلب وقته فيه ، وكان اتجاها عاما للأمويين قبل سليمان وبعده أن يتخذوا القصور الصحراوية لتنقلهم من ضجيج الحياة بدمشق الى هدوء الصحراء ونسيمها العليل وجوها الصحن السليم من الأوبئة ، ولكن سليمان يمتاز عن غيره بأنه تأنق في قصره بالرملة ، فلما تولى الخلافة استكمل القصر أناقته فأصبح كأنه عاصمة صغيرة ، لأن الخليفة بنى مسجدا بجوار القصر وحفر الآبار ومد الأنهار وأذن لكثير من أتباعه بالبناء حول قصره (١) •

وسليمان كان يمتاز بشباب مورك وجهان رائع ، وكان يعجب بنفسه اذا نظر في المرأة ويقول : أنا الملك الفتى ، ويروى أنه في يوم لبس حلة خضراء وعمامة خضراء واتجه الى المرأة فأعجب بنفسه وطرب بها ، وشهدته جارية من جواريه وهو في عجبه وتهيبه فأنشدت :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير ألا بقاء للانسان
أنت خلو من العيوب ومما
يكره الناس ، غير أنك فنان
فلم يمض أسبوع واحد حتى مات (٢) •

ومن الرجال البررة الذين اعتمد عليهم سليمان رجاء بن حيوة وسنتكلم عنه عند الكلام عن عمر بن بد العزيز ، ومن رجال سليمان المبرزين

(١) انظر فتوح البلدان ص ١٤٣ والاعاني ج ١٣ ص ١٦٠ ومعجم البلدان عند الكلام عن بلدة الرملة •

(٢) الطبرى ج ٥ ص ٣٠٥ والعقد الفريد ج ٤ ص ٣٢٥ •

كذلك يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الذي خلف أباه كعامل على خراسان قبل عهد سليمان ، ولكن سرعان ما نشب الخلاف بين يزيد وبين الحجاج الذي كان له الاشراف على الشرق كله ، وكان الحجاج قد تزوج أخت يزيد ولكن ذلك لم يقلل من حدة الخلاف ، وانتهى الأمر بأن قبض الحجاج على يزيد وأسرته وأطلق أعوانه يعذبونهم ، ولم يقبل شفاعة زوجته فيهم بل أطلقها عندما رأى سخطها لما ينزل بآلها ، واستطاع آل المهلب الهرب من سجن الحجاج ، ولحقوا بسليمان بن عبد الملك في الرملة فاستجاروا به ، وكانت بينهم وبينه صلة فأجارهم • وكتب الحجاج للوليد يوغر صدره ضدهم ، فطلب الوليد من سليمان أن يرسل له آل المهلب مقيدين فأرسلهم سليمان مقيدين في سلسلة تضم ابنه أيوب أيضا ومعه خطاب من سليمان يستعطفه ويرجوه ألا يمس جواره ، فاستجاب له الوليد وكتب للحجاج أن يكف عن بنى المهلب فسكت الحجاج عنهم (١) •

ولما تولى سليمان الخلافة شغل آل المهلب له خير الأعمال ، وأصبح يزيد من كبار رجال دولته ، فأسندت له ولاية خراسان وقيادة جيوش المسلمين في نواحي جرجان وطبرستان ، وقد انتصر في معاركه بهذه النواحي انتصارا عظيما ، ولما كان في قمة النصر كتب الى الخليفة يصف له الفتح العظيم والغنائم الكبيرة التي حصل عليها ويقول « وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله به على المسلمين — بعد أن صار الى كل ذي حق حقه من الفىء والغنيمة — ستة آلاف ألف وأنا حامل ذلك للأمير المؤمنين ان شاء الله » (٢) •

ومات سليمان دون أن ترسل هذه الأموال ، فطالبه عمر بن عبد العزيز بها ، فادعى أنه كان يبائع اعتقادا منه أن سليمان ما كان لياخذ منه شيئا • فحبسه عمر (٣) ، وظل في محبس عمر حتى مرض عمر ففر يزيد من المحبس وأعلى عصيانه ليزيد بن عبد الملك ، وسيأتى بعض التفصيل لموقفه من يزيد بن عبد الملك عند الكلام على هذا الخليفة •

(١) الطبرى ج ٥ ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ٢٠٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٣١٢ .

عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١) هـ

نحن الآن أمام صفحة رائعة من صفحات التاريخ الاسلامي ، صفحة وصلت ما انقطع من تاريخ ابن بكر وعمر ، ومن الممكن أن نقرر أن عهد عمر بن عبد العزيز من تاريخ مصر ما كان عهدا قائما بذاته ، له خواصه وله طابعه الاسلامي الحقيقي ، التي لم تتأثر بما يؤخذ على بني أمية من اوضاعهم والفساد .

رأى ابن جرير في عبد العزيز بمدينة حلوان بالقرب من القاهرة في أثناء ولاية ابن علي ، كما جاء في تهذيب الأسماء للنووي (١) ، ويروى ابن جرير في تاريخه أنه عاد بالمدينة (٢) ، ويتصل نسبه من جهة أمه بالخليفة الثاني من آل الخلفاء ، وهذا يورث منه كثيرا من الخلال الكريمة والصفات النادرة ، كما أمضى سنه الأولى مع أعمام أمه بالمدينة ، فتلقى في هذا الجو العطر كثيرا من التوجيهات الرشيدة ونبت نباتا حسنا ، وكان لتربيته تلك أثر كبير فيما عرف عنه من مزايا ومحامد .

ولما شب تزوج فاطمة بنت عمه عبد الملك ، وكان عبد الملك يقربه ويحبّه ، وفي عهد الوليد كانت لعمر ولاية المدينة ، فأحسن السيرة ولكنه كما يقول ابن عبد الحكم كان يعصف عطره ، ويسترسل شعره ، ويطول أزاره ، ويتبخر في مشيته ، وهو مع ذلك لا يعاب في بطن ولا فرج ولا حشم (٣) .

وقد عزله الوليد عن ولاية المدينة لخلاف بين عمر وبين الحجاج أو لرفض عمر الموافقة على عزل سليمان بن عبد الملك والبيعة لابن الوليد كما مر .

(١) انظر ترجمة حياة عمر بن عبد العزيز في تهذيب الأسماء .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٩ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٠ .

وعمر من الخلفاء القلائل الذين سغت لهم الخلافة دون أن يسعوا إليها ، أو يحاولوا الحصول عليها ، بل أنه كان حريصا على إبعادها عن نفسه ، ويرى فيها امتحانا قاسيا يثقل عليه حملة ، ولكن سليمان ابن عبد الملك كان يظهر اعجابه بعمر ويراه أكفأ بنى قومه ، فلما مرض (سليمان) استشار وزيره رجاء بن حيوة فيمن يعهد له بالخلافة وسأل رأيه في عمر ابن عبد العزيز ، فأثنى رجاء على عمر وحسن لسليمان أن يعهد إليه ، وأدرك عمر بفطنته اتجاه سليمان إليه ، فخلا برجاء وقال له : يا رجاء ، اننى أرى أمير المؤمنين فى الموت ، ولا أحسبه الا سيعهد ، وأنا أناشدك الله إن ذكرنى بشيء من ذلك إلا صددته عني ، وإن لم يذكر ألا تذكرنى له فى شيء من ذلك . وأراد رجاء أن يصرف عمر بن عبد العزيز عن الحديث فى ذلك الموضوع فقال له : لقد ذهب ظنك مذهباً ما كنت أحسبك تذهب به ، أظن بنى عبد الملك يدخلونك فى أمورهم (١) وهكذا خدع عمر فسكت ولم يفتح بعد ذلك هذا الموضوع ، ولكن الأمر كان قد دبر على نحو الاتفاق الذى تم بين سليمان وبين رجاء ، فان سليمان عهد لعمر بن عبد العزيز ، وجعل من بعده يزيد بن عبد الملك وكتب بذلك عهداً وأعطاه لرجاء ، وطلب سليمان من بنى أمية ومن قادة الجند أن يبايعوا لمن ارتضاه الخليفة لهم فبايعوا ، ومات سليمان بعد ذلك ، فحكم رجاء خبر وفاته وجمع وجوه الناس وطلب منهم تكرار البيعة ففعلوا ، ثم نعى رجاء لهم سليمان وفض الكتاب ، وأعلى أن عمر هو الخليفة الجديد ، فاسترجع عمر حين ذلك وقال : والله ان هذا الأمر ما سألته قط فى سر ولا علانية (٢) ، ثم صعد المنبر وانطلق يقول : أيها الناس ، انى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان متى فيه ، ولا طلبه لى ، ولا مشورة من المسلمين ، وانى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى فاخثاروا لأنفسكم . وأخذ عمر ينزل من فوق المنبر ، ولكن الناس صاحوا به : قد اخترناك ، وأقبلوا عليه وبايعوه (٣) .

(١) ابن عبد الحكم ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٣١ .

(٣) الطبرى ج ٥ ص ٣٠٧ وابن الجوزى ص ٥٥ والفخرى ص ١١٠ .

وسار عمر يدفن سليمان ، ولما رجع رآه مولاه مغتما ، فسأله : مالى أراك مغتما ؟ قال : لمثل ما أنا فيه فليغتم ، ليس أحد من الأمة الا وأنا ملزم أن أوصل اليه حقه ، غير كاتب الى فيه ولا طالبه منى (١) . وهكذا كان ادراك عمر للمسئولية منذ اللحظة الأولى ، ويروى أن زوجته دخلت عليه عقب توليته الخلافة فوجدته يبكي فقالت له : الشئ حدث ؟ قال : لقد توليت أمر أمة محمد ، ففكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعارى المجهود ، والمقهور والمظلوم ، والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، وعرفت أن ربى سائلى عنهم جميعا ، فخشيت ألا تثبت لى حجة فبكيت (٢) .

نموذج فريد :

ويمكن القول إن الخلافة شطرت حياة عمر شطرين ، فشطرت حياة عمر كان فيه خيلاء وغناء ، وعطر و ثراء ، وكثير من مظاهر الجاه والسؤدد ، وأما الشطر الآخر فكان خشونة وصراعا ، ويغلب أن تكون كذلك حياة الملوك ، ولكن حياة الخشونة والحرمان يعرفها الملوك قبل أن ينالوا الملك ، فإذا نالوه نالوا معه نعيم الحياة ورخاء البال ، ولكن عمر بن عبد العزيز كان على العكس من ذلك ، كان شطر حياته قبل الخلافة شطر السعادة والثراء ، أما بعد الخلافة فكانت حياته حياة الكفاح والقناعة والعمل الدائب وسنذكر فيما يلى بعض التفاصيل لهذا الاجمال :

عمر سليل بنى أمية وأبوه عبد العزيز بن مروان ، وعمه الخليفة العظيم عبد الملك ، وزوجته فاطمة بنت عبد الملك وأخت الوليد ، ومن هنا انفسح له الرزق ، وعرف حياة القصور وعاش فيها ، وتربى فى نعيم وبحبوحة ورخاء ، وامتد ثراؤه فأصبحت له قطائع يستغلها فى الحجاز والشام وفى مصر واليمن والبحرين ، وقد ورد عليه منها دخل ضخم من المال قدر بأربعين ألف دينار كل عام (٣) .

(١) السنيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٣١ .

(٢) ابن عبد الحكم ص ١٧٩ وتاريخ الخلفاء للسنيوطى ص ٢٣٦ .

(٣) عبد العزيز سيد الامل : الخليفة الزاهد ص ٣٢ — ٣٣ .

وعرف عمر قبل الخلافة الطيب ومطرف الخز ، كما عرف الغناء وطرب له ، وصفق للمغنين ، ثم ثمادى فى ذلك فغنى ووضع الألحان للغناء ، وزود غمر قصوره بأفخر الأثاث وأعلى الرياش (١) ، ويروى أنه كان مما يؤخذ على عمر قبل الخلافة مبالغته فى التنعيم وإفراطه فى حسن المظهر واختياله فى مثيسته (٢) . وكانت مثيسته تسمى العمرية نسبة إليه ، وكان الجوارى يتعلمنها من حسننها وتبختره بها ، وكان يستعمل نوعا رائعا من الطيب فإذا مشى ضاغت رائحته فى المكان الذى يمر فيه (٣) .

ثم جاءت الخلافة الى عمر فكانت حدا فاصلا بين حياته السابقة وحياته اللاحقة ، فقد أحس بالمسؤولية ضخمة ، وبالمظالم كثيرة ، والتبعات ثقيلة ، كما ذكرنا ، فبدأ يعمل بجد من اللحظة الأولى ، وأول ما ابتدأ به أنه جىء له بمراكب الخلافة عقب دفن سليمان ، وكانت هذه المراكب تشمل البراذين والخيول والبغال . فأجاب : دابتي أوفق لى ، وباع هذه المراكب ووضع ثمنها فى بيت المال كما باع السراقات والفرش والأوطئة المخصصة للخلفاء وضم ثمنها كذلك الى بيت المال (٤) .

وعاد عمر بعد ذلك الى نفسه يحاسبها ، فجرد نفسه من كل نعيم ، ورد القطائع التى كانت قد وهبت له ، وتخلص من اللقائع والأموال التى كان قد ورثها اعتقادا منه أنها لم تكن حلالا طيبا (٥) وقرع ثيابه واستبدل به كساء بثمانية دراهم ، ويروى ابن الحكم أن عمر كان قبل خلافته يرى الكساء الذى يبلغ ثمانمائة درهم خشنا ، فأصبح يرى الكساء الذى يبلغ ثمنه دراهم لينا ويبحث عن كساء أكثر منه خشونة (٦) ، وغسل عمر الطيب

(١) المرجع السابق من الصفحات ١٦ ، ١٧ ، ٤٠ ، ٤١ .

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٢٩ .

(٣) ابن الحكم ص ٢١ .

(٤) ابن عبد الحكم ص ٣٥ والطبرى ج ٥ ص ٢٠٦ وتاريخ الخلفاء

للسيوطى ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٥) ابن عبد الحكم ص ٤٥ ، ٦٠ ، والسيوطى : تاريخ الخلفاء

ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

(٦) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٨ .

عن نفسه ، ودعا الحجام فقص فضلة شعره ، وباع بها عنده من ملابس
وعطر ووضع الثمن في بيت مال المسلمين وترك عمر ألوان الطعام الجميلة ،
وأخذ يأكل الطعام الجاف ، وتولى خدمة نفسه بنفسه ولم يسمح لأحد
أن يخدمه (١) .

وانثنى عمر الى زوجته وهي — كما قلنا — حفيدة خليفة وبنت خليفة
وأخت خلفاء ، وقد انحدر لها من هذا المحتد أغلى الجواهر واللآلئ ،
وأثمن المتاع والرياش ، فقال لها عمر : قد علمت حال هذا الجوهر ومن
أين أصابه ذووك ، فأما أن تختارينى وتدعيني كل هذا المتاع ، وإما أن
تختارى متاعك وأسرحك . فاختارته وقبيلت العيش معه في البساطة التى
أزادها (٢) .

وكان الخدم حين استخلف عمر ظنوا أنهم قد سادوا الناس ، فلما
صارت حالهم الى هذا الشر حزنوا لولايته وتفرقوا عنه ، وكان له غلام
يقال له درهم ، فقال له عمر بعد أن مضت أيام من خلافته : ما يقول الناس
يا درهم ؟ فأجاب : وما يقولون ؟ الناس كلهم بخير وأنا وأنت بشر . قال
عمر : كيف ذلك قال : انى عهدتك قبل الخلافة عطرا ، لباسيا ، فاره المركب
طيب الطعام ، فلما وليت رجوت أن استريح واتخلص من العمل والجهد ،
فزاد عملى شدة وصرت أنت فى بلاء . قال عمر : أنت حر ، فاذهب عني
ودعنى وما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه مخرجا (٣) .

وبذلك أصبح عمر وزوجته وبيته فى حالة أقرب الى الفقر كالصورة
اللتى ترسمها القصة التالية :

قدمت الى عمر امرأة من العراق تطلب عطاء لها ولبناتها الخمس ،
فلما صارت الى باب الخليفة قالت : هل على باب أمير المؤمنين حاجب ؟

(١) ابن عبد الحكم ص ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ — ٦١ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٣٢ .

(٣) ابن الجوزى ص ١٢٥ وابن عبد الحكم ص ٤٦ والمقصد الفريد ج ٤

ص ٤٣٥ .

فقالوا : لا ، ادخلى ان احببت • فدخلت المرأة على فاطمة زوجة عمر وفي يدها قطن تغزله فسلمت وجلست ، ثم رفعت بصرها فلم تر فى البيت شيئاً ذا بال فقالت : انما جئت للأمر بيتى من هذا البيت الخراب • فقالت فاطمة : انما خرب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك • ولما جاء عمر وعرف حالة المرأة بكى وفرض لها ولبناتها ما يكفين (١) •

ولما فعل عمر بنفسه ذلك أصبح مستعداً أن يفعل ذلك بالآخرين ، وكان كثيرون من بنى أمية قد نالوا بعض أموال المسلمين أو أموال البلاد المفتوحة عن طرق غير مشروعة كالاستيلاء ، أو عن طرق تبدو مشروعة وهى ليست كذلك كالقنطاع والهبات ، ويروى ابن الجوزى (٢) أن عمر انقطع عن الناس ثلاث ليال اضطرب لها وجوه بنى مروان وبنى أمية وأشرف الجند والعرب ، ووقفوا ببابه ينظرون ما يخرج عليهم منه ، أما هو فقد أخذ مع مزاحم وزيره ومستشاره يجمعان سجلات القنطاع التى اقطعت للأمراء وسجلات الهبات الضخمة التى صرفت لهم ، وعهود الأموال التى تجرى عليهم ، فلما اجتمعت السجلات والكتب أمر عمر أن يتنادى بصلاة جامعة ، فأجتمع الناس وخرج عمر فصعد المنبر ووقف مزاحم دونه وكان عمر يرتدى ثياباً رخيصة ، ثم خطب فقال : ان السابقين أعطوا عطايا ما كان لهم أن يعطوها وما كان لها أن تقبل ، وانى قد بدأت بنفسى فرددت الحقوق الى أصحابها ، رددت القنطاع والأموال الى بيت مال المسلمين ، وثبتت بأهلى : اقرأ يا مزاحم فأخذ مزاحم يقرأ سجلاً سجلاً ، ثم يأخذه عمر فيميزقه ويعلن عودة الأرض الى بيت المال أيا كان المعطى ، وأيا كان الموهوب له ، ومازالا كذلك حتى جاء وقت الظهر •

أما الأرض المغتصبة والتى لا سجل لها ، فقد أعلن عمر عودتها الى أصحابها أو الى بيت المال ان لم يكن لها صاحب •

(١) ابن عبد الحكم ص ١٧٧

(٢) عمر بن عبد العزيز ١٠٦ •

وسارع عمر فخلع الولاة الظالمين والعمال القساة ، فعزل أسامة ابن زيد التتوخي عن صدقات مصر ، وكان غاشما ظلوما كثير الاعتداء ، وعزل يزيد بن أبي مسلم عن افريقية ، وصالح بن عبد الرحمن عن العراق ، والحارث بن عبد الرحمن الثقفي عن الأندلس (١) .

وأوقف عمر الحروب مع غير المسلمين أو مع المتمردين من المسلمين ، واستبدل بذلك دعوة غير المسلمين للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما حاجج المتمردين والخوارج ليتغلب عليهم بالدليل والاقناع ، وقد انتصر عمر في الحالتين ، انتصر في دعوته غير المسلمين للإسلام ، وانتصر في مناظراته مع الثائرين من المسلمين ، وكانت سيرته العطرة خير مساعد له لتحقيق هذا الانتصار ، فدخل كثير من ملوك السند الاسلام بدعوته وتبعتهم شعوبهم ، كما دخل الاسلام كثير من المصريين والسوريين والفرس الذين لم يكونوا قد دخلوا الاسلام من قبل على الرغم من دخول الاسلام بلادهم ، مكتفين بدفع الجزية والدخول في الذمة ، ثم جذبتهم سماحة عمر الى الاسلام مما جعل عصره يسمى « عصر إسلام البلاد المفتوحة (٢) » .

أما الخوارج — وسيأتي حديث خاص عنهم — فقد بهرتهم سيرته وأعماله فأوقفوا نشاطهم الثوري والتقوا مع عمر للتفاهم معه بالحجة ، فغلبهم بخلقه وعلمه وبيانه ، وانصاع إليه كثيرون منهم (٣) .

وخفف عمر من أثقال الخراج الذي يؤخذ من النصاري ، وأوقف أخذ الجزية ممن دخل الاسلام منهم ، فانهال الناس على الاسلام تقديرا للإسلام ولعمر خليفة المسلمين ، فكتب له عامل أهوج يقول : ان هذا يضر بالجزية . فتلقى عمر الجواب الآتي : قبح الله رأيك ، ارفع الجزية عن

(١) ابن عبد الحكم ص ٣٤ - ٣٥ .
(٢) الطبري ج ٥ ص ٤٠٩ ، وانظر كذلك « التاريخ السياسي للدولة العربية للدكتور ماجد » عند الحديث عن عمر بن عبد العزيز .
(٣) الطبري ج ٥ ص ٣١١ وابن عبد الحكم في الصفحات ٨٣ ، ٨٩ ، ١٣٠ .

أسلم ، فإن الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جايب ، ولعمري عمر أثقى من أن يسلم الناس جميعهم على يدية (١) .

وسوى عمر بين العرب وغيرهم كما تقضى بذلك شريعة الاسلام ، فأوقف مشكلة الموالى التى أكثر المؤرخون الحديث عنها ، وقد أوردنا شرحها فى كتابنا « الاقتصاد فى الفكر الإسلامى » .

وامتاز عهد عمر بكثير من الإصلاحات التى تدل على نضج فى التفكير وعلى الوعى الكامل ، وله فى ذلك كتاب أرسله فى صيغة بشرة دورية الى جميع العمال ، شرح فيه بعض ما كان مشكلا ، ويمكن أن يمثل هذا الكتاب مواد القانون الأساسى فى عهد عمر ، ونحن نقطف من هذا الكتاب بعض الأفكار (٢) .

نظم عمر الدعوة للإسلام وبين سبلها ، وأباح الهجرة لمن يشاء الى حيث يشاء ، ونظم الحمى ، وتحدث عن الفئ والغنيمة والأخماس ، وشرح مضار الخمر والنبذ ... ونظم عمر الكيل والميزان حتى لا يوجد بخس ولا تطفيف ، والغى عمر المكس والسفرة وقال ان المكس بخس والله نهى عن البخس بقوله « ولا تبخسوا الناس أشياءهم (٣) » .

ومن إصلاحات عمر أنه أصلح كثيرا من الأرض للزراعة ، وحفر الآبار ، وعمر الطرق ، وأعد الخانات لأبناء السبيل ، واهتم اهتماما كبيرا بالمحتاجين والمرضى ، كما أكثر المساجد ولكنه لم يكن يتأنق فى اعدادها ، ولا طلب اليه أن يدفع مبلغا كبيرا لذلك ، أجاب ، لأن أنفقه على أكباد جائئة أحب الى من أن أنفقه على الجدران والأثاث .

وقد انتقلت الحالة الاقتصادية فى عهد عمر بن عبد العزيز الى مستوى

(١) اقرأ « الاقتصاد فى الفكر الإسلامى » للمؤلف .

(٢) اقرأ الكتاب كاملا فى ابن عبد الحكم ص ١٢ - ١٠٠ .

(٣) سورة هود الآية ٧٤ .

يدعو للدهشة ، فكل المراجع التي بين أيدينا تؤكد أن الفقر والعوز والحاجة قد اختفت في عهده ، ولم يعد لها وجود تقريبا ، حتى كان دافع الزكاة لا يجد من يأخذها منه ، ويروى ابن عبد الحكم عن رجل من ولد زيد ابن الخطاب قوله : انما ولي عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا ، فما مات حتى جعل الرجل يأتي بركة ماله يبحث عن مستحق لها ، فما يبرح حتى يرجع بماله ، قد أغنى عمر الناس (١) .

ومثل ذلك أيضا يرويه يحيى بن سعيد قال : بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقية فاقتصيتها ، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا ، ولم نجد من يأخذها منا ، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم (٢) .

ومن اهتمام عمر بالفقراء ما يروى أن مولاة سوداء اسمها فرثونة من مصر أرسلت له خطابا تقول فيه أن عندها جائطا قصيرا وأن دجاجها يضع بسببه ، فرد عليها عمر يذكر أنه كتب لعامل مصر ليرفع لها الحائط ويؤمن دجاجها ، وكتب في الحال الى العامل يطلب منه أن يمشى الى فرثونة ويأشرف على حائطها وتأمينها وتأمين دجاجها (٣) .

ومن اصلاحات عمر في البريد أنه لم يجعله لحمل الأخبار الرسمية اليه فقط من العمال والموظفين كما كان من قبل ، وانما أصبح لخدمة الناس كذلك ، فقد أمر أن يتسلم عامل البريد كل الرسائل التي تعطى اليه لتوصيلها الى ذويها (٤) ، وكان خطاب فرثونة سألقة الذكر أحد الرسائل غير الرسمية التي حملها البريد الى الخليفة .

وكان من الطبيعي أن يسير عمال عمر سيرته ، فلقد أحسن اختيارهم وأحسن مراقبتهم ، ويروى ابن عبد الحكم أنه خرج يوما مع وزيره مزاحم

-
- (١) ابن عبد الحكم ص ١٢٨ .
 - (٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦١ .
 - (٣) المرجع السابق ص ٦٥ — ٦٦ .
 - (٤) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٦٥ .

للغسس ، فرأيا راكبا قادمًا تجاه الشام من المدينة فاستقبلا الركب ،
وسألا المسافرين عما خلفهم ، فقال رئيس الركب وهو لا يعرفهما : أن
شئتما جمعت لكما الخبر وإن شئتما بعضته لكما تبعيضا • فقالا : بل اجمعه
فقال : انى تركت المدينة والظالم بها مقهور ، والمظلوم بها منصور ، والغنى
موقور ، والعائل مجبور ، فسر بذلك عمر وقال : لأن تكون البلدان كلهما
على هذه الصفة أحب الى مما طلعت عليه الشمس (١) •

ومن سياسة عمر فيما يتعلق بالعمال أنه رفع مرتباتهم حتى وصل
مرتب العامل أحيانا ثلاثمائة دينار ، ولما سئل عن ذلك أجاب : أردت أن
أغنيهم عن الخيانة (٢) •

وقطع عمر بن عبد العزيز سب على بن أبى طالب رضى الله عنه ،
وكان بنو أمية يسبون على المنبر ، كما سبق القول ، وجعل مكانه قوله
تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (٣) » • وقد رثاه الشريف
الرضى لذلك بقوله :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العـ

ـين فـتى من أمية لـبـكىـك

أنت أنقذتنا من السب والشـ

ـتم فلو أمكن الجزاء جزيتك (٤)

ولم يمت عمر بن عبد العزيز حتى هزل جسمه من كثرة ما بذل من
جهد وما عانى من حرمان • روى أن يونس بن أبى شبيب قال : شهدت
عمر بن عبد العزيز وإن حجة ازاره لغائبه فى عكته (من سمته وبدانته)

(١) المرجع السابق ص ١٣٥ •

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٤٣ •

(٣) سورة النحل الآية رقم ٩ •

(٤) الفخرى ص ١١١ •

ثم رأيت بعد ما استخلف ولو شئت أن أعد اضلاعه من غير أن أمسها
لفعلت (١) . وقالت فاطمة زوجته : ما أعلم أنه اغتسل لا من جنابة ولا من
احتلام منذ استخلفه الله حتى قبضه (٢)

وعلى الرغم من قصر مدة خلافة عمر فقد ثقل على كثير من بنى قومه
لكثرة ما استرده منهم مما امتلكوه من قبل ، حتى لقد خيف أن يمسوه بسوء
أو يسقوه سماً ، ولذلك نصحه أوطاة بن منذر بأن يتخذ حرساً ويحترز في
لطعامه وشرابه ، فأجاب عمر : اللهم ان كنت تعلم أنى أخاف شيئاً دون يوم
القيامة فلا تؤمّنْ خوفاً (٣) .

وقبيل وفاة عمر مات أعوانه ، سهل أخوه ، وعبد الملك ابنه ، ومزاحم
مولاه ، ودخل المرض على عمر ، فيروى أنه قام وتوضأ ، ثم أتى المسجد
فصلى ركعتين ثم قال : اللهم إنك قد قبضت سهلاً وعبد الملك ومزاحماً
وكانوا أعوانى على ما قد علمت ، فلم أزد لك إلا حبا ولا فيما عندك إلا
رغبة فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط ، فما قام من مرضه حتى قبضه
الله تعالى (٤) . ولما أحسّ بدنو أجله اشترى موضع قبره بدير سمعان
ودفن فيه بعد وفاته عقب ذلك (٥) .

وأعوان عمر هم الذين مر ذكرهم بالاضافة الى رجاء بن حيوة وهم
طبعاً من خيرة الأعوان ومن صفوة الناصحين ، ولا عجب فمثل عمر لا يصاحب
إلا النخبة الأمجاد .

-
- (١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٤٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٣٥ وابن عبد الحكم ص ٥٠ .
(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٣٤ .
(٤) ابن عبد الحكم ص ١١٤ : ١١٦ - ١٨٧ .
(٥) المرجع السابق ص ١١٤ .

يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ)

يمكن القول ان خلافة عمر بن عبد العزيز التي كانت نعمة وخيراً على الاسلام والمسلمين وضعت في الوقت نفسه نهاية لدولة بنى أمية وذلك يرجع الى سببين :

أولاً — عرف المسلمون في عهد عمر العدالة وذاقوا طعمها وأنسوا اليها، وصعب عليهم بعد عمر أن يعودوا الى احتمال الطغيان والظلم والعسف الذي حاول يزيد أن يعيدهم اليه .

ثانياً — كثرة عمر لسفك الدماء أعطى فرصة للشيعنة أن يدبروا أمرهم ويعيدوا عدتهم للقضاء على بنى أمية ولوضع الأساس لدولة هاشمية ، وفي الجزء الثالث من هذه الموسوعة تفاصيل هذا الموضوع .

وقد سبق أن وصفنا الجهد الضخم الذي بذله عمر لرد المظالم وحماية بيت مال المسلمين باسترداد القطائع والهبات ، وسرعان ما هدم يزيد هبذا الجهد فأعاد القطائع وأعاد الهبات .

ومن أهم الأحداث التي وقعت في عهد يزيد ثورة يزيد بن المهلب ، وقد سبق أن قلنا إن يزيد كان في محبس عمر ، وهرب من محبسه في مرض عمر الذي مات فيه ، وكتب ابن المهلب الى عمر يعتذر عن هربه ويقول « انى والله لو وثقت بحياتك لم أخرج من محبسك ولكنى خفت أن يلى يزيد فيقتلنى شر قتلة » وكان من الواضح أن هناك عداء بين يزيد بن المهلب ويزيد بن عبد الملك ، فإن الأول انضم الى سليمان بن عبد الملك في تنكيهه بآل الحجاج ، وكان بين يزيد بن عبد الملك وأسرة الحجاج مصاهرة ، فقد كان يزيد متزوجاً من بنت أخى الحجاج ، وقد مات عمر بن عبد العزيز بعد هرب يزيد بقليل (١) .

ولما فر ابن المهلب من السجن اتجه الى العراق ، وكان العراق كما كان دائما مستعداً أن يستقبل أعداء بنى أمية ويثور لهم ويحارب معهم وكانت البصرة مكانه المختار ، وفيها تجمع حوله الساخطون فكون منهم جيشاً كبيراً ، أما يزيد الخليفة فقد كون جيشاً من أهل الشام بقيادة أخيه مسلمة ، وقد انتصر جيش الشام وقتل ابن المهلب وتضعف جيشه وانعزم ، وكانت الموقعة بمكان يدعى العقير بالقرب من كربلاء ، ويقول الكلبى : نشأت وهم يقولون ضحى بنو أمية يوم كربلاء بالدين ويوم العقير بالكرم (١) ذلك لأنهم باعوا نساء بنى المهلب وأطفالهم على غير ما جرت به عادة العرب .

وكانت هذه هى النهاية المشئومة لأسرة المهلب بن أبى صفرة التى طالما شهرت السيف فى وجه أعداء بنى أمية وطالما كسبت لهم النصر .

بقى أن نذكر عن يزيد شيئاً تعود المؤرخون أن يذكروه ، ثم لنأى تعليقنا على ذلك بعد ايراد ذلك الخبر الشهير :

روى الطبرى (٢) والأصفهاني (٣) وعنهما روى ابن الأثير (٤) وابن طباطبا (٥) وغيرهما من المؤرخين القدامى والمحدثين أن يزيد هذا كان خليعاً شغف بجارتين اسم احدهما سلامة والأخرى حبابة ، فقطع معهما زمانه ، ولما مرضت حبابة اضطرب يزيد وظهر عليه اليأس ، فلما ماتت أفلت منه الزمام وسفه وأخذ يردد قول الشاعر :

كفى حزناً باللهائم الصب أن يرى
منازلَ مَنْ يهوى معطلة قفرا

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الأغنى ج ١٣ ص ١٤٧ - ١٥٨ .

(٤) الكامل فى التاريخ ج ٤ ص ٦٦ .

(٥) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١١٢ .

وأشار عليه مسلمة أخوه ألا يظهر للناس خوف أن يبدو لهم سفهه واضطرابه ، فاعتزل الناس بعد موتها ولم يزل كذلك حتى مات بعد سبعة أيام من موتها ، فكانت سلامة الجارية الثانية تردد قول الشاعر وهي تبكى سيدها ومجدها الزائل •

لا تلمننا أن خشناً
أو هممننا بالخشوع

قد لعمرى بيتٌ ليلى
كأخى السداء الوجيع

للذى حل بنا اليو
م من الأمر الفظيع

هذا بعض ما رواه هؤلاء المؤرخون ، ولست أعفى يزيد من الخلاعة ومجون الشباب ، ولكنى أعتقد أن الخيال لعب دوراً كبيراً فى نسج هذه القصص ، كما لعب العداء لبني أمية دوره فى عصر التدوين ، فاذا بالهفوة تصبح جريمة ، وبالصغائر تصبح كبائر ، وفى هذه القصة دليل واضح على هذا التصرف ، فان يسهه رجل فضلاً عن خليفة من أجل موت جارية ويمتد سفهه واضطرابه حتى يموت ، شئ الى القصص أقرب منه الى الحقائق ، فلم تكن الجوارى قد انتهت من الوجود ، ولا عجز سلطانه أن يهبى له مائة حباية بدل التى نفقت ، ويبدو أن أعداء بني أمية — كما أشرنا من قبل — هالهم أن يجد فى هذه الأسرة رجل نابه مثل ~~عمر بن عبد العزيز~~ ، ولم يستطيعوا أن يمسوا ذكره بسوء لأن صيته قد طبق الآفاق ، فعمدوا الى خلفه يثأرون منه ليقولوا من قيمة بني أمية عملا بسنتهم التى دأبوا عليها •

وقد انتبه الى هذا الاختلاق المستشرق كارل بروكلمان وهو فى ذلك يقول : (١) •

والروايات المعادية للأمويين تصور يزيد الثانى كما صورت سَمِيَّةُ (يزيد الأول) من قبل رجلا مستهترا انغمس فى مناعم اللهو والموسيقى ، وشغلته القيان والمغنيات ، فترك شئون الأمصار الى أمرائه وعماله يصرفونها كما يشاءون • والواقع أن عهده القصير ظل حافلا بضروب النشاط الجدى حتى بعد القضاء على الفتنة بالعراق ، فلقد وحد الادارة فى مكة والمدينة وأدخل اصلاحات مالية كثيرة • • وانه لمن العسير أن ينسب الى مثل هذا الرجل من العاطفة ما جعله يحزن لوفاة جارية من جواريه المقربات — كما تحاول بعض الروايات أن تثبت — حزنا أدى الى وفاته •

هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ)

كان يزيد بن عبد الملك يريد أن يعين ابنه الوليد ولياً للعهد من بعده ، ولكن أصحابه أرشدوه إلى أن الوليد صغير السن ولا يستطيع أن يحمل عبء الخلافة ، ولهذا عين يزيد أخاه هشاماً لولاية العهد على أن يجيء بعده الوليد ، فتولى هشام تبعاً لذلك ، واتخذ هشام الرصافة مقراً له غالباً وهي تقع على نهر الفرات .

وقد طالت مدة هشام فكانت حوالي عشرين عاماً ، وكان هشام من خيرة الخلفاء ، اشتهر بالحلم والعفة . وقد نظم الدواوين وضبط الحسابات بعناية فائقة ، قال عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس — والفضل ما شهدت به الأعداء — جمعت دواوين بني مروان فلم أرى ديواناً أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام (١) ولذلك أصبحت مالية الدولة تسير في انتظام شامل ، ولم يعد هناك طريق لاختفاء أى مبلغ مستحق لبيت المال ، وفي حين كانت الموارد منتظمة كانت النفقات قليلة لأن هشاماً كان ممسك اليد ان لم نقل انه كان بخيلاً (٢) ، ومما روى من قصص امساكه ما روى الطبري أن عقال بن شبة دخل على هشام حينما أراد أن يرسله الى خراسان سنة ١٢٥ هـ ، قال عقال : وكان هشام يلبس قباء أخضر ، فجعلت أتأمل هذا القباء ؟ ففطن هشام لذلك فسأل عقالا : مالك تطيل النظر الى القباء ؟ فأجاب عقال : رأيت عليك قباء مثل هذا قبيلاً أن تلى الخلافة (منذ عشرين عاماً) انتهى لحسبت أنه من القباء من رآه من قبل القباء مالي سواء ، أما ما ترونه من جمى هذا أبان ودونه هو القباء (٣) وهناك روايات أخرى تذكر أن هشاماً كان يجود أحياناً ، وأن الشعر كان يهز نفسه

(١) الطبري ج ٥ ص ٥١٦ .

(٢) أنظر الفخرى ص ١٢٢ .

(٣) الطبري ج ٥ ص ٥١٥ .

فيسخو ، روى ابن عبد ربه أن نصيب بن رباح الشاعر الأسود دخل على هشام فأنشده قصيدة منها :

إذا استبقت الناس العـلا سـبـقـتـهم

يمينك عفواً ثم صكت شمالكا (١)

فقال هشام : بلغت غاية المدح ، فسلمنى فقال : يا أمير المؤمنين • يداك بالعطية أطلق من لسانى بالمسألة • قال هشام : لا بد أن تفعل • قال نصيب : لى ابنة نفقت عليها من سوادى فكسدت ، فلو أنفقتها أمير المؤمنين بشئ يجعله لها ؟ فأقطعها هشام أرضاً وأمر لها بحلى وكسوة فنفقت السوداء (٢) •

ويروى ابن عبد ربه كذلك أنه لم يكن فى ملوك بنى مروان أعطر ولا ألبس من هشام ، وأنه خرج حاجاً فحمل ثيابه معه على ستمائة جمل (٣) • وهكذا نجد حديث بخل هشام حديثاً منقوضاً ، ويبدو لى أنه كان دقيقاً غير مفرط ، لا يخدع ، فاعتبرت هذه الصفات بخلاً فى وقت كان الخلفاء يتباهون أحياناً بالسرف •

وقد عرف هشام بالحلم والتقوى ، ويروى أن رجلاً أغلظ له القول فلم يزد عن أن قال له : ليس لك أن تغلظ لأمامك • ومن تقواه ما روى أنه تفقد بعض ولده فلم يجده حضر لصلاة الجمعة ، فسأله فيما بعد : ما منعك من الصلاة ؟ قال : نفقت دابتي • قال هشام : أعجزت عن المشى ؟ ومنعه الدابة عاماً كاملاً (٤) •

ومن تقواه وعدله ما روى أنه لم يكن يَدْخُلُ بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون قسامة أن هذا المال أُخْذَ من حقه ، وأن كل ذى حق أُعْطِيَ حَقُّه (٥) •

(١) صلت أى تبعت وتلت •

(٢) العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٧ •

(٣) المرجع السابق ج ٤ ص ٤٤٦ •

(٤) و (٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٥١٦ •

(م ٧ — التاريخ الاسلامى)

وينقل ابن عبد ربه عن عبد الله بن عبد الحكم فقيه مصر قوله : سمعت
الأشياخ يقولون : سنة خمس وعشرين ومائة أديل من الشرف وذهبت
المروعة وذلك عند موت هشام بن عبد الملك (١) .

ومن الرجال البارزين الذين اعتمد عليهم هشام ، خالد بن عبد الله
القسري وإخوه أسد ، ونصر بن سيار ، ومروان بن محمد ، وفي مطلع
عهد هشام عزله هذا عمر بن ربيعة عن العراق وما كان اليه من عمل المشرق
وولى ذلك كله خالد بن عبد الله القسري ، فعين أخاه أسداً أميراً على
خراسان في العام التالي (١٠٦ هـ) وبسبب العصبية التي اندمج فيها أو
أثارها أسد في خراسان عزله الخليفة سنة ١٠٩ وأخذ الخليفة يولى بنفسه
عاملاً على خراسان فولى أئرس بن عبد الله السلمي فالجنيد بن عبد الرحمن
وغيرهما ، ولكن حال خراسان لم يصلح وأبستمرت الاضطرابات فيها فأعادها
الخليفة إلى سلطان خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٧ فأعاد هذا أخاه
أسداً والياً عليها ، واستمرت ولاية خالد على الشرق خمسة عشرة عاماً
كانت له فيها إصلاحات ذات بال ، فقد جفف مستنقعات دجلة حول واسط ،
وبذلك أعد أرضاً واسعة للزراعة ، وكان خالد يغتر بأعماله وبغناه اللواسع
الذي جمعه طيلة مدة ولايته حتى وصل به الغرور أن قال لابنه : ما أنت دون
مسلمة بن هشام (الخليفة) فانك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر بمثلها
أحد مكثرت دجلة ولم يتكلف ذلك أحد ، ولى سقاية مكة ، ولى ولاية
العراق (٢) . وقد كان ذلك مع عوامل أخرى سبباً في أن عزله هشام سنة
١٢٠ هـ ، وبعد عزله نزلت به ألوان من المصائب وبخاصة في عهد الوليد بن
يزيد ، وقد مات تحت العذاب سنة ١٢٧ (٣) .

وبعد خالد تولى يوسف بن عمر ولاية الشرق فولى جديع بن علي

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ٤٥١ .

(٢) الطبري ج ٥ ص ٢٦٨ .

(٣) الاممية والسياسة ج ٢ ص ١٢٤ .

الكرمانى خراسان ولكن سرعان ما عين الخليفة نصر بن سيار والياً على خراسان ، وبقي نصر والياً على خراسان حتى سقطت الدولة الأموية كما سنرى فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة ، وبهذا عاصر نصر أعقد المشكلات فى تلك البقاع .

وفى عهد هشام خطت الدولة الأموية خطوة نحو الضعف ، وذلك بسبب قيام العصبية بين عرب الشمال وعرب الجنوب وبخاصة فى خراسان ، وكان هذا مما ساعد الشيعة على تحقيق انتصارات جديدة فى تلك البقاع (٦) ، وفى غير خراسان كانت هناك أيضاً ثورات سببها مع العصبية سوء سيرة بعض العمال ، وربما كانت أخلاق هشام من حرص على المال ودقة فى انفاقه ومن لين وحلم ، مما ساعد على استمرار هذه الهزات والثورات .

أما مروان بن محمد فقد ولاء هشام أرمينية وأذربيجان وسيأتى الحديث عن الدور الذى قام به مروان لتثبيت الدولة ، ولكن محاولة مروان جاءت بعد قوات الأوان .

الوليد بن يزيد (١٢٥ — ١٢٦ هـ)

ولد الوليد سنة ٩٠ من الهجرة وتولى أبوه الخلافة والوليد في الحادية عشرة ومرض أبوه مرض الوفاة والوليد في الخامسة عشرة ، وقد حكينا عن يزيد أنه كان فيه خلاعة ومجون ، والولد سر أبيه ، فلا عجب أن يكون في الوليد خلاعة أبيه ومجونه ، ولكن هناك شيئاً آخر ذا بال يبدو أنه أفسد حياة الوليد بن يزيد ، فيحكى الطبرى (١) أن يزيد بن عبد الملك عقب توليته الخلافة أراد أن يعقد لابنه الوليد ليكون ولياً لعهد ، ولكن الوليد لم يكن قد بلغ سن الرشد فاضطر يزيد أن يجعل هشاماً ولياً لعهد وبعد هشام يجيء الوليد بن يزيد ، ولكن يزيد بن عبد الملك ظل حياً حتى بلغ ابنه سن الرشد وجاز له في رأيه أن يكون خليفة من بعده ، فكان يزيد يأسف لأنه قدم أخاه على ابنه ، وروى عنه أنه كان يقول : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك •

وتولى هشام في مثل هذا الجو ، وأراد هشام بدوره — كمادة أكثر الخلفاء — أن ينحى ابن أخيه ليولى أبنته هو ، فيمكن القول أن الكراهية كانت متبادلة بين الوليد بن يزيد وهشام ، ليس فقط منذ تولى هشام الخلافة بل يرجع تاريخ هذه الكراهية الى ما قبل ذلك •

وكان في الوليد خلاعة ورثها عن أبيه كما أشرنا آنفاً ، وألقى به السخط خارج دمشق ، فعاش في البرية في ضيعة بالأردن ، وصادف أن مؤدبه عبد الصمد بن عبد الأعلى كان مطعوناً في خلقه ، وهذه الظروف فيما يبدو دفعت الصبى أن يخفف أساءه وبلواه بأن يدفن همومه في الكأس ، وبين صحبة الجوارى • وفي أحضان الآثام •

وانتهز هشام هذه الفرصة فراح يشنع على الوليد ليأخذ من ذلك

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٢٠ •

وسيلة لعزله وتولية ابنه ، واعتقادي أنه لو صح عن الوليد ما أسيح عنه من انحراف ومعاص لكانت هذه فرصة تحقق لهشام مأربه ، ولذلك أرى أن الوليد لم يكن من الفسق بالدرجة التي تروى عنه ، ولو كان كذلك لما شهدناه خليفة مع أن هشاماً كان يتربص به ، وأرى كما ذكرت من قبل أن الروايات المعادية لبنى أمية أطنبت وبالغت وانتهزتها فرصة أن بنى أمية أنفسهم يذيعون عن الوليد هذا الفجور ويطنبون فيه .

ومما يروى عنه مما لا يسهل تصديقه أنه لما تولى الحج سنة ١١٩ حمل معه كلاباً في صناديق ، وحمل معه الخمر وأراد أن يشرب بجوار الكعبة في الحرم (١) وإن الإنسان ليحس أن هذه قصص موضوعة أريد بها التشويه لذلك الإنسان الضال . والافهل ضاقت به الدنيا حتى يشرب في المكان المقدس الذي ذهب لتعظيمه وذهب ليقود جماهير الحجاج التي تؤمه من كل صوب ؟ وما كان من الممكن أن يجعله هشام أميراً للحج وفيه هذا الاتجاه للانحراف .

والذي يتأمل الروايات التي يوردها الطبري يدرك أن مثار سخط هشام كان احساسه بأن الوليد وكلي عهد دون ولده ، وقد روى الطبري أن الوليد شرب يوماً هو ومؤدبه ونديمه عبد الصمد ، فلما أخذ منهما الشراب مأخذه قال الوليد لعبد الصمد : قل شعراً . فقال :

لعل الوليد دنا ملكه
فأمسى إليه قد استجمعا
وكننا نؤمّل في ملكه
كتأميل ذي الجَدْبِ أن يثمر عا
عقدنا له محكمات الأمو
ر طوعاً فكان لها موضعاً

(١) الطبري ج ٥ ص ٥٢٠ - ٥٢١ تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٥٠ .

وبلغ ذلك الشعر هشاماً فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه ، وكتب إليه أن يخرج عبد الصمد من صحبتته (١) .

ومات هشام وتولى الوليد بن يزيد ولكن سيرته كانت قد لوّنت بالحق أو بالباطل أو قل بالحق وبالباطل معاً ، وربما يكون قد بالغ في فسقه حينما خلا له الجو وآل له المال الوفير الذي جمعه هشام باقتصاده ودقته ، فاذا به أغنى الناس . وقد كان على وشك أن يكون مأزوماً حينما قطع عنه هشام ما كان يجري عليه ، فأفلت زمامه واقتضح أمره ، وبالغ في طلب اللذة والركوب للصيد وشرب النبيذ ومنادمة الفساق ، كما اتهم باتصاله الجنسي بأمهات أولاد أبيه (٢) .

ومما أخذ على الوليد أنه اتجه الى الانتقام المر من أولاد هشام فأنزل بهم صنوف الأذى ، ضرب بعضهم وحبس آخرين منهم ، وصادر ما استطاع من أموالهم وممتلكاتهم (٣) .

وفي هذا الجو من الفسق والاتهام به ، وفي هذا الجو من الكراهية والتحدى والانتقام هب الناس يتحدثون ساخطين عليه ، وبايعوا سراً يزيد ابن الوليد بن عبد الملك ، ولما تأكد يزيد من قوته أعلن ما كان سراً ، وزحف الى دمشق ، وخاص معارك ضد الوليد ، وقد صمد الوليد في بعضها ولكنه هزم في النهاية ، ودخل قصره ولجأ الى المصحف يقرأ فيه ويهتف : يوماً كيوم عثمان وتسوّر الثائرون بيته ، ودخلوا عليه وقتلوه (٤) .

واعتقادي أن قتل الوليد كان فرصة لواضعى الروايات من أعداء بنى أمية فخلقوا من ذلك الشيء الكثير . وابتدعوا صوراً جديدة تنسب للوليد

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٢٢ .

(٢) الطبري : ج ٥ ص ٥٣٨ .

(٣) الطبري : ج ٥ ص ٥٢٥ — ٦٢٦ والعقد الفريد ج ٤ ص ٤٢٦ .

(٤) الطبري : ج ٥ ص ٥٥١ .

ألواناً من الفسق ، كما وضعوا باسمه الأسعار التي تصوره زنديقاً محتقراً
للشرآن الكريم ^{مهاجماً} تعاليم الاسلام ، والذي يجعلنى أرى فيها بعض
المبالغات أن مقاومة الوليد كانت كبيرة وأن أتباعه عند اصطدامه بجيوش
يزيد بن الوليد كانوا كثيرين ، وأن مروان بن محمد زحف لمساعدته بجند
لو أسرع قليلاً لحقق له النصر ، وأن الثورات التي طالبت بالتأثير له لم تهدأ
حتى انتصر أتباعه بقيادة مروان بن محمد وأخرجت جثة قاتله يزيد بن
الوليد وصليباً (١) ورجل فيه ذلك الفسق الذي يصورونه لا يعقل أن ينال
كل هذا التأييد .

وكان الوليد شاعراً ممتازاً ولكن أهم موضوعات شعره كانت تافهة ،
فلقد استغل مواهبه في الحديث عن الخمر والنساء ولما تولى الخلافة اتجهت
مواهبه الى شعر الشماتة من هشام .

(١) الطبرى : ج ٥ ص ٦٠٦ وما بعدها .

يزيد بن الوليد (١٢٦ هـ)

لم يهنا يزيد بالخلافة التي سعى لها سرا وجهراً ، فكانت مدة خلافته حوالى ستة أشهر ، وكانت هذه المدة القصيرة مملوءة بالمتاعب فقد ثار أهل حمص في وجهه مطالبين بئار الوليد ، وثار في وجهه أيضا مروان بن محمد ، وكانت الحروب على وشك أن تقع بينهما ، ويروى أن يزيد بن الوليد كتب الى مروان : أما بعد فانى أراك تتقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام • فأنته بيعته (١) • وهكذا نجد العصبية على أشدها لا في خراسان وحدها بل في الشام نفسها ، وكان جند الشام هم عدة بنى أمية ، فإذا انقسم هؤلاء الجند على أنفسهم كان ذلك إيذانا بانقضاء دولتهم (٢) •

وقد مات يزيد بعد هذه الشهور الستة القليلة وأوصى بالخلافة من بعده لأخيه ابراهيم •

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٥٩ •
(٢) انظر الطبري : ج ٥ ص ٥٦٤ وما بعدها •

ابراهيم بن الوليد (١٢٦ هـ)

لم يستقر الأمر ليزيد بن الوليد وبالتالى لم يستقر الأمر لأخيه ابراهيم ، ولم تكن خلافته موضع اجماع من المسلمين ، ولم تتم له بيعة اجماعية ، ولذلك كان بعضهم يناديه خليفة وكان آخرون ينادونه أميراً (١) ، ومن أهم الثورات التى قامت فى وجهه ثورة مروان بن محمد والى الجزيرة وأرمينية ، فانه إذا كان قد تمسك بالصبر فى عهد يزيد ابن الوليد فانه لم يستطع أن يمضى بيعته لابراهيم ، ولذلك نجده يقود جيشاً كبيراً ويتجه به للشام مطالباً بثار الوليد بن يزيد وبحقوق أبنائه ، فأرسل له ابراهيم بن الوليد جيشاً بقيادة سليمان بن هشام فهزمه مروان ، فعاد سليمان الى الشام فقتل ابنى الوليد بن يزيد وسار الى تدمر ، وكان مروان قد ادعى فى أول الأمر أنه يقاتل فى سبيل هذين الولدين وكان القيسية يشدون أزره لذلك ، فلما قتلا طالب بالأمر لنفسه فبايعه الناس (٢) .

(١) الطبرى : ج ٥ ص ٥٩٦ .

(٢) دوايت دونلدش : عقيدة الشيعة ص ١٢١ .

مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢ هـ)

لم يستقر الأمر لمروان الا في عام (١٢٧ هـ) فقد كانت هناك شهور نضال ، اذ أن مرواناً لم يتول ببيعة سابقة وانما تولى بحد السيف فلم يحاربهم ، وهب في وجهه سليمان بن هشام فحاربه •

على أن الثورات استمرت في وجه مروان بعد البيعة ، وقد شملت هذه الثورات الشام كله ، فثار عليه أهل حمص فقاتلهم ، وثار عليه أهل الغوطة فحاربهم ، وهب في وجهه سليمان بن هاشم فحاربه •

وبالاضافة الى ذلك هبت ثورات الخوارج وهبت ثورات بالحجاز ، واشتد الصراع الشيعي في خراسان ، وكسب الشيعة النصر في كثير من المعارك •

لقد كان مروان شجاعاً صاحب دهاء ومكر (١) وكانت له خبرة واسعة في الحروب ، ومن أهم ما يتصل به أنه وضع خطة لاعادة تنظيم جيوش الخلافة • فبدلاً من تقسيم الجيش الى فرق تنتسب كل منها الى قبيلة ، رأى تأليف جيش نظامي يخدم أفراداً برواتب معينة بإمرة قادة محترفين وينقسم المجندون للخدمة العسكرية الى فرق قليلة العدد تفوق في سرعة حركتها وقوتها نظام الخطوط الطويلة عند العرب (٢) • ولكن هذا كله لم يعن شيئاً لأن الظروف كلها كانت ضده وكانت عوامل فشله محكمة ، فقد جاء في وقت تلهل فيه ثوب الخلافة الأموية ، ولم يعد هناك أمل في اصلاحه ولا مكان لوضع الرقاع فيه ، وقد شغلت أحداث الشام والعراق والحجاز الخليقة فلم يستطع أن يقدم عوناً لواليه في خراسان فانهزم واليه نصر بن سيار أمام أبي مسلم الخراساني ، واستمر زحف الشيعة من خراسان حتى

(١) الفخرى ص ١١٧

(٢) الفخرى ص ١١٧

شمل العراق فمصر وخر مروان في مصر قتيلا في قرية اسمها بوضير من قرى الصعيد سنة ١٣٢ (١). بعد حياة مملوءة بالكفاح والجداد ، وبموته انتهت الدولة الأموية .

أما زحف الشيعة فسيجد القارئ تفاصيله الواثقة عند الكلام عن قيام الدولة العباسية في الجزء الثالث من هذه الموسوعة .

التوسّع الإسلامي
في عهد الدولة الأموية

أسباب التوسع ومبادئه :

امتدت الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين امتداداً شرحناه في الجزء الأول من هذه الموسوعة ، ولكن هذا الامتداد لم يصل بها الى حدود ثابتة ، فلا تزال هناك منازعات واتصالات حربية على الحدود في مختلف الجبهات ، ولا تزال الأرض التي امتد لها الاسلام معرضة لحملة من غير المسلمين وراء الحدود ، وأكثر من ذلك فقد حصل انتقاص في الدولة الإسلامية في أثناء الخلاقات والثورات الداخلية ، وفي بعض الأحيان كان الخليفة المسلم يقف بين ثائر داخلي وتهديد من الخارج ، فكان عليه في هذه الحالة أن يشتري بالمال سلامة حدوده قبل أن يتقدم على مواجهة الفتن الداخلية وقمعها وسنذكر بعض أمثلة لذلك فيما بعد ، وعلى هذا كان لا بد من معارك أخرى بين بنى أمية وجيرانهم في أكثر الميادين التي انتهت عندها الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين ، وقد تسلسلت هذه المعارك على النحو الذي سيرد ذكره ، وسارت خطوة خطوة ، فربما كان هدف المسلمين الأول أن يفتحوا الشام وفلسطين للأسباب التي أوردناها في الجزء الأول من هذه الموسوعة ، فلما تم ذلك وجدوا ألا مناص من دخولهم مصر ليؤمنوا جيوشهم في فلسطين من زحف يقوم به جند الروم بمصر ، فلما تم لهم فتح مصر خافوا على جيوشهم بها من جند الروم بليبيا أو هوجموا فعلا بجيوش الرومان ، وهكذا دواليك ، قطبيعة الحروب الامتداد ما دام لم يقف حد فاصل طبيعي بين الجيشين المتعادين *

هذا سبب أول لامتداد الفتح في عهد بنى أمية ، وهو سبب كما ترى إسلامي ، وهو في طبيعته دفاع وليس به صبغة العدوان ، وهناك بجانب ذلك سبب آخر لا يمكن أن نغفله ، وذلك هو الجهاد لنشر الاسلام ، وقد اتَّجَّه بعض المسلمين هذا الاتجاه ورأوا أن من واجبهم أن يحاربوا غير المسلمين وبخاصة جنود الشرك التي تحول بين الفكر الإسلامي وبين قلوب الناس المتطلعين اليه *

على أن عصر بنى أمية يمتاز بأنه عنى بالدولة ، ومعنى هذا أن روح الملك والرغبة في السلطان بدأت تظهر عند الخلفاء ، وأصبح التوسع يحقق رغبة في نفس الخليفة ويضمن لدولته الهيبة أمام ملوك عصره .

وننتقل بعد ذلك الى نقطة أخرى هي أن التوسع والفتوحات لا بد لها من استقرار في الداخل ، ولا بد لها كذلك من خليفة قوى طموح ، وفي ضوء ذلك ، وفي ضوء الدراسات التي سبق أن سقناها عن خلفاء بنى أمية ، يتضح لنا أن الوقت المناسب للفتح والتوسع في العصر الأموي كان عصر معاوية ، والسنوات الأخيرة من عهد عبد الملك . ثم عصر الوليد ، وعلى هذا فقد نمت في هذه العهود فتوحات رائعة سنذكرها بشيء من التفصيل فيما بعد ، وفي غير هذه العهود توقفت الفتوحات أو حققت انتصارات محدودة ، فقد كانت الدولة الأموية مثقلة بثورات في الداخل ، أو كان يحكمها خلفاء محدودو المواهب كبعض خلفاء العهد الأخير ، أو خليفة يتجه طموحه لارضاء الله لا لتوسيع سلطانه ورقعة الأرض الخاضعة له كعمر بن عبد العزيز .

وبعد بنى أمية توقف التوسع الاسلامي فلم تستطع الدولة العباسية أن تخطو عسكريا للأمام خطوة واحدة ، بل لم تستطيع أن تهد سلطانها على كل أملاك الأمويين بعد سقوط دولتهم ، على أن حركة التوسع العربي أن كانت توقفت في العهد العباسي فان حركة انتصار الاسلام لم تتوقف ، بل ان الاسلام واصل سيره بطرق الدعاة والتجار ... فاقترع قلب افريقية وعم ربوعها كما شرحنا ذلك في الجزء السادس من هذه الموسوعة ، وانتشر في الملايو واندونيسيا وقد أثبتنا ذلك في الجزء الثامن من هذه الموسوعة ، وقد استؤنفت بعد ذلك حركة التوسع العربي في ظل الغزنويين والعثمانيين ، والمهم الآن أن التوسع في العهد الأموي شمل الميادين الثلاثة المهمة التي انتهى عندها الفتح الاسلامي في عهد عثمان ، وهذه الميادين هي :

أولا : ميدان الحرب ضد الروم في آسيا الصغرى وفي امتداد الحرب

في هذا الميدان فشملت سار القسطنطينية وغزو بعض جزر البحر الأبيض المتوسط .

ثانيا : ميدان الشمال الأفريقي ، وقد امتد هذا الميدان حتى المحيط ، ثم عبر مضيق جبل طارق وامتد الى أسبانيا .

ثالثا : الميدان الشرقي وقد امتد هذا الميدان من العراق تجاه الشرق ، ثم تفرع فرعين سار أحدهما الى الشمال تجاه ما وراء النهر وهبط الآخر الى الجنوب فشمّل بلاد السند .

وستكلم بالتفصيل عن كل ميدان من هذه الميادين الثلاثة :

الميدان الاول

حروب المسلمين ضد الروم في آسيا الصغرى وحول القسطنطينية .

لا نزاع أن هذا الميدان كان من أهم الميادين بالنسبة للدولة الأموية ، فالدولة الأموية اتخذت دمشق عاصمة للدولة الإسلامية ، وأصبحت العاصمة بذلك قريبة من الحدود البيزنطية ، وكان معاوية والياً على سوريا منذ عهد عمر بن الخطاب ، ولذلك اعتبر مسئولاً عن سوريا منذ ذلك الحين ، فلا عجب إذاً أن يتجه الأمويين لتحسين حدود سوريا وإبعاد العدو عنها ، ذلك العدو الذي كان يحلم باستعادة هذه الأرض الغالية التي فقدوها الى الأبد .

وفي أثناء الفتنة التي سبقت عهد معاوية ، تلك الفتنة التي شملت السنين الأخيرة من عهد عثمان وشملت كذلك خلافة علي بن أبي طالب ، في أثناء هذه الفتنة استعاد الروم بعض أجزاء من أرمينية التي كان قد تم (م ٨ - التاريخ الإسلامي)

فتجها (١) ، كما رأى معاوية تحفّز ملوك الروم للزحف على حدوده عندهما اشتراك في الفتنة التي تلت قتل عثمان ، ولذلك اضطر معاوية قبل أن يواجه جيوش علي أن يعقد هدنة مع الامبراطور قنسطانز وأتباعه من الجراجمة (٢) على أن يدفع لهم اتاوة ليضمن سلامة أراضيهم (٣) .

ولما تم الأمر لمعاوية وسكنت الفتنة اتجه معاوية الى مواجهة القوة بالقوة ، وبدأ خطته باستئناف نظام الشواتي والصوائف للدفاع عن الثغور الاسلامية أو لزعزعة العدو الى الوراء والاستيلاء على حصونه التي كانت تواجه حصون المسلمين (٤) على أن معاوية سرعان ما عدل فكرته وأراد أن يضرب ضربة قوية يقصم بها ظهر الامبراطورية البيزنطية ، وذلك بالاستيلاء على عاصمتها « القسطنطينية » وخيل اليه أن سقوط العاصمة سيجعل الامبراطورية كلها تخر له كما خرت من قبل امبراطورية الفرس بعد سقوط عاصمتها « المدائن » .

وقد أعد معاوية لهذا الأمر الجليل عدته فتمسّى اسطوله حتى صار ١٧٠٠ سفينة مزودة بالعدة والسلاح ، ثم غزا جزر شرقي البحر الأبيض المتوسط فاحتل منها رودس سنة ٥٣ هـ واقريطش (كريت) سنة ٥٤ هـ كما غزا جزيرة صقلية وجزيرة صغيرة اسمها أرواد بالقرب من القسطنطينية (٥)

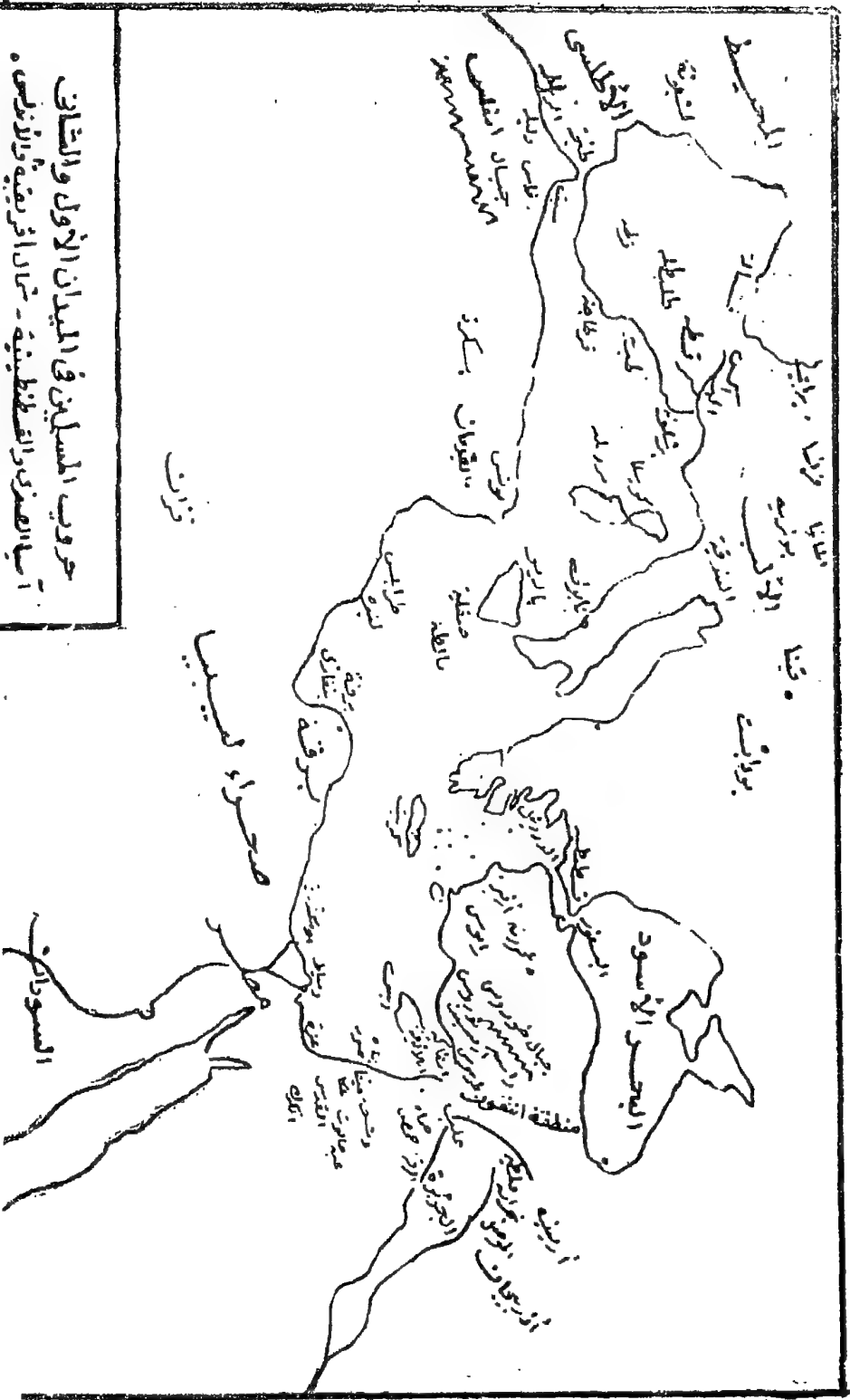
(١) معجم البلدان ج ١ ص ١٠٢ .

(٢) ينسب الجراجمة الى مدينة اسمها جرجومة بالقرب من انطاكية ، وتدّ صالحوا المسلمين في عهد ابي عبيدة ولكنهم لم يدخلوا الاسلام ، وانزل بعضهم الى جبال لبنان والمتبع لتاريخهم يخدم يظاهرون المسلمين ان كانت للمسلمين الغلبة على الروم ، فاذا ظهر ضعف في الجانب الاسلامي ساعدوا الروم على المسلمين ولذلك كثر انتفاضهم وكثر اخضاعهم . (اقرأ البلاذري ص ١٦٣ — ١٦٧) .

(٣) فتوح البلدان ص ١٦٤ واليعقوبي ٢ : ١٥٧ .

(٤) فتوح البلدان ص ١٦٦ و ١٨٩ .

(٥) انظر في البلاذري « فتح جزائر في البحر » ص ٢٣٧ وانظر كذلك الطبري ج ٤ ص ٢٣٨ وتقع جزيرة أرواد بالقرب من الضفة الغربية لبحر . كما يقول بروكلمان (تاريخ الشعوب الاسلامية ١ : ٥١) .



حروب المسلمين في الميدان الأول والثاني
 آسيا الصغرى والقسطنطينية - شمال أفريقيا والأندلس

بالإضافة الى جزيرة قبرص التى كان معاوية قد فتحها فى ع. - شمن (١) ،
وكان جنادة بن أبى أمية قائد الأسطول الاسلامى فى أثناء غزو أكثر هذه
الجزر (٢) .

ولما هدد معاوية البر وسيطر على البحر تقدم لهدفه العظيم ، فأعد
مئات من المراكب الثقيلة عليها الأسلحة اللازمة لحصار مدينة القسطنطينية
قوية الأسوار محكمة الحصون ، وقد سارت مراكب المسلمين الى بحر مرمرة
وحققت فى طريقها انتصارات باهرة ، ثم وصلت المدينة العظيمة والقت
عليها الحصار ، وكان جيش المسلمين بقيادة يزيد بن معاوية (٣) ومعه
مجموعة من أبطال المسلمين المخاوير ، منهم الصحابى أبو أيوب الأنصارى
وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وابن العباس وتبعاً للرواية التى
يوردها ابن الأثير (٤) كانت القيادة لسفيان بن عوف ، وربما كانت القيادة
الفعلية لسفيان وكان معه يزيد حيث أراد معاوية لابنه أن يشتهر بالبأس
والنضال فى سبيل الله (٥) .

وحول المدينة العتيقة دارت معارك عنيفة بين المهاجمين والمدافعين ولكن
بدا واضحاً أن أسوار المدينة وحصونها كانت أقوى من عدة المهاجمين ولذلك
قاومت القسطنطينية هذا الحصار الطويل الذى امتد حوالى سبع سنوات
على أقوى الروايات (من سنة ٥٤ الى سنة ٦١) وقد مات فى هذه المعارك
الصحابى الشهير أبو أيوب الأنصارى ودفن تحت أسوار القسطنطينية ،
وبذلك أصبح قبر أبى أيوب مثار قصص وأشعار تدعو المسلمين لمعاودة

(١) انظر الجزء الأول من هذه الموسوعة ص ٢٢٣ .

(٢) البلاذرى ص ٢٣٧ .

(٣) الطبرى ج ٤ ص ١٧٣ .

(٤) الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٥) ويروى ابن عبد ربه أن القيادة الفعلية كانت فى يد يزيد (انظر العقد

الفريد ج ٤ ص ٣٦٧) .

البحار وفتح القسطنطينية ، حتى لا يبقى البطل أبو أيوب وحيداً في مدفنه
بثلاث البقاع *

وانسحب الأسطول الاسلامي ولم يعرف بالضبط سبب انسحابه ،
وترى الروايات الأجنبية أن ذلك كان بسبب احتراق بعض قطع هذا
الأسطول بالنار عليها (١) ، ولكن اذً اتضح لنا أن انسحاب الأسطول
كان في أواخر عهد معاوية أو أوائل عهد يزيد كان من الضروري أن تربط بين
هذا الانسحاب وبين انتقال الخلافة من معاوية الى يزيد ، وما كان يدركه
معاوية من أن يزيد سيصادف بعض المتاعب ليستقر له الأمر وتجتمع حوله
الكلمة ، ثم ما صادفه فعلاً يزيد من ثورات وسخط شغلت عهده كله ،
وضرورة وجود يزيد نفسه في العاصمة الاسلامية في هذه الفترة وكان قبل
ذلك قائداً للجيش المحاصر ، ولا نزاع أنى أميل لهذا الرأي وبخاصة أن
المؤرخين العرب لم يذكروا شيئاً عن احتراق بعض قطع الأسطول
الاسلامي *

وانتسكس هذا الميدان في أثناء الفتن والحروب الداخلية التي تلت وفاة
معاوية واستمرت حتى شملت معظم عهد عبد الملك بن مروان ، فقد انتهز
الروم هذه الفرصة وهاجموا ثغور المسلمين واستولوا على بعضها (٢) ، كما
تدخلوا في شئون أرمينية فاستولوا على بعضها أيضاً ، وساعدوا كذلك
بعض زعمائها على الاستقلال بمناطقهم (٣) ، وهاجموا ساحل سوريا
وهدموا بعض مدنه مثل عسقلان وصور وعكا (٤) ، ومرة أخرى اضطر
المسلمون أن يشتروا سلامة حدودهم بالمال ، فقد صالح عبد الملك ملك الروم

(١) انظر هذه الروايات في التاريخ السياسي للدولة العربية للإكبر
ماجد ٢ ج ٢ ص ٤٨ .

(٢) فتوح البلدان ص ١٨٩ .

(٣) فتوح البلدان ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٤) الطبري ج ٥ ص ٢ والبالذري ص ١٦٤ .

على أن يؤدي له في كل جمعة ألف دينار خوفا على المسلمين (١) . فلما رأى عبد الملك على الفتن الداخلية عاد الى الميدان الخارجى يرد بقوة عبث الروم بمناطق الحدود ، فاسترد عبد الملك ما استولى عليه الروم من ثغور المسلمين ، وأعاد اخضاع أرمينية ، ونظم سلسلة الشواطى والصوائف ، كما دعم حصون المسلمين وأكثر من حراسها وزودهم بالعتاد والسلاح ، وفي سنة ٨٤ هـ أرسل جيشاً بقيادة عبد الله بن عبد الملك ففزا الروم وفتح المصيصة (٢) .

وجاء عهد الوليد أو قل جاء عهد الظفر الواسع ، ولكن ميدان الروم على كل حال كان قليل التأثير بحركة التوسع الهائلة التى امتاز بها عهد الوليد ، ولعل الميادين الأخرى شغلت بال الوليد وجنده فاتجه اليها بقوة دون ميدان آسيا الصغرى ، واكتفى في ميدان الروم ببضع ضربات ان لم تكن حاسمة فقد كانت قوية ، فقد دفع خط الدفاع الاسلامى الى الأمام مسافة طويلة بأن استولى على بعض حصون الروم وأعاد ترميمها واعادها وأسكنها الجنود الأثداء ، ومن هذه الحصون حصون مرعش وعمورية (٣) التى ستكون عظمة الشهرة فيما بعد في عهد المعتصم العباسى ، كما استولى على أنطاكية (٤) .

وتجدد الأمل مرة أخرى في فتح القسطنطينية ، ويقال إن الوليد لم يرد أن يقدم على هذا التصرف قبل أن يمهد له الطريق بذلك حصون الروم وضمان سلامة الطريق ، ولكن الوليد مات عقب ذلك قبل أن يرسل جيشاً لمحاولة جديدة لفتح القسطنطينية لانشغاله في الميادين الأخرى كما سبق القول ، أو لعدم ضمان سلامة الطريق للعاصمة العتيدة ، وعلى كل حال فقد قام سليمان بن عبد الملك بهذه المحاولة الجريئة ، وأطمعه في ذلك اضطراب الأحوال في الدولة البيزنطية والخلاف على العرش ، كما

(١) تاريخ الامم والملوك ص ١٨٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) فتوح البلدان ١٦٧ والكمال لابن الأثير : ١١٠ .

(٤) الطبرى ج ٥ ص ٢٥٧ .

أعلمه انضمام ليون المشرعى اليه ، ووعده أن يحارب بجوار المسلمين وأن يحكم باسم الخليفة إذا وصل الى العرش .

وتحركت الحملة العظيمة برا وبحرا ، وتحرك معها الخليفة وترك عاصمته وأقام في دابق بالقرب من حلب ليكون أقرب الى ميدان القتال ، وكان قائد الحملة مسلمة بن عبد الملك وهو رجل شجاع مشهود له بالصرامة ، وحقت الحملة في طريقها كثيرا من الفوز حتى وصلت القسطنطينية وألقت عليها الحصار (١) ولكن هذه الحملة لم تأت بنتائج تذكر لأن ليون عندما وصل الى العرش بمساعدة المسلمين انقلب يحاربهم ، كما قاسى المسلمون من الشقاء صعوبات كثيرة ، ثم إن الروم استطاعوا أن يعزقوا الطريق بين البلاد الاسلامية وبين الحملة الموقلة في بلاد الروم ، فضعف المدد عن هذه الحملة وبدأ موقفها يضعف ، وكان ذلك في مطلع عهد عمر بن عبد العزيز الذى أصدر أمره بفك الحصار وعودة الجيوش الاسلامية (٢) ، وهكذا نجت القسطنطينية من الحصار الثانى كما نجت من الحصار الأول .

ونجت بذلك القسطنطينية سنة ٧١٧ م من السقوط في أيدي المسلمين ، ولكن نجاتها كانت مؤقتة فبقيت بعد ذلك عدة قرون أخرى عاصمة بيزنطة حتى سقطت في أيدي المسلمين سنة ١٥٤٣ م على يد محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١) على ما سنورده فيما بعد في الجزء الخامس من هذه الموسوعة .

(١) الطبرى ج ٥ ص ٢٦١ - ٢٩٢ .

(٢) الطبرى ج ٥ ص ٣٠٩ .

الميدان الثانى

حروب المسلمين فى شمالى افريقية والاندلس

شمالى افريقية :

كانت منطقة ساحل افريقية الشمالى خاضعة لنفوذ الروم ، وكانت تحكمها حاميات رومانية ، أما ما عدا الساحل من صحارى ومزارع تمتد جنوبا الى بلاد السودان فيقول عنها ابن خلدون (١) ما يلى :

كان للبربر فى الضواحي وراء ملك الأمصار الرومية ما لا يحد من قوة وعدة وعدد وملوك ورؤساء وأقيال ، وأمرأؤها لا يرامون بـذل* ، ولا ينالهم الروم والافرنج فى ضواحيهم تلك بمسخطة الاساءة .

ويصفهم ابن خلدون بأنهم كانوا فى دور البداوة عند الفتح العربى (٢) وكانوا لا تجمعهم أمة بل يعيشون فى حياة قبلية ، وكانت الوثنية ديانتهم كما كانوا يؤمنون بالسحر والكهانة ، وقد دخلت اليهم اليهودية والنصرانية مع الغزاة أو عن طريق مصر ولكن هاتين الديانتين كانتا قليلتى الانتشار (٣) .

وقد امتد الفتح الاسلامى — كما سبق القول — الى برقة وطرابلس فى عهد عثمان ، وكان المسلمون يقصدون بفتح برقة وطرابلس تأمين سلامة مصر ، ولكن البيزنطيين بدءوا يجددون حصونهم فى الساحل وبدءوا يرسلون الجيوش لحصونهم فيها ، وكان الأمر قد آل لمعارية ، فعزم على القضاء نهائيا على حكم الروم فى شمالى افريقية واعتمد على

(١) العبر : ٦ : ١٠٧ .

(٢) المقدمة : ص ٢٩٤ .

(٣) العبر : ٦ : ١٠٦ .

القائد الشهير عقبة بن نافع الفهري الذي كان مقيما في برقة يعد فتحها ،
وكان يعمل على أن يجذب البربر لدخول الاسلام .

وقد تولى عقبة قيادة جيش المسلمين بمهارة فائقة ، فأنزل بأعدائه
خسائر فادحة ، وانقصر على الروم في الساحل وعلى البربر في الداخل ،
فخضعت لسلطانه طرابلس وفزان وسار جنوبا حتى وصل بلاد السودان ،
ولم يكن المسلمون في هذه المرة يريدون تأمين مصر ، ولكنهم كانوا
يعتزمون التخلص من جيوش الروم وادخال البلاد نهائيا في الدولة
الاسلامية ، ولذلك أمر معاوية عقبة أن يختار مكانا مناسباً ينشئ به مدينة
اسلامية تكون معسكرا للجيش ومقرا للمسلمين ، فاختر عقبة أحد
الأودية البعيدة عن الساحل وأنشأ مدينة القيروان ، وكان تخطيطها على
نمط تخطيط الأمصار الاسلامية في البصرة والكوفة والفسطاط ، فشملت
المسجد ودار الامارة ودورا للقادة وأسرههم ومعسكرات للجنود ، وكان
انشاء قاعدة القيروان سنة ٥٠ هـ (١) .

وقبل أن نستعرض في وصف حملات المسلمين على شمالي افريقية
نقرر أن مقاومة هذه البلاد كانت قوية وقد استمرت حوالي ستين سنة
منذ فتحت برقة في أواخر العقد الثالث ، حتى تم القضاء على الروم ومن
ساعدهم من البربر سنة ٨٣ هـ .

ونعود بعد ذلك لقضية النضال في شمالي افريقية والمغرب فنذكر أن
معاوية بن أبي سفيان عزل والي مصر معاوية بن خديج سنة ٥٠ هـ وولى
عليها مسلمة بن مخلد الأنصاري ، كما ضم له المغرب أيضا ، فكان أول
من جمع له المغرب كله ومصر وبرقة وافريقية وطرابلس كما يقول
الطبري (٢) ، فعزل مسلمة عقبة عن افريقية وولى بدله مولى له يقال له
أبو المهاجر (٣) ، وقد نجح أبو المهاجر في النضال الذي قام به واستطاع

(١) الطبري ج ٤ ص ١٧٨ والبلاذري ص ٢٣٠ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٧٨ .

(٣) المرجع السابق والبلاذري ص ٢٣٠ .

أن يضم اليه زعيماً هاماً من زعماء البربر اسمه كسيلة ، فتبعه عدد كبير من قبائل البربر . وقد حاول أبو المهاجر بعد أن أحس بانتصاره على البربر بطريق السياسة والقوة أن ينتصر كذلك على الروم ، فهاجم معقلهم الشهير « قرطاجنة » ، ولكن الروم دافعوا عن هذا المعقل ببسالة ردت عنه المهاجمين .

وفي أوائل عهد يزيد أعيدت القيادة لعقبة بن نافع (١) وظل أبو المهاجر تابعا له ، وقد استطاع القائدان العظيمان أن يسيرا في فتوحاتهما حتى وصلا الى المحيط الاطلسي ويروى أن عقبة صعد هناك ربوة وهتف : يارب ، لولا هذا البحر لخضيت مجاهدا في سبيلك ، ولو كنت أعلم بعمد أرضنا وناسا لخضته اليهم .

على أن هذه الفتوح لم تكن نهاية المطاف ، فقد كره البربر عودة عقبة للقيادة ، وكان كسيلة يضغن على عقبة ، وكان عقبة يستصغر شأن كسيلة بعد ما أحرز من انتصارات ، وحدث أن عقبة كان عائداً من إحدى غزواته المظفرة ، فلما وصل الى بلدة « ضينة » صرف جنده من القيروان وسار في ثلاثمائة من رفاقه يريد بلدة اسمها « تهودة » ، وعرف الفرنجة ذلك فأخبروا كسيلة وأمدوا البربر بالسلاح والأموال ، ففاجأ هؤلاء عقبة وأصحابه ، ودارت معركة غير متكافئة من ناحية العدد والاستعداد ، وقد خسر فيها عقبة وأبو المهاجر وأكثر أصحابهما ، وأسر من بقي (٢) ، وأرقت كسيلة عن الاسلام وتبعه عدد من البربر ، ودفن عقبة في مكان لا يزال يحمل اسمه (سيدي عقبة) وبنى على ضريحه مسجد هو أقدم أثر لفن العمارة الاسلامية في افريقية ، وبقتل عقبة وأبى المهاجر وهزيمة جيشهما عاد السلطان مرة أخرى للروم في الساحل . لكسيلة في الداخل وانسحبت جيوش المسلمين من القيروان الى برقة ، وحاول عبد العزيز ابن مروان والي مصر أن يعيد سلطان المسلمين على هذه البقاع فأرسل

(١) فتوح البلدان ص ٢٢٠ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٦٤٦ - ١٤٨ .

جيشا بقيادة زهير بن قيسين ، ولكن هذا الجيش هزم وقتل قائده وكثير من أفرادِه (١) ، وساعد على هزيمة المسلمين وتقهروهم في ذلك الميدان اضطراب دمشق في تلك الأيام بسبب الفتن التي تلت وفاة معاوية .

وبدأت يقظة الخلافة الأموية في عهد عبد الملك فأرسل جيشا عظيما بقيادة حسان بن النعمان الفسائي ، وقد استطاع هذا الجيش أن يقضى على الروم ويطردهم نهائيا من شمالي افريقية ، كما استطاع أن يقضى على مقاومة البربر ، وعادت هذه البلاد حتى المحيط الأطلسي جزءا من العالم الاسلامي كما تولى حسان تنظيم الشؤون الادارية وشؤون النقد والخراج وغير ذلك من دلائل الاستقرار ، ولم يعد شمالي افريقية تابعا لمصر ، بل أصبح ولاية خاصة يعين عليها وال من قبل الخليفة (٢) .

وعين موسى بن نصير واليا على شمالي افريقية والمغرب بعد حسان ، وقد كان تعيينه في أواخر عهد عبد الملك أو أوائل عهد الوليد واتخذ له لقب « أمير القيروان » وقد أكمل موسى سلطان المسلمين في هذه الديار ، ففرض على ما كان باقيا لبعض القبائل الجبلية من سلطان ، وأخذ المرهائن منها حتى لا تثق عصا الطاعة مرة أخرى ، وفتح طنجة ولم تكن قد فتحت من قبل (٣) وخضعت له صلحا مدينة سبتة الواقعة على الساحل الافريقي والممتدة في البحر تجاه الشمال ، وكانت سبتة تابعة للوك القوط يسينون عليها حكاما ، وبذلك استقر المسلمون في هذه البقاع ويدعوا يتطلعون الى ما وراء المضيق :

انتشار الاسلام بين البربر :

يشمل الجزء الرابع من هذه الموسوعة شيئا من التفصيل عن حركة نشر اللغة العربية والدين الاسلامي بين البربر بالشمال الافريقي ، ولكتنا

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٣١ .

(٢) القرطبي : معجم الطيب ٢ : ١٣٢ والبلاذري ص ٢٣٤ .

(٣) فتوح البلدان ص ٢٣٢ .

هناك نذكر مجملًا لذلك فيما يخص مصر الأموي ، فقد ذكر المؤرخون أن الولاة كانوا ينتهزون الفترات التي ينتشر فيها السلم فيحرصون على نشر الاسلام في هذه البقاع ، وينسب للخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز انه كان من أكبر المتحمسين لذلك ، وأنه رتب لهذا الغرض عشرة فقهاء من أعيان التابعين لارشاد البربر وتعليمهم اللغة العربية والدين الاسلامي ، وقد قدم هؤلاء الفقهاء افريقية سنة ١٠٠ هـ وانتشروا في جهات الولاية ، ونتيجة لمساعيهم وجهودهم المشكورة ، أسرع الناس في قبول الاسلام طواعية ، وتذوقوه حتى أخذ عدد كبير منهم ينبغ في العلوم الدينية (١) .

(١) انظر حسين سليمان : ليبيا بين الماضي والحاضر ص ١١٦ .

الأندلس :

وخلف المضيق كانت تقع شبه جزيرة الأندلس (١) وإذا صح أن عقبة بن نافع قد امتطى جواده واتجه صوب الغرب ، الى المحيط الأطلسي ، فلم ير الا بحرا هائلا وأمواجا صاخبة وحسب أنه ليس هناك خلف البحر عالم آخر وناس يعيشون ، فان موسى بن نصير اتجه الى الشمال ورأى أوروبا وعزم على أن يعبر هذا المضيق ، وينشر الاسلام خلفه وخاصة أن سكان أسبانيا كانوا يحكمون مناطق من افريقية استولى عليها المسلمون ونزلوا لذلك في صراع مع المسلمين ، وكذلك قدم سكان أسبانيا عوناً كبيراً للروم الذين كانوا يحتلون قرطاجنة وسواها من مدن الساحل الافريقي رجاء أن ينتصر الروم في نضالهم ضد المسلمين واتخذت هذه المعونة صبغة الحروب الدينية فقد كان أفرادها يحملون الصليب ، وقام أهل الأندلس بعدة غارات على سواحل افريقية التي كانت قد استولى عليها المسلمون (٢) ، وكل هذه الأسباب ألزمت المسلمين أن يتخطوا المضيق الى ما وراءه .

وكان الرومانيون قد استولوا على شبه الجزيرة سنة ١٣٣ م وفي عهدهم دخلها عدد كبير من اليهود ، ثم غزاها الوندال في أوائل القرن الخامس الميلادي ، وبعد ذلك غزاها القوط في أوائل القرن السادس الميلادي فطردوا الوندال الى الساحل الافريقي ، وبقيت هذه البلاد بها

(١) أقدم أسماء الجزيرة هو « ايبريا » نسبة الى الايبيريين الذين كانوا من اقدم من سكنها ، ولما استولى عليها الرومان في القرن الثاني اطلقوا عليها « اسبانيا » أي شاطئ الارانب ، وربما كان ذلك لأن الفينيقيين عندما نزلوا ببعض جهات من الساحل قبل الرومان صادفوا به أسراباً من الأرانب فأطلقوا على هذا الشاطئ كلمة أسبانيا التي جعلها الرومان بعد ذلك علماً على شبه الجزيرة كلها ، وبعد الرومان خضع جنوب شبه الجزيرة لقبائل الوندال فسمى هذا الجزء Vandalisia نسبة الى هذه القبائل ، وهو الاسم الذي اختاره المسلمون عندما نزلوا هذه البلاد فجعلوه بعد نوع من التعريب « الأندلس » كما جعلوه علماً على شبه الجزيرة كلها انظر « الأدب الأسباني » للدكتور أحمد هيكل ص ١٤ .

(٢) الامامة والسياسة ج ٢ ص ٦٨ .

مجموعة غير متجانسة من العناصر كما أنها مختلفة الأديان ، وكان الغداء حادا بين المسيحيين واليهود ، وطالما غلبَ اليهود على أمرهم ونزلت بهم ألوان من الأضرار ، وكان النزاع على العرش يكاد يكون متصلا بين الأمراء وبخاصة في الفترة السابقة لغزو المسلمين لها ، وهذه العوامل أيضا مما حمل المسلمين على الاستهانة بحكومة هذه البلاد وقوتها العسكرية ففكروا في غزوها .

وجاءت الخطوة المباشرة ، فقد آل الملك الى لذريق ، فأسخط ذلك أبناء الملك السابق غيطشة فهجروا أسبانيا الى افريقيا وتحالفوا مع المسلمين ، كما حدث خلاف بين الكونت جوليان حاكم سبته من قبل القوط وبين لذريق لما يقال من أنه انتهك عفاف ابنة جوليان (١) ، فأراد جوليان أن ينتقم لشرقه فشجع المسلمين على غزو أسبانيا ووصف لهم محاسنها ووعدهم بالتعاون معهم لنجاح هذا الغرض .

واستشار موسى الوليد بن عبد الملك خليفة المسلمين ، ونقل له الأسباب التي تدعو لغزو الأندلس وهون عليه أمرها ، فوافق الخليفة على الغزو .

وهناك أبطال ثلاثة قادوا جيوش المسلمين الزاحفة على أسبانيا هم طريف بن مالك وطارق بن زياد وموسى بن نصير نفسه ، وكان طريف ابن مالك أول هؤلاء الأبطال ، وكان زحفه بمثابة كشف وارتياح واستطلاع ، فقد عبر المضيق على رأس خمسمائة من الخيالة والرجالة ، تحملهم أربع سفن من سفن جوليان وكان ذلك سنة ٩١ هـ ، ولم يجد طريف مقاومة تذكر ، وعاد بنائهم كثيرة يشجع أمير القيروان على التقدم نحو الأرض الخضراء ، ولا تزال الجزيرة التي غزاها طريف في جنوب أسبانيا تحمل اسمه (٢) .

(١) المغربي : نفح الطيب ج ١ ص ١٠٩ وانظر .

(٢) التكميل ٤ : ١٢٢ ومعجم البلدان ٥ : ٦٦ .

ودفع هذا النجاح أمير القيروان الى عمل حاسم يقصد به الاستقرار في الأندلس بعد أن ارتاد طريف له الطريق ، فاختار لهذا العمل العظيم مولاه البطل الكبير طارق بن زياد ، وقد سار طارق على رأس جيش قوامه سبعة آلاف أكثرهم من البربر ، وعبر المضيق على سفن أعداها له جوليان حاكم سبتة كما أعد لطريف من قبل ، وعبر طارق المضيق في رجب أو شعبان سنة ٩٢ هـ ونزل بجيشه على جبل يعرف باسمه حتى الآن هو جبل طارق Giblarter وهناك أعد طارق جيشه للزحف في هذه الجزيرة الشاسعة العامرة ، ويروى أنه أحرق سفنه ليقطع على أصحابه أى أمل في العودة أو الهروب الى الساحل الافريقى ، وألقى خطابه الشهير « أيها الناس أين المفر ، البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر (١) » وأنا أميل الى تصديق الخطاب ، ولكنى لا أميل الى تصديق الرواية القائلة أن طارقا أحرق سفنه ، وأعتقد أن مصدرها هو قوله « البحر من ورائكم » ففهم الرواة أنه أحرق سفنه ولم يبق لأصحابه سبيل الى الهرب ، ولا داعى لأن نستنتج من عدم وجود يملكها وتركت جيش طارق بين البحر والعدو ، أو أن وجود السفن لن تكون وقاية عند التقهقر للخلف تجاه البحر .

وعرف لذريق ملك القوط ويسميه الطبرى الأدرينوق خبر غزو المسلمين لبلادهم فأعد جيشا كثيفا قيل أنه بلغ مائة ألف نسمة وقاده بنفسه ، وأرسل طارق الى موسى يطلب مددا فأرسل له خمسة آلاف ، وتقابل الجيشان في وادى بكة أو لكة وكان الفرق في العدد كبيرا وكذلك الفرق في العتاد ولكن جيش القوط كان من العبيد والمستضعفين ، وكان به أعداء كثيرون للذريق ، وكان اليهود يتحالفون سرا مع المسلمين ، ويقدمون لهم العون ، وحمل طارق بجيشه المتحد المؤمن المتعاون على جيش العدو ففرقه ومزقه ، واختفى لذريق فلم يعثر له على أثر وتشتت

جيشه (١) . وكان قتل الملك واندحار جيشه في المعركة الأولى مما ثبط الهمم ويسر فتح الأندلس على المسلمين . ويقول سبتانلى لين سول (٢) « ان انتصار المسلمين في وادى لكه ألقى بأسبانيا كلها في أيدي المسلمين ، ولم يكن طارق بحاجة الا الى القليل من الجهد ليقضى على المقاومة المضئيلة في بعض المدن » .

وسار طارق يفتح المدن وييسط سلطانه عليها فاستولى على قرطبة وغرناطة وطليلة . وكانت طليلة عاصمة للبلاد .

وأدرك موسى بن نصير أن الجبهة اتسعت أمام مولاه طارق ، وأراد كذلك أن يكون له شرف الاشتراك الفعلى في فتح هذه البلاد الخصبة ، فقاد جيشا كبيرا عبر به المضيق واتجه الى مدينة حصينة اسمها قرمونة ففتحها ثم فتح اشبيلية عاصمة أسبانيا قبل غزو القوط لها ، وسار حيث التقى بطارق في طليلة ، وقد كان اليهود أكبر عون للمسلمين في جميع هذه الفتوحات .

ولا يكاد الانسان يصدق الرواية التى تصور عداء وسخطا بين موسى وطارق وتصور موسى معتديا على طارق ومؤنبا له (٣) ، فكل الحقائق التى بين أيدينا تدل على تعاون الاثنين ، فقد أمد موسى طارقا بالمدد ، ثم جاء بنفسه وفتح بعض البلاد التى كانت خلف جيوش طارق فأمرن الجيوش من أن تضرّب من الخلف ، وسار البطلان بعد ذلك متعاونين يفتحان باقى البلاد حتى تم لهما النصر ، فكيف سيكون ذلك مع عداء واعتداء ؟ (٤) .

واتجه البطلان بعد ذلك الى الشمال ففتحا سرقلية وبرشلونة ودانت لهما أقاليم أرغونة وقشتالة ، ثم اتجها الى الشمال الشرقى حتى

(١) الطبرى ج ٥ ص ٢٤٥ .

(٢) The Arabs in Spain (١) من الترجمة العربية لملى الجارم .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٣٢ .

(٤) انظر الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ ص ٧١ وانظر المجمل في تاريخ الأندلس للاستاذ عبد الحميد العبادى ص ٥٠ — ٥١ .

وضلا الى جبال البرانس ولكنهما تركا المنطقة الجبلية الواقعة في الشمال الغربي منطقة (جليقية) تلك المنطقة التي أوى اليها القوط الفارون من الزحف الجارف ، وهذا الاتجاه كان ذا أثر كبير في التاريخ فيما بعد .

ما سببه وما نتائجه ؟

ربما كان السبب هو استئصال شأن القوط والاتجاه الى ناحية الشرق حيث كان موسى يأمل أن يدين له جنوب أوروبا ، وأن يستمر في زحفه حتى يفتح القسطنطينية من الغرب بعد أن عجز حصار المسلمين عن فتحها من الشرق (١) ، ولكن يؤخذ عليه أنه ترك ظهره مهددا فما دام هناك عدو خلفه فكيف يتقدم الى الامام في اطمئنان ؟ أما استئصال شأن القوط فلم يكن عملا حازما ، فهم في الحقيقة كانوا صغارا عندما كانت الوحدة شعار المسلمين ، فلما اختلف أمر المسلمين وتفرقوا وتحاربوا عظم شأن القوط ، قد يقال أن المنطقة الجبلية كان يمكن أن تستعصى على المسلمين ، ولكن ذلك القول لا يثبت أمام الحقيقة الواضحة وهي أن البربر لهم خبرة تامة بالجبال والحروب فيها .

أما نتائج اهمال منطقة جليقية ، فكانت سقوط الأندلس فيما بعد في يد المسيحيين . فقد كانت هذه المنطقة بمثابة حصن تربى فيه الأبطال ، أو مدرسة تربى فيها الدعاة ، ثم خرجوا فيما بعد بقوتهم ودهائهم ، ووسعوا الهوة بين فرق المسلمين ، وانتهزوا الفرص وظلوا يزحفون حتى استولوا على الأندلس بعد صراع طويل امتد حوالى ثمانية قرون . وسيأتى تفصيل ذلك عند الكلام على تاريخ الأندلس في الجزء الرابع من هذه الموسوعة .

المسلمون في فرنسا :

بعد أن تم فتح أسبانيا استدعى الوليد بن عبد الملك القائد العظيم موسى وطارقا الى دمشق ، وقد رأينا فيما سبق ما أصاب موسى من

(١) الامامة والميلاد ج ١ ص ٧٧ .

(٢) ١ - التاريخ الاسلامي

سليمان بن عبد الملك ، أما طارق فقد انتهت حياته في غموض كما بدأت في غموض ، وكل ما ذكره المؤرخون أنه عاد الى الشام مع مولاة موسى ابن نصير بعد فتح الأندلس وانقطع خبره (١) ، وعلى هذا لم يحقق موسى أمله في اختراق جبال البرانس والزحف جنوبى فرنسا الحالية ، ثم جاء بعده السمح بن مالك في عهد عمر بن عبد العزيز فاخترق جبال البرانس وزحف الى الشرق ولكن محاولته لم تنجح فقتل سنة ١٠٢ هـ ، وتمت بعد ذلك غارات تكاد تكون متصلة في عهد عنبسة بن سحيم الذى كانت له الولاية بعد السمح ، على أن أعظم المواقع خطرا حدثت عندما تولى عبد الرحمن الخافقى قيادة المسلمين سنة ١١٢ هـ ، فقد تقدم عبد الرحمن في فرنسا تقدما محسوسا وكسب النصر في كثير من المعارك وظل يتقدم حتى وصل الى بلدة تور الشهيرة (Tours) على مسيرة حوالى سبعين كيلو مترا من باريس جنوب نهر السين .

على أن تقدم عبد الرحمن وانتصاراته أزعجت الفرنجة واللاتين وغيرهم من سكان البلاد المحيطة كما أثارت خوف المسيحيين في جميع أنحاء أوروبا ، ولذلك نجد هؤلاء جميعا يتجمعون بقيادة شارل مارتل ليقابلوا عبد الرحمن وجيشه في معركة سماها المسلمون « بلاط الشهداء » سنة ١١٤ هـ ، وقد خر عبد الرحمن في هذه المعركة وتقهقر جيشه بعد صراع طويل (٢) .

ويجدر بنا أن نلجأ الى غوستاف لوبون ليقرر لنا حقيقة هذه المعارك الفاصلة التى وقعت جنوبى فرنسا ومدى أهميتها .

يقرر غوستاف لوبون (٣) أن العرب استولوا على نصف فرنسا الحالية ، ولم يكن قصدهم الاستقرار بتلك البلاد ، وانما كانت غاراتهم

(١) دكتور حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ١ : ٣٤٣ .

(٢) الأستاذ المبادى : المجلد فى تاريخ الأندلس ص ٥٨ — ٦٠ .

Stanley Lane — Poole : The Arabs in Spain p. 27. وا

(٣) حضارة العرب ص ٣١٣ — ٣١٨ باختصار .

ترمى إلى التفتؤيف وجمع الغنائم ، وكان زحف العرب جارفا أرب أصحاب الأقطاع بفرنسا . وأربع شارل مارتن نفسه ، ويقتبس غوستاف لويون من المؤرخين العرب عبارة تنقل على صخب الزحف العربي ، وهذه العبارة هي « أن كثيرا من سنيورات الأفرنج اشتكوا إلى شارل مارتن من الأضرار التي أحدثها المسلمون بهم ، ومن الخزي الذي أصاب أوروبا من جراء اقتحام جيوشها أمام العرب » فلجاب شارل مارتن قائلا : دعوهم يصنعوا ما يشاءون فهم الآن كالسيل الذي يأتي على كل ما يعترضه ، ولكنهم إذا ما أثقلتهم الغنائم ، وطلب لهم المقام بالبيوت الجميلة ، وألفوا وفلانة العيش ، واستحوذوا الطمع على قادتهم ، ودب الشقاق في صفوفهم ، زحفنا عليهم واثقين من النصر » .

وصحت نبوءة شارل مارتن . واتبع هو هذه الخطة التي رسمها ، فقد انتظر على العرب حتى هدأت ثورتهم ، وثقلت غنائمهم ، ودبت المناشة بينهم ، ثم قاتلهم بجيش كبير ، ودارت المعركة يوما كاملا ولم تسفر عن نتيجة حاسمة ، وفضل الليل وبدأت المعارك تهدأ ، وحينذاك اقتحمت فرقة من جيش الفرنج معسكر المسلمين ، وخاف هؤلاء على غنائمهم ، فالتدوا للدفاع عنها تاركين الميدان ، وتقهر بذلك الجيش العربي وتبعهم شارل مارتن ، وأخذ ينهب البلاد التي يمر بها حتى أن أمراء النصارى خافوا رعبه فحالفوا العرب ليتخلصوا منه .

ويؤكد غوستاف لويون أن معركة بلاط الشهداء « بواتيه » لم تضع حدا لتقدم العرب كما يزعم كثير من المؤرخين ، بل أن المسلمين سرعان ما ألقوا من هول الهزيمة ، وأخذوا يستردون مراكزهم السابقة ، وقد سلم حاكم مرسيليا مقاطعة البروفنس اليهم سنة ٧٣٧ م ، واستولوا على الآرال ، وحظوا مقاطعة سان ترويز سنة ٨٨٩ م ، ودامت اقامتهم في البروفنس إلى نهاية القرن العاشر الميلادي ، وأوغلوا في مقاطعة الغالة وسويسرا سنة ٩٣٩ م .

وقد ترك العرب أثرا عميقا في الحضارة والدم في الأماكن التي احتلوها في جنوب فرنسا . فقد أدخلوا لها صناعة البسط ، كما أدخلوا كثيرا من أساليب الفلاحة ، ومن ناحية الدم فان هذه الأمكنة لا تزال عامرة بأحفاد العرب ، ويمكن أن يعرفهم الانسان ببشرتهم السمراء وشعورهم السوداء وأنوفهم التي يبرز فيها القنأ ، وعيونهم الثاقبة اللامعة ، ويمكن للمرء أن يعرف نساءهم بألوانهن الزيتية ووجوههن الأسيلة . وأعينهن الدعج النجل ، وحواجبهن الزج ، ويقرر غوستاف لوبون أن السبب في بقاء هذه الصفات حتى الآن أن هؤلاء السكان ألفوا جماعات صغيرة منفصلة عن بقية الأهليين الفرنسيين غير متصلة بهم بصلات التواءد .

ويصف لين بول الأندلس تحت سلطان المسلمين بقوله : « ويجب ألا يجول ببال أحد أن العرب عاثوا في البلاد أو خربوها بصنوف الارض والظلم ، كما فعل قطعان المتوحشين قبلهم ، فان الأندلس لم تحكم في عهد من عهودها بسماحة وعدل وحكمة كما حكمت في عهد العرب الفاتحين (١) » وسنرى ذلك مفصلا عند الحديث عن الأندلس في الجزء الرابع من هذه الموسوعة .

الميدان الثالث

هروب المسلمين فيما وراء النهر وفي السند

ذكرنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة (١) أن التوسع الاسلامي في عهد عثمان امتد حتى شمل المنطقة الجبلية جنوبى بحر قزوين ، ثم تخطت الجيوش الاسلامية نهر جيحون ودخلت بلاد ما وراء النهر في الدولة الاسلامية واستولى المسلمون على باخ وهرات وكابول وغزنة من بلاد الأتراك .

وقبل أن نذكر الفتوحات الأموية في هذه الجبهة نصب أن نوضح حقيقتين هامتين :

أولاهما : يبدو من تتبع حركات الفتح الاسلامي في عهد الخلفاء الراشدين أن المسلمين لم يَتَبَيَّنُوا في البلاد المجاورة لبحر قزوين : جنوبه وجنوبه الشرقى ، ويبدو أن سبب ذلك أنهم كانوا يسرعون بالاتجاه نحو الشرق والشمال الشرقى متجهين الى بلاد ما وراء النهر ، ولذلك بقيت خلفهم بعض الأماكن التي كان يحكمها حكام من الترك . وهى بلاد قوهستان وجرجان وكرمان وجيلان وطبرستان ، وكانت تخضع لهم حيناً وتمرد حيناً . وقد تقدم المسلمون في عهد الوليد - كما سيأتى - في جبهة ما وراء النهر وتركوا هذه البقاع أيضاً فلم يتم إخضاعها الا في عهد سليمان بن عبد الملك على يد قائده يزيد بن المهلب .

ثانيهما : في خلال الفتنة التي أدت الى قتل عثمان واستمرت طيلة خلافة على تمردت بلاد كانت قد ارتبطت بصلح مع الدولة الاسلامية في هذه المنطقة ومنها هرات وبلخ وغيرهما .

وجاءت الدولة الأموية وبدأت تحركاتها الكبيرة في هذا الميدان ، وهو

(١) انظر التوسع الاسلامي في عهد عثمان .

الميدان الشرقى ، وهو وثيق الاتصال ببلاد فارس التى فتحت فى عهد عمر ، وببلاد خراسان التى امتد لها الفتح الاسلامى فى عهد عمر وعهد عثمان ، ولكنها لم تكن قد استقرت نهائيا فى أيدي المسلمين . ولا كان هذا الميدان الشرقى قد اتخذ قاعدته بلاد العراق ، وكان يديره والى العراق ، فقد عددناه ميدانا واحدا ، ولكنه تفرع الى جبهتين فى عهد الوليد على يد قائده الحجاج بن يوسف الذى عين قائدين أرسل أحدهما الى الشمال الشرقى فأوغل فى بلاد ما وراء النهر ، وأرسل الآخر الى الجنوب الشرقى ففتح بلاد السند ، ولهذا سنتكلم فيما يلى عن كل من هاتين الجبهتين اللتين تفرعتا عن الميدان الشرقى .

جبهة ما وراء النهر :

بلاد ما وراء النهر أو ما بين النهرين هى البلاد التى تقع بين نهر جيحون Amu - Darya ونهر Syr - Darya وأهم الممالك التى تقع فى هذه البقاع هى :

• مملكة طخارستان على جانبى نهر جيحون وعاصمتها بلخ .

• مملكة صفانيان شمال نهر جيحون وعاصمتها شومان .

• مملكة الصغد وهى تمتد من جيحون الى سيحون وعاصمتها سمرقند وأهم مدنها بخارى .

• مملكة فرغانة على جانبى نهر سيحون وعاصمتها جخنده أو كاشان أو اخسيكت ، وكان ملكها يلقب بالاخشيد وهو اللقب الذى أطلق على الاخشيد مؤسس الدولة الاخشيدية بمصر لصلته نسبه بهذه البلاد .

• مملكة خوارزم فى أعلى نهر سيحون وعاصمتها الجرجانية .

• مملكة أشروسنة فى الشرق من فرغانة ، ولقب ملكها الأفشين ومنها

انحدر بعض الممالك الذين آل لهم السلطان في عصر ضعف الخلافة
العباسية بعد الواثق ، وقصبتها بنجكت .

مملكة الش... في شمال نهر سيحون وعاصمتها الطارنبيذ أو
بنجكت (١)

ولم تكن هناك حدود ثابتة لهذه الممالك ، بل كان العدوان بينها يكاد
يكون مستمرا ، وكذلك كانت هذه البلاد عرضة لعدوان من الترك
والصينيين المجاورين لها .

وقد بدأ غزو هذه البلاد منذ عهد معاوية على يد قائد قيس ابن
الهيثم الذي كانت له ولاية خراسان ، فقد روى أن أهل بادغيس وهراة
وبلخ قد نقضوا الصلح ، فسار قيس الى بلخ فحرب معبدها ، وعاد أهلها
يطلبون الصلح فوافق عليه قيس ، ولما علم أهل بادغيس وهراة بما نزل
بأهل بلخ طلبوا الصلح على الشروط التي نزل عليها أهل بلخ فأجيبوا
الى طلبهم (٢) .

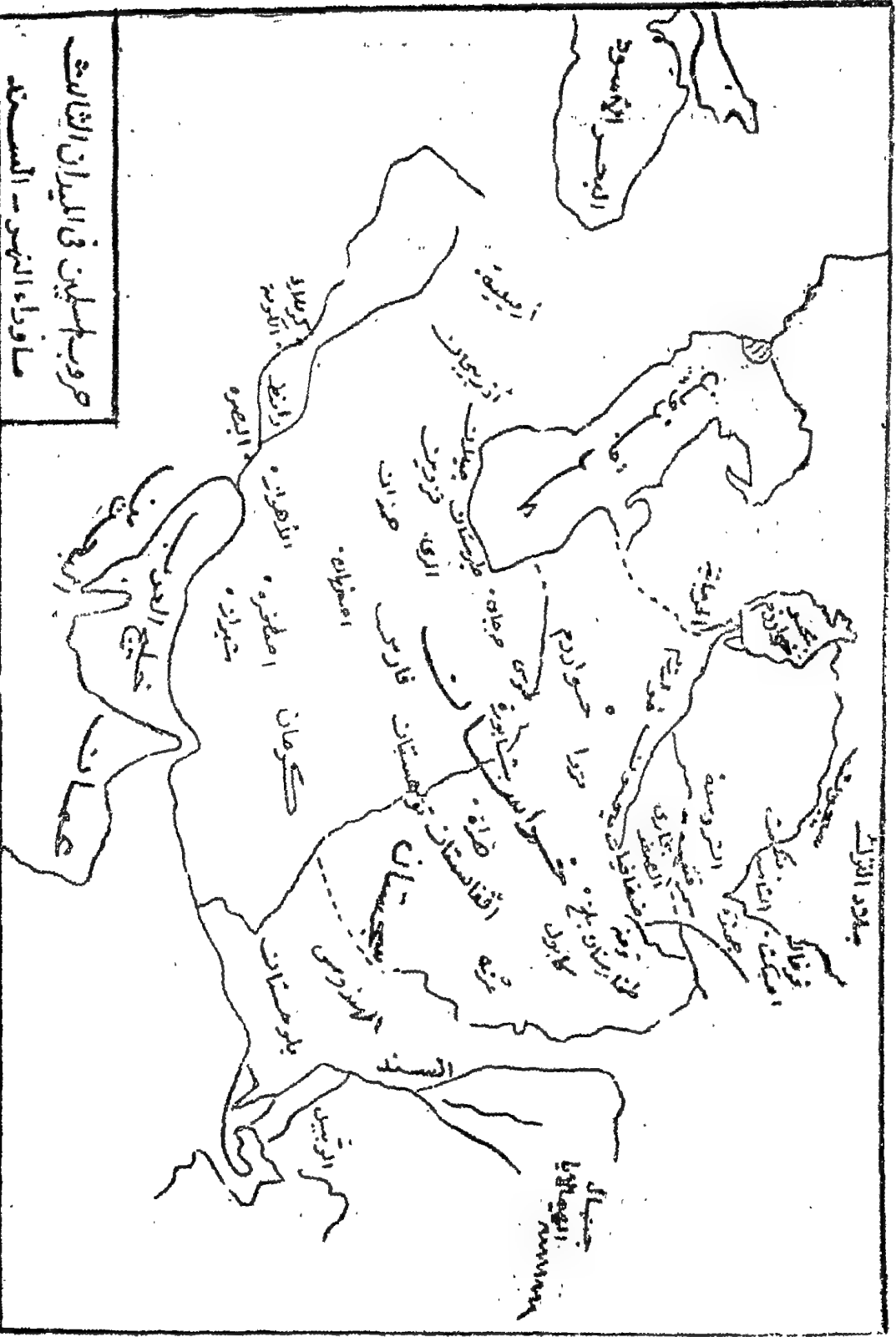
وولى معاوية أيضا زياد بن أبيه بلاد العراق ، ومن بعد زياد تولى
ابنه عبيد الله فكان لهما قيادة هذه الجبهة ، وفي عهد عبيد الله وصل
المسلمون في غاراتهم الى بخارى وسمرقند (٣) .

وتوقفت الغارات على هذه البلاد بعد معاوية بسبب كثرة الثورات
في العالم الإسلامي ، ولما أخدمت هذه الثورات ودب النشاط في الجبهات
الحربية كلها دب النشاط في هذه الجبهة أيضا ، وكانت ولاية العراق
وخراسان قد أسندت للحجاج بن يوسف فأعد القادة للهجوم على هذه

(١) انظر الدكتور عبد الهادي شعيرة : ممالك ما وراء النهر ص ٦ وما
بعدها وانظرها كذلك في البلاذري ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٢) البلاذري ص ٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٣) الطبري ج ٤ ص ٢٢١ والبلاذري ص ٤٠١ .



حروب المسلمين في الميزان الثالث

سائر بلاد الهند - الهند

المنطقة ، ومن قادته فيها المهلب بن أبي صفرة الذي كانت له غارات ناجحة على هذه البلاد حتى فقت غينه (١) . وتولى بعده ابنه يزيد ابن المهلب الذي فتح قلعة نيزك ببادغيس سنة ٨٤ هـ (٢) ، وفي العام التالي عزل الحجاج يزيد وولى أخاه المفضل ففتح بادغيس وشومان (٣) .

وهبت ثورة ابن الأشعث فثقلت الحجاج حيناً ، فلما انتهى منها عاد لهذه المنطقة بزحف أكثر نظاماً ونجاحاً وكان الزحف هذه المرة على يد القائد الشهير قتيبة بن مسلم .

ولم تكن حروب قتيبة بن مسلم غارات كتلك الغارات التي كانت طابع الحملات التي سبقت قتيبة في هذه الجبهة ، بل كانت فتحا منظماً ثابتاً ، وقد بدأت حملات قتيبة في أوائل عهد الوليد بن عبد الملك واستمرت حتى بدء عهد سليمان كما سبق القول ، وقد استطاع قتيبة في هذه الفترة أن يمد فتوحاته الى كل البلاد التي تقع على النهرين أو بينهما تلك التي أوجزنا ذكرها آنفاً (٤) ، ولم يكتف قتيبة بالفتح ، بل دعا السكان الى دخول الاسلام وترك عبادة الأصنام ، فأجابوه بأن لهم أصناماً من اعتدى عليها أو استخف بها هلك ، وهم لا يستطيعون الاستخفاف بها لذلك ، فدخل قتيبة على الأصنام فأباح حليها لجنده ، وكبها على وجوها بيده ، وحرقتها ، ولم يصبه سوء بطبيعة الحال ، وكان ذلك مما سبب دخول كثير من سكان هذه البلاد في الاسلام (٥) .

ولما انتهى قتيبة من بلاد ما وراء النهر قرَّب من أرض الصين ، فاتجه اليها فاتحاً غازياً ، ولولا وفاة الوليد وقيام الخلاف بين سليمان

(١) انظر ترجمة المهلب في وفيات الاعيان .

(٢) الطبرى ج ٥ ص ١٨٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩٤ .

(٤) انظر بعض تفاصيل هذه الفتوح في الطبرى ج ٥ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦

واقرا كذلك البلاذرى ص ٣٩١ ، ٤٠٩ — ٤١١

(٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤١١ .

وقتية لكان من الممكن أن يتغير تاريخ الاسلام في الصين ، فقد روى الطبري (١) أن قتيبة أرسل إلى ملك الصين وفدا برياسة هيرة ابن المشرج الكلابي يدعو إلى الاسلام أو الجزية أو السيف ، فثار ملك الصين وقال لهيرة : اذهب إلى صاحبك فقل له ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، والا نبعث عليكم من يهلكم ويهلكه . فأجابه هيرة بثقة وقوة : كيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك ؟ وكيف يكون قليل الأصحاب من أول خياله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وأما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا أجالا اذا حضرت فأكرمها القتل في سبيل الله ولسنا نكرهه ولا نخافه .

وأدرك ملك الصين القوة العظيمة التي تكمن خلف هؤلاء ، وعرف أن التهديد والثورة لا طائل تحتها ، فعاد يسأل في هدوء : وما الذي يرضى صاحبكم ؟ فأجاب هيرة : أنه حلف ألا ينصرف حتى يطا أرضكم ويختتم ملوككم (علامة السيطرة عليهم) ويأخذ الجزية . فقال الملك : انا نخرجه من يمينه فلا يحتث ، نبعث إليه بتراب من أرضنا فيطوؤه ، وبعض أبنائنا فيختتمهم ، ونبعث له بجزية يرضاها . وهكذا افتدى ملك الصين نفسه وبلاده بالجزية ، وأغلب الظن أن قتيبة ما كان ليقتنع بذلك لو لم يقول سليمان بن عبد الملك الخلافة ، وكان بين سليمان وقتيبة ما شغل الأخير عن مواصلة جهده في بلاد الصين الواسعة .

وهناك شخصان آخران بذلا جهدا ضخما في ميدان ما وراء النهر وثبتا أقدام المسلمين في تلك البقاع ، وهذان الشخصان هما أسد بن عبد الله القسري ونصر بن سيار اللذان وليا خراسان في عهد هشام بن عبد الملك فقادا حملات ناجحة موفقة في هذه البلاد .

جبهة السند (*) :

بلاد السند هي البلاد المحيطة بنهر السند (Indus) ، وهي ممتدة غربا من ايران الى جبال الهيمالايا في الشمال الشرقي تاركة شبة القارة الهندية في جنوبها • وبلاد السند تكون جزءا كبيرا من دولة الباكستان الحالية •

وكانت بلاد السند جزءا من بلاد الهند قبل الفتح الاسلامي ، وان كانت الهند في الحقيقة تتكون من عدة ممالك بينها القوى والضعيف ، وكانت غرضة لاعتداءات من الخارج وبخاصة من ايران وبلاد الترك وبلاد الصين القريبة من شبة القارة الهندية •

وببلاد الهند كانت معروفة للعرب قبل الاسلام ، وكان العرب وحدهم هم واسطة المقايضات التجارية بين الهند والعالم الخارجي (١) •

ومنذ فتح المسلمون بلاد فارس تطلعوا الى ما وراءها فامتدت فتوحاتهم الى خراسان ثم أسلمتهم خراسان الى بلاد السند ، وعلى هذا بدأت حملات المسلمين على بلاد السند مبكرة منذ عهد عمر بن الخطاب ، وكان الذي قام بذلك في عهد عمر عامله عثمان بن أبي العاصي عامل البحرين وعمان • وكان قد أرسل لها جيشا بحريا ولذلك تعرض اللوم عمر الذي كان يكره أن يركب المسلمون البحر ، اذ كتب اليه عمر يقول : يا أبا نيف ، حملت دودا على عود ، واني أحلف بالله لئن أصيبوا لآخذن من يومك مثلهم (٢) •

وفي عهد علي توجه الحارث بن مرة العبدى متطوعا الى بلاد السند ٤٠ هـ جيش من المتطوعين وأذن لهم على بذلك ، وقد انتصرت الحملة

(*) هناك دراسة مفصلة عن الاسلام في الهند .. في الجزء الثامن من هذه الموسوعة .

(١) دكتور احمد الساداتي : تاريخ المسلمين في شبة القارة الهندية ٥٤ : ١ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٢٠ .

وغنمت كثيرا من الغنائم ، وغزا معاوية كذلك هذه البلاد بواسطة فائزته
للشهير المهلب بن أبي صفرة (١) .

وجاء عهد اليمانيه فاجاء عهد الفتح المنظم لهذه البلاد الواسعة
وكانت العراق وفارس وخراسان تحت سلطان الحجاج بن يوسف الثقفي
كما قلنا من قبل .

وحدث أن ساءت العلاقات بين المسلمين وبين داهر ملك السند مما
استدعى صداما مسلحا ، أما سبب سوء العلاقات فهو أن الحجاج أرسل
سعيد بن أسلم الى مكران ، فخرج اليه معاوية ومحمد ابنا الحارث العلافي
فقتلاه ، اذ كانا من الخارجين على سلطان الأمويين في هذه الجهات ،
وكانا قد لقيا عند داهر ملك السند البرهمي كل ترحيب حين لجأ اليه
برجالهما الخمسمائة ، وما لبثا — وقد نصره في بعض حروبه — أن صارا
من أصحاب الحظوة عنده .

وبلغ الحجاج الخبر فسأل الخليفة أن يأذن له بمهاجمة السند ملجأ
الخارجين على الدولة ، ولكن الخليفة لم يأذن له ، ثم بعد ذلك تعرض
قراصنة من ديبيل لسفن كانت قادمة من جزيرة الباقوت (سيلان) وفيها
بنات وأراكل لتجار من المسلمين وافاهم الأجل هناك ، فأمر القراصنة
هؤلاء النساء ، ولما طلب الحجاج من داهر تخليص نساء المسلمين من
الأمم لم يستجب له ، وادّعى أنه لا يسيطر على لصوص البحر
هؤلاء .. (٢) فكان هذا وسواه باعثا للحجاج أن يلح على الخليفة ليشار
لهذا العدوان وليؤمن طريق التجارة وحدود البلاد الاسلامية من غارات
المعتدين ، ولما استجاب الخليفة لرغبة الحجاج أعد هذا حملة كبيرة لغزو
بلاد السند ووضع على رأسها القائد الشاب محمد بن القاسم الثقفي وهو
صهر الحجاج وابن أخيه ، وانقسمت الحملة قسمين ، مبار قسم منها

(١) المرجع السابق ص ٢١ .

(٢) مكتوب أحد السادات : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية

بطريق البحر ، وقاد محمد بن القاسم القسم البرى ففتح فى طريقه بعض البلاد حتى التقى بسفنه المحملة بالجنود عند ميناء الديبل ، واتجه بجنوده الى الشمال فخرت له الحصون والبلاد صلحا أو عنوة ، وأخيرا التقى بملك السند (داهر) الذى كان يقود جيشا واجه به جيش المسلمين ، وقد دارت بينه وبين المسلمين معركة كبيرة فر منها داهر وانهزم جنده ، ووقع كثيرون منهم أسرى فى أيدي المسلمين ، وبالقضاء على هذا الجيش أصبح الطريق ممهدا لمحمد بن القاسم ليسيطر على بلاد السند كلها دون كبير عناء حتى وصل الى كشمير فى شمال السند (١) .

وكان مما ساعد المسلمين على تحقيق النصر السريع ما لاقوه من عون من جماعتي الميذ والجات (الزط) السنديتين اللتين انضمتا للجيش الاسلامي ، ووجهتها الى أيسر الطرق ، وبذلت عونا واضحا فى معارك القتال ، وكانت هاتان القبليتان قد هاجر أكثر أفرادهما الى خارج السند لفرط ما كانوا يعانونه من سوء معاملة الحكومة البرهمية ، اذ كانوا فى عداد المنبوذين الذين يحرم عليهم امتطاء الدواب أو ارتداء غالى الثياب ، ولم يكن يباح لهم من المهن والحرف الا أدنىها .

وقد أفاد المسلمون من رجال الميذ والزط الى جانب شجاعتهم فى الحرب وشدة جلدتهم فيها ، معرفتهم بمسالك السند ودروبها وأحوال أهلها وأساليبهم فى النزال (٢) .

أما عن صلة المسلمين بأهل السند بعد فتحها فيحدثنا عنها مؤلف هندي بقوله : وقد أكرم القائد المسلم رؤساء الهنادكة من رجال الدين ، وأطلق للناس حرية العبادة ، على أن يوالوا المسلمين ويدفعوا الجزية عن طيب نفس (٣) .

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٣ وما بعدها .

(٢) دكتور احمد الساداتى : المرجع السابق ص ٥٩ .

Passad : Medieval Muslim Rule in India p. 29.

(٣)

الحركات الفكرية والثورية
في عهد الدولة الأموية

امتاز العهد الأموي على قصره بمجموعة من الحركات الفكرية والثورية لم تتأت لسواه ، فهو بهذا كان أخصب العهود في ثوراته الفكرية وثوراته العسكرية ، وربما يكون من الحق أن نقرر أن هذه الموضوعات لم تدرس حتى الآن دراسة كافية ، وسنحاول هنا أن نجلى بقدر الطاقة هذه الحركات المهمة ، وهي :

— حركات الشيعة •

وسيتفرع عن حركات الشيعة حركة أخرى قام بها المختار بن أبي عبيد •

— ثورة عبد الله بن الزبير •

— حركات الخوارج •

— المعتزلة والجبرية والمرجئة •

الاسلام والفرق :

وقبل أن نتحدث عن الفرق في الاسلام ، نقرر بعد طول المعاناة والدرس والبحث أن هذه الفرق التي سنتحدث عنها ليست في الحقيقة اسلامية ، وأن الأجيال أسمتها اسلامية خطأ ، أو أطلق عليها بعض المفكرين الأوائل اسم « الفرق الاسلامية » ثم اقتبست الأجيال بعد ذلك هذه التسمية دون تمحيص •

انها في الحقيقة حركات ظهرت في عهود الضعف ، وكانت في ظهورها متأثرة بعوامل ليست اسلامية ، وهي بهذا ليست كالفرق في اليهودية أو المسيحية التي تتخذ جذورها من الفكر اليهودي أو المسيحي •

ولذلك فأننى أرجو أن يتدبر القارئ الكريم هذه القضية الجديدة بما تستحقه من عناية ، لعلنا فنقذ ديننا الحنيف من هذه الفترقة التي ارتبطت بتلك الفرق •

وسنشرح هذا بشيء من التفصيل عقب حديثنا عن هذه الفرق ، حيث سنبرز عناصر وأسباب قيامها ، مما سيوضح أنه ليست لها جذور اسلامية •

الشيعة

مقدمة عن نشأة التشيع وأسبابه :

الحديث عن الشيعة في التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلاميه يشمل في تقديري ناحيتين : أولاها عقائد الشيعة وأفكارهم ، وثانيهما الحركات التي قام بها الشيعة للاستيلاء على الحكم ، ونسرى أن التطور في التفكير الشيعي وُلِدَ أكثره في العصر الأموي وبسنرى كذلك أن الحركات التي قام بها الشيعة للاستيلاء على الحكم في العهد الأموي كانت أقوى حركات الشيعة وأكثرها جرأة واتصالا حتى أسقطت الدولة الأموية ، تلك الدولة التي أسقطها الشيعة لتقوم مقامها دولة علوية ، ولكن نتيجة الكفاح نالها العباسيون لا العلويون لأسباب وضحناها عند الحديث عن قيام الدولة العباسية في الجزء الثالث من هذه الموسوعة .

لهذا كان الحديث عن الشيعة في العهد الأموي حديثا ذا بال ، يلقي كثيرا من الضوء على الأحداث التي حصلت في العهد الأموي وفيما تلاه من عهود .

والشيعة هم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه (١) ، وقد كان لعلى شيعة منذ اللحظات الأولى بعد وفاة الرسول ، ومن هؤلاء جابر بن عبد الله وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وغيرهم ، ولما تم الأمر لأبى بكر في سقيفة بنى ساعدة ، وتغلب هو وعمر على الأنصار بسبب الحديث الذى يروى عن الرسول وهو « الأئمة من قریش » قال على : احتجوا بالشجرة ونسوا الثمرة ، وقد فهم على من احتجاج أبى بكر وعمر بهذا الحديث أن المقصود القرابة ، فاذا كانت القرابة من الرسول مرجحا لنيل الخلافة ، فعلى أقرب الى الرسول من أبى بكر وعمر ، ولكن يبدو أن أبا بكر وعمر كانا يقصدان مكانة قریش وقوتها لا القرابة وحدها ،

(١) الشهرستاني : الملل والنحل - ١ ص ١٣١ .

فقريش أولى بالخلافة لقوتها ولأنها المطاعة بين العرب ، وقد وضح أبو بكر قصده ذلك بقوله في نفس الخطاب الذي ألقاه في السقيفة « ونحن مع ذلك أوسط العرب أنسابا » ووضح عمر هذا الاتجاه أيضا بقوله « لو دخلت قريش جحر ضب لاتبعتها العرب » (١) .

على أن سلوك أبي بكر وعمر كان مثاليا فلم يدعا — بأخلاقهما — فرصة لأية أفكار معادية أن تظهر أو تنتشر ، ثم جاء عثمان وجاءت سنوه الأخيرة التي سبق أن أوضحناها عند الحديث عن خلافته ، وخلاصة ذلك شيخوخته وعمله أشياء لم يسبق للخليفين قبله أن عملاها ، فبدأت حركات الشيعة تظهر وتقوى ، ثم جاء عبد الله بن سبأ (٢) وهو يهودى

(١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ج ١ ص ٦ وانظر ما كتبه المؤلف عن هذا الموضوع في « السياسة في الفكر الاسلامى » .

(٢) أتبعنا المراجع الشهيرة في حديثنا عن عبد الله بن سبأ ، وفي تصوير الدور الذى قام به لتجميع الشيعة في جماعة ، بعد أن كانوا أفرادا ، وفي ادخال كثير من الانحرافات والضلالات على مذهبهم متحينا الفرص المختلفة لذلك ، ووضحت في هذا الجزء الفرق بين الشيعة الحقيقيين وبين مدعى التشيع هؤلاء الذين لم يكونوا في الحقيقة شيعة بل لم يكونوا أحيانا من المسلمين ، وإنما ادعوا التشيع ليحاولوا ادخال الأكاذيب على المذهب الشيعى لأغراض في أنفسهم .

وقد أطلعت حديثا على كتاب « عبد الله بن سبأ » للأستاذ مرتضى العسكري عميد كلية أصول الدين بالعراق ، وفيه يذكر المؤلف أن عبد الله بن سبأ اسطورة خلقها وضاع اسمه سيف بن عمر (توفى بعد السبعين والمائة للهجرة) وذكر المؤلف للتدليل على ذلك مواقف متعددة كانت الرواية فيها عن سيف تختلف عن الرواية عن سواه ، وأبرز المؤلف في روايات سيف صورا من الانحراف .

ومع أن هذا الطريق في الاستدلال ليس حاسما فأننا نورد سؤالا مهما هو : من الذى أدخل الانحرافات الى المذهب الشيعى الذى نعرف في أصوله السليمة بعدد ما نراه فيه من انحرافات وترهات ؟ .

في اعتقادي أن قوى كثيرة دفعت نفسها الى صفوف آل البيت وشيعتهم لينفذوا من سمومهم ، وفي كثير من الحالات كشف أهل البيت نواياهم فصدوهم ، ولكن مع ذلك استطاع هؤلاء في حالات كثيرة وبطرق متعددة أن يلقوا بين صفوف الشيعة شحنة السم التى كانوا يحملونها ، وقد وضحت ذلك في هذا الجزء .

ولهذا فأنى أقرر هنا أن زعامة ضالة نذات هذا الشبوط ، هى

ادعى دخول الاسلام لا حبا فيه ولكن ليطمئنه من الداخل ، فذلك أيسر عليه .
من أن يحارب الاسلام وهو يعلن عدم اعتناقه .

ووجد عبد الله بن سبأ نفوسا ثائرة على الخليفة ، تنتقد تصرفاته
وتحتج عليها ، ووجد كذلك آخرين يدافعون عن الخليفة ويبررون
تصرفاته ، فاتخذ عبد الله جانب المعارضة ، فذلك أدعى لوهم الاسلام
والمسلمين ، ويمكن القول أنه ينسب الى عبد الله بن سبأ عملان هامين في
تاريخ الشيعة هما :

١ — كون عبد الله من هؤلاء الثائرين جماعة بعد أن كانوا أفرادا
منتشرين ، وربط هذه الجماعة بحب آل البيت والتشيع لهم ، رغبة في
اكتساب عطف الجماهير .

٢ — بدأ عبد الله يدخل على تفكير الشيعة ألوانا من الآراء
والفلسفات ، فلم تعد المسألة مسألة « الشجرة والثمرة » ذلك التفكير
البسيط الذي بدأت به الشيعة وقال به على ، إنما زاد ابن سبأ صورا من
التعقيدات والابهامات ، وخلق الروايات ووضع الأحاديث ، وبذر بذور
الأفكار الضالة التي نسبت للشيعة فيما بعد ، وتبعه في ذلك كثيرون ممن
عاصروه ومن جاءوا بعده وساروا على شاكلته .

وهناك عوامل ساعدت عبد الله بن سبأ فيما قصد اليه ، وهذه
العوامل هي :

أولا — أن عثمان ، بسبب بعض أعماله ، وموقفه من أقاربه ، كانت
تشيل كفته إذا قورن بالخليفتين قبله .

=

عبد الله بن سبأ أو شخص ما أطلق عليه هذا الاسم ، وإن مريدين كثيرين
أخذوا عنه هذا الضلال وساروا فيه أزمنة طويلة وأشواط واسعة ،
فالاسم لا يهمنا ، ولكن يهمنا أن شخصا قام بالدور الذي نسب الى عبد الله بن
سبأ ، وإن اشخاصا قاموا بالأنوار التي تنسب للسبئيين ولأعداء الشيعة
وأعداء الاسلام ممن أسميناهم (مدعى التشيع) .

ثانياً — الميل الطبيعى المنبعث عن الحافظة لتأييد أقارب الرسول ،
وحبهم والولاء لهم .

ثالثاً — ما عرف عن على من بطولة نادرة في نشر الاسلام ، ومن علم
زاهر وخلق قويم .

رابعا — الاحساس العام بأن عليا مضطهد ومبعد عن مكانة الخلافة
التي هو بها جدير ، واذا كان هذا الاحساس لم يظهر قويا في عهد أبى بكر
وعمر لسن الشيخين وكفاءتهما النادرة ، فقد ظهر عند اختيار عثمان
وتفضيله على على ، وكان الشعور العام أن عليا سينالها بعد عمر ، وقد
عبر على نفسه عن شعوره بأنه مضطهد بقوله لعبد الرحمن بن عوف عقب
اعلانه اختيار عثمان « ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر
جميل والله المستعان على ما تصفون » (١) وجاء في رواية ابن عبد ربه قول
على في حديث الثورى عقب وفاة عمر : فأخذ عبد الرحمن بن عوف
موأثيقنا وعهودنا على أن يخلع نفسه وينظر لعامة المسلمين ، فبسط يده
الى عثمان فبايعه ، اللهم ان قلت انى لم أجد (أحزن) فقد كذبت (٢) .

خامسا — اتخذ على الكوفة عاصمة له ابان خلافته ، وأصبحت
الكوفة منذ ذلك التاريخ مركز التشيع . وبالكوفة تنتشر الأديان المتعددة
والمذاهب المختلفة من زرادشتية الى مانوية ومزدكية وغيرها .

سادسا — سادت في فارس قبل الاسلام نظرية الحق الالهى الأوربية
(Divine Right) التى تقضى أن الأسر المالكة تجرى فيها دماء
اللهية وهى بهذا صاحبة الحق فى الحكم ، وعلى الناس أن يسمعوا لها
ويطيعوا ، واختيار الملوك من هذه الأسر واجب مقدس « فقد خصهم الله
بالسيادة وأيدهم بروح من عنده ، فهم ظل الله فى أرضه ، أقامهم على

(١) الطبرى ج ٣ ص ٢٩٧ .

(٢) المقصد الفريد ج ٤ ص ٣٠٣ .

مصالح عباده ، وليس للناس قبيلكم حقوق ، وللملوك على الناس السمع والطاعة » (١) ، وقد دخل الفرس الاسلام وهذه النظرية ثابتة في عقولهم فرأوا لذلك أن أسرة الرسول هي الأحق بالحكم وعلى الناس أن يسمعوها ويطيعوها .

سابعاً - اندس بين الساخطين والثائرين كثيرون ممن غلبهم الاسلام على أمرهم ، فأرادوا تهديمه والنيل منه ، فتظاهروا بالدخول فيه ليتمكنهم ذلك من الثورة على أولى الأمر المسلمين باسم الاسلام ، ومن تهديم قواعد الدين باسم الأحاديث الكاذبة التي وضعوها ، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن سبأ سالف الذكر وكثيرون قبله حذوا حذوه . ويقول المقرئ (٢) : كان الفرس في سعة من الملك وعلو اليد وكانوا يعدون العرب أقل الأمم خطراً ، فلما زالت دولة الفرس على يد العرب تعاضلهم لديهم الأمر وتضاعفت المصيبة ، وراموا الكيد للإسلام فرأوا أن الكيد له بالحيلة أنجح ، فإظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علي ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى .

ويروى ابن عبد ربه عن الشعبي قوله : الرافضة (٣) يهود هذه الأمة ، يبغضون الاسلام كما يبغض اليهود النصرانية ، ولم يدخلوا الاسلام رغبة ولا رهبة من الله ، ولكن مقتناً لأهل الاسلام وبغياً عليهم ، وقد أحرقتهم على بن أبي طالب رضى الله عنه بالنار . ونفاهم الى البلدان ، ومحنة الرافضة محنة اليهود ، قالت اليهود : لا يكون الملك الا في آل داود ، وقالت الرافضة لا يكون الملك الا في آل علي بن أبي طالب ، وقالت

(١) أحمد أمين : فجر الاسلام ص ١١١ .

(٢) الخطط ١ : ٣٦٢ .

(٣) الرافضة من الأسماء التي تطلق على الشيعة ، قيل إن زيد بن علي هو الذي سبهم الرافضة لأنهم رفضوا مؤازرته ، وقيل سبوا الرافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر ، أما الذين فضلوا علياً على عثمان ولكنهم تولوا أبا بكر وعمر فيسمون الشيعة (التعقد الفريد ج ٤ ص ٤٠٤) .

اليربكا : لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر ، وقالت
الرافضة لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي ، واليهود تستحل
دم كل مسلم وكذلك الرافضة ، واليهود حرقوا التوراة وعجز الرافضة
عن تحريف القرآن فقالوا بالمعنى الباطن وحرفوا معانيه (١).

ويقول الأستاذ أحمد أمين (٢) : والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ
اليه كل من أراد هدم الاسلام ، لعداوة أو حقد ، ومن كان يريد ادخال
تعاليم آبائه من يهودية نصرانية ، وزرادشتية وهندية ، ومن كان يريد
استقلال بلاده والخروج على مملكة الاسلام ، كل هؤلاء كانوا يتخذون
حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم ، فاليهودية
ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة ، وقال الشيعة : ان النار محرمة على
الشيعة الا قليلا كما قال اليهود « لن تمسنا النار الا أياما معدودات »
والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم : ان نسبة الامام الى الله
كنسبة المسيح اليه ، وقالوا أن اللاهوت اتحد بالناسوت في الامام ، وان
النبوة والرسالة لا تنقطع أبدا ، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي ، وتحت
التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله ، والحلول ، ونحو ذلك
من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل
الاسلام .

تلك هي العوامل التي نقلت التشيع من البساطة الى التعقيد ،
ودفعته أحيانا حتى بعيد عن الاسلام وعن التفكير السليم ، وتلك هي
العوامل التي ساعدت عبد الله بن سبأ ، فأضافت الى أفكار الشيعة أفكارا
جديدة بل أضافت الى فرق الشيعة فرقا جديدة ادعت أنها شيعة وليست
في الحقيقة من الشيعة بل ليست من الاسلام كما سيتضح فيما يلي :

الشيعة ومدعو التشيع :

نقصد بهذه الدراسة أن نضع حدودا واضحة بعض الرضوخ او كله

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

(٢) فجر الاسلام ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

بين الحق والباطل ، ونقصد أن نحاول أن نقوم بدراسة يبدو أنها لم تجد حتى الآن عناية واضحة من الباحثين ، تلك هي أن نفرق بين الشيعة ومدعى التشيع ، وهذا الموضوع في اعتقادي بالغ الأهمية ، فقد دخل « الشيعة » جماعات كثيرة كما رأينا آنفا ليسوا من الشيعة في شيء ، بل ليسوا من الاسلام في شيء ، وأخذوا اسم الشيعة فوضعوه ستارا ونسجوا خلفه ألوانا من الترهات والأباطيل يقصدون بذلك الكيد للاسلام والمسلمين ، وحمل الشيعة وزر كل هؤلاء ، وأصبح كل هؤلاء يعدون من الشيعة في جميع المراحل القديمة والحديثة التي بين أيدينا ، ونحن نحتاج الى غربال دقيق ليعزل الحما عن القمح فلا يعود الحما يسمى قمحا بعد ذلك ، نريد أن نقول عن هؤلاء الذين يطلق عليهم « الشيعة الغلاة » ومن شاكلهم أنهم ليسوا شيعة على الاطلاق . بل ليسوا مسلمين على الاطلاق ، فاذا استطعنا أن نفعل ذلك أخرجنا من الشيعة عشرات من الفرق ادعت أنها شيعة وليست شيعة ، ووفرنا على الشهر ستاني وابن حزم وأحمد أمين وغيرهم عشرات من الصفحات التي ملئوها بسيرة هؤلاء الفسقة على أنهم من الشيعة وليسوا في الحقيقة ينسبون للشيعة من قريب أو بعيد ، ويقول كارل بروكلمان (١) في ذلك : ان التشيع الذي بدأ أول ما بدأ حزبا سلاليا خالصا ، انضوى تحت لوائه أكثر الذين دخلوا الاسلام بقصد المناضلة ضد السيادة العربية ، وكان في كثير من الأحيان ستارا يستخدمه الانتهازيون الذين لا ذمة فيهم ولا ذمام . لتحقيق أهدافهم الأنانية الصرفة ، المناهضة للحكومة .

وقد اتضح مما سبق أن كثيرين من أعداء الاسلام ومعتنقي المذاهب والأديان المختلفة وبخاصة من اليهود (٢) دخلوا الشيعة وانتسبوا الى آل البيت بقصد الكيد للاسلام ، وأدخلوا على مذهب الشيعة كما أشرنا آنفا

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٢٧ .

(٢) انظر كتاب « اليهودية » من سلسلة مقارنة الأديان للمؤلف

ألوانا من الضلالات والأكاذيب ، وكان أهم ما عنى به هؤلاء الدخلاء هو الكلام عن الأئمة فنقلوهم من صفة الى صفة ، ومن مكانة الى أخرى بعيدة المدى ، ويقول دوايت دونالدش (١) اننا لو درسنا حياة الأئمة دراسة دقيقة وأافية لانكسفت لنا حقيقة هامة هي أن رجالا لا يزيدون عن مستوى الشخص الحادى بشيء ، قد رفعوا الى مصاف الخالدين ، لقد كانت حياتهم الحقيقية مجردة عن التمجيد والتقديس ، فأحاطتهم القصص المتأخرة بهالة من الجلال ، وجعلتهم قديسين وأنبياء وآلهة .

ولم يكن جعفر الصادق يهتم بشيء الا بالعلم والفقه والزهد ، ولم يعد نفسه في سلسلة الأئمة ، وعاش على الرضا في رحاب المأمون وولى عهده فترة ، وهكذا ، فلما جاء المتأخرون من مدعى التشيع نسبوا لهؤلاء الأئمة ما لم يعرفه هؤلاء في حياتهم .

والآن نحب أن نوضح موقف الشيعة الحقيقيين وموقف آل البيت من هؤلاء الدخلاء ، والباحث يجد أن الشيعة الحقيقيين وآل البيت وقفوا من مدعى التشيع موقفين متضادين :

الأول : موقف كفاح وجهاد ضد ضلالتهم ، وقد اشترك في هذا الموقف كثير من أئمة الشيعة ورجالهم ، فكانوا يفتنون آراءهم ويهاجمون المعتقدات الضالة التي يثيرونها ، وكانوا يبعدونهم ويدعون للبعد عنهم ، وينزلون بهم أشد العقوبات أن كانت في أيديهم سلطة ، ولم يدخروا على العموم وسعا في الكفاح ضدهم الا قاموا به ، ويروى الشهرستاني وابن حزم مجموعة من هذه المواقف نقتطف منها الأمثلة التالية :

على بن أبى طالب وابن سبأ : قال ابن سبأ مرة لعلى بن أبى طالب أنت أنت ، يقصد أنت الاله . فنفاه على الى الدائن (٢) . وربما يقال ان عقوبة النفي لم تكن كافية ، ولكن يجاب على ذلك أن فسق ابن سبأ لم يكن

(١) عقيدة الشيعة ص ٥٨ .

(٢) الشهرستاني ص ١٥٥ .

قدّ وضّح بعد ، وأن الجملة التي قالها « أنت أنت » لم تكن ظاهرة الدلالة على المقصود الضال الذي كانت هذه الجملة مبدأه . ولذلك نجد موقف على قويا بالغ القوة عندما اتضح ذلك المقصود فيما بعد ، فسيروى ابن خزم (١) أن قوما من أصحاب عبد الله بن سبأ أتوا عليا وقالوا له : أنت هو فقال لهم : ومن هو ؟ فقالوا : أنت الله . فثار على وحكم عليهم بالاعدام حرقا ، وأمر بإشعال نار وألقاهم فيها .

محمد بن الحنفية وابنه أبو هاشم مع المختار وعبد الله الكندي : ادعى المختار أنه من رجال محمد بن الحنفية ومن دعائه ، ولما عرف محمد تزيهاته وضلالاته تبرأ منه وأعلن ذلك لأصحابه فكان ذلك سببا في انفضاض الناس من حول المختار ، وبالتالي سببا في هزيمته وقاتله (٢) ، وبعد موت محمد بن الحنفية قام مقامه ابنه أبو هاشم ، وبعد وفاة أبي هاشم ادعى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي أنه القائم بالأمر بدله ولكنه انحرف ، فثار عليه أتباع أبي هاشم واعتزلوه (٣) .

الباقر وأبو منصور العجلي : أبو منصور العجلي هو أيضا من الخلافة ، قال بإمامة الباقر ، ثم أضفى عليه وعلى الأئمة صفات الألوهية . فعتبرأمنه الباقر وطرده (٤) .

جعفر الصادق ومدعو التشيع : جعفر الصادق من أعظم المفكرين المسلمين قدرا وأعلامهم منزلة ، وهو ابن الباقر وأمه أم فروة بنت القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق . « وهو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات ما تعرض له » . إمامة قط ، ولا نازع أحدا في الخلافة قط . ومن غرق في

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٨٦ .
(٢) الشهر ستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢ ومقدمة ابن خلدون ص ١٦٥ .
(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٥ .
(٤) المرجع السابق ص ١٥٨ .

بحر المعرفة لم يظلم في شط ، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من خط ، ومن أنس الله توحش عن الناس .. » (١) .

ورجل كهذا لم تغره الدنيا ولم يسع لها ، ولم يقبل في الدين تمويهها ولا ستر ضلّالها ، ولذلك نجد الشهرستاني بعد أن عدد كثيراً من قور الغلاة يقول « وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه ، وطردهم ، ولعنهم ، فان القوم كلهم حيارى ضالون جاهلون بحال الأئمة تائبون » (٢) .

ومن هؤلاء الذين طردهم جعفر ولعنهم ، أبو الجارود (٣) وأبو الخطاب الذي يقول الشهرستاني (٤) « ان الصادق لما وقف على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه ، وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك ، وبالمخ في التبرؤ منه واللعن عليه » .

الشيعة وأحمد بن الكيال : ادعى أحمد بن الكيال أنه يدعو لواحد من أهل البيت بعد جعفر الصادق لعنه من الأئمة المستورين كما يقول الشهرستاني ، وكان له أتباع من الشيعة ، ولكن هؤلاء رأوا ابن الكيال مبتدعاً ضالاً ، فلما وقفوا على بدعته تبرءوا منه ولعنوه : وأمروا شيعتهم بمنازلته وترك مخالطته (٥) .

ذلك هو موقف أئمة الشيعة وجمهور أتباعهم من هؤلاء الكفرة الذين تستقروا خلف اسم الشيعة : موقف طرد وإبعاد وعزل وقتل أحياناً ، فبأي حق نستمر في عدنا هؤلاء الكفرة المضلين فرقاً من الشيعة ؟

الثاني : أما الموقف الثاني الذي وقفه الشيعة الحقيقيون وأئمتهم

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٦٠ ومقدمة ابن خلدون ص ١٦٥ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٤٣ .

(٤) المرجع السابق ص ١٥٩ .

(٥) المرجع السابق ص ١٦٠ - ١٦٦ .

من مدعى التشيع فهو كما قلنا آنفا مناقض للموقف الأول ، فقد انساق بعض آل البيت تحت تأثير ما الى أن يصبحوا في عداد الضالين النذيين أفسدوا التشيع ، ومن هؤلاء عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب الذى قال بالتناسخ وادعى الألوهية والنبوة وأنه يعلم الغيب^(١) ومنهم الحسن الصَّبَّاح صاحب قلعة الكَمَوَات الذى ظهر سنة ٤٨٣ هـ وهو من نسل على بن أبى طالب^(٢) وكان زعيم فريق الحشاشين السفاكين الذين استحلوا الحرمات وعبثوا في شئون الدين ، ولكن من الحق أن نقرر أن هؤلاء قليلون جدا ، وبعيدو الصلة من الأئمة المعروفين .

ولكن الخطر على الشيعة جاء من طريق آخر . ذلك هو أن بعض قادتهم أحيانا ، باسم السياسة ، ورغبة في الانتصار على أعدائهم ، تغاضوا عن هؤلاء الدخلاء حتى ينتفعوا بهم وبجهودهم في نضالهم لاسقاط العدو المشترك وهو دولة بنى أمية ، وذلك التغاضى هو الذى سبب نوعا من الاندماج بين الأفكار الضالة والأفكار الصحيحة ، وهو الذى أتاح الفرصة لهؤلاء الدخلاء ليكسبوا أنصارا من بين الشيعة الذين يعملون معهم بوجه خاص ، ومن بين المسلمين على وجه العموم ، وللأسف تلقى بعض هؤلاء الشيعة مبادئ مدعى التشيع على أنها مبادئ شيعية حقيقية ، ودانوا بها وتحمسوا لها ، وأورثوها من جاء بعدهم ، فلم يعرف هؤلاء المتأخرون تلك الأباطيل التى كشفها أسلافهم من قبل وتبرعوا منها .

وهناك طريق ثان طويل جاء منه أعظم الخطر على الشيعة ، ذلك هو طريق الوضع والافتراء ، فقد كان مدعو التشيع في غاية الذكاء والفتنة والمثابرة ، فوضعوا من الأحاديث والروايات ما يؤيدون به مذهبهم ، واستطاعوا بحسن سبك الأحاديث أن يدفعوا بعضها لتأخذ مكانها في كتب الحديث الشهيرة ، ولكنهم بالاضافة الى هذا دونوا كتب حديث خاصة

(١) الشهر ستانى : الملل والنحل ج ١ : ص ١٣٥ .

(٢) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٢٥ وانظر دراسة شاملة منه في الجزء الثامن من هذه الموسوعة .

بهم ، ووضعوا المبادئ التي تيسر عليهم عملهم ، فلم يقبلوا الا الأحاديث التي تروى عن الشيعة ، واكتفوا في السند بذكر سلسلة الرواة حتى أحد الأئمة ولم يهتموا بذكر السند بين الامام والرسول ، لأن عصمة الامام كافية لايضاح أن الحديث المروى عنه صحيح (١) .

وقد بدأ مدعو التشيع وضع الأحاديث والروايات منذ عهدهم الباكر ، فوضعوا عن الرسول أحاديث لا حصر لها منها حديث قصة غدير خم ، وأحاديث عصمة الأئمة وفضلهم ، ووضع ابن سبأ وأعوانه كتباً ثلاثة كانت سبب الفتنة التي قتل فيها عثمان وأشعلت نارا التهمت آلاف الأنفس من المسلمين ، وعن وضع هذه الكتب يقول ابن عبد ربه (٢) ان قواد الثورة التي هبت في وجه عثمان جاءوا الى علي بن أبي طالب فقالوا له : قم معنا الى هذا الرجل . قال : لا والله لا أقوم معكم . قالوا : فلم كتبت اليينا ؟ قال : والله ما كتبت اليكم كتاباً قط . فنظر القوم بعضهم الى بعض وخرج علي من المدينة . واستنكرت عائشة قتل عثمان فقال لها مروان هذا عملك ، كتبت للناس تأمرينهم بالخروج عليه . فقالت : والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت اليهم بسواد في بياض حتى جلست في مجلسي هذا ، فكانوا يرون أنه كتب على لسان علي وعلى لسان عائشة كما كتب على لسان عثمان الى عامل مصر ، فكان اختلاق هذه الكتب الثلاثة سبباً في الفتنة .

واستمر الوضع بعد ذلك على لسان الأئمة ، ولناخذ اماماً واحداً كنموذج للأئمة الآخرين ، ذلك هو جعفر الصادق الامام العالم الورع العظيم ، الامام الذي حارب مدعى التشيع وتبرأ منهم كما مر ، ولكنهم لم يتركوه ، بل جعلوه — عن طريق ما وضعوه باسمه — من أنصارهم وقادتهم ونسبوا اليه أشياء تعتبر أسساً من أسس مذهب مدعى التشيع الذين تبرأ منهم جعفر وطردهم ، ومن ذلك أنهم نسبوا اليه أنه القاتل :

(١) عقيدة الشيعة ص ٢٨٦ .

(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

— من أذاع لنا سرا ووصلنا بجبال من ذهب لم يزد مننا الا بعدا .

— التقية ديني ودين آبائي وأجدادي ومن لا تقية له لا دين له .

— من أطاعنا فقد أطاع الله ، ومن عصانا فقد عصى الله ، فنحن أبواب الله وحجبه وأمنائه على خلقه ، وحفظة مكنون سره ، والآخذون عهده وميثاقه (١) (في الأصل والآخذين وجعفر الصادق أبعد ما يكون عن مثل هذا الخطأ النحوي الواضح فقد كان من أساطين اللغة والفقه) .

وان الانسان ليستعرض ألوانا من الأقوال التي نسبت الى جعفر فيجدها متضاربة تضاربا واضحا ، ويحكم بلا شك بأن بعضها على الأقل موضوع مختلف ، ولكن الذين يدققون — وبخاصة من الجماهير — قليلون ، ويقول الشهرستاني (٢) ، ان جعفر تبرأ مما كان ينسبه اليه بعض الغلاة وبريء منهم ولعنهم ، وبريء من خصائص مذاهب الرافضة وحمقاتهم في القول بالغيبة والرجعة ... لكن الشيعة بعده افترقوا ، وانتحل كل واحد منهم مذهباً ، وأراد أن يروّجَه على أصحابه ، فنسبه الى جعفر وربطه به والسيد برىء من ذلك « فبينما يبرأ جعفر من القول بالغيبة والرجعة يقول الناووسية وهم من فرق الامامية : ان الصادق حي ولن يموت ، وسيعود للظهور ويعلو أمره . ويروون عنه أنه قال : لو رأيتم رأسي يدهد عليكم (يد حرج) من الجبل فلا تصدقوا ، فاني صاحبكم صاحب السيف (٣) .

ومن التناقض الظاهر الذي رواه عنه مدعو الشيعة أن الأفطحية (احدى فرق الامامية) قالت بانتقال الامامة من جعفر الى ابنه عبد الله الأفطح ، ورووا عنه في ذلك أقوالا تؤيد هذا الزعم ، وقد أورد الشهرستاني

(١) عارف تاجر : أربع رسائل اسماعيلية ص ٥٦ - ٥٧ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٧ .

(٣) الملل والنحل ص ١٤٨ .

هذه الأقوال فليُرجع لها من يشاء (١) ، ولكن الإسماعيلية يرون أن الإسماعيل بعد جعفر هو ابنه اسماعيل ويروون عن جعفر كذلك ما يؤيد ذلك (٢) ، بيد أن جمهور الامامية يرون أن الامام بعد جعفر هو ابنه موسى الكاظم ويروون عن جعفر أيضا ما يؤيد ذلك (٣) ، ليت شعري أى الأقوال قالها جعفر وأى الأئمة عيّن بعده ان كان قد عيّن ؟

ومر الزمن وطال عمر الاضطهادات التى نزلت بالشيعه ، فقد عانى الشيعة من العباسيين أكثر مما عانوا من الأمويين ، وفى خلال هذه الاضطهادات كانت الفرصة سانحة لأفكار مدعى التشيع لتتساب وتمتزع بأفكار الشيعة ، وبعد بضعة أجيال كان من العسير أن نميز بين الموضوع من الأحاديث والروايات وبين الصحيح منها ، وفجأة حدث حادث ذو بال ثبت إلى حد كبير مبادئ مدعى التشيع وأتاح الفرصة لضم الأحاديث والروايات الموضوعة وتدوين كتاب أو كتب منها ، ذلك الحادث هو استبداد البويهيين بالسلطة (٣٣٤ — ٤٤٧ هـ) فقد كانوا أول أسرة مالكة ممالئة للشيعة ، وقد رأى البويهيون كيف أن الأمويين حينما كانت السلطة فى أيديهم أجبروا بعض المحدثين على رواية أحاديث موضوعة كما يقول الزهرى (٤) ، وكيف أنهم وضعوا الأحاديث فى فضل بيت المقدس وفضل عثمان ، ومنعوا رواية الأحاديث التى بها مدح للعلويين (٥) . ورأى البويهيون كيف أن العباسيين جهدوا لتوجيه الأحاديث والروايات للحط من قدر الأمويين واعلاء شأن آل البيت . فما يمنع اذا البويهيون أن يستعملوا نفس السلاح لاعلاء شأن التشيع الذى يدينون به ؟

ووجد البويهيون من علماء الشيعة من يحقق لهم هذه الرغبة وفى قمة هؤلاء محمد بن يعقوب الكلينى (٣٢٩ هـ) ومحمد بن على بن الحسين

-
- (١) المرجع السابق .
 - (٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٤٩ .
 - (٣) المرجع السابق ونفس الصفحة .
 - (٤) المرجع السابق .
 - (٥) المرجع السابق ونفس الصفحة .

ابن بابويه المعروف بالقمي (٣٨١ هـ) ومحمد بن الحسن الطوسي (٤٤٠ هـ) وغيرهم .

وكتاب الكافي للكليني من أعظم الكتب التي يعتمد عليها الشيعة ، وهو عندهم كالبخاري عند أهل السنة ، وهو ينقسم الى قسمين يعرف الأول بأصول الكافي ويعرف الثاني بفروع الكافي وبه ١٦٠٠٠ حديث ،

أما القمي فكان يقول عن نفسه انه ولد بدعاء صاحب الزمان (١) ، فان أباه لم يرزق بولد حتى تقدمت سنه ، ثم طلب ذلك الأب من ثالث وكلاء الامام الغائب أن يسأل صاحب الزمان أن يدعو الله أن يرزقه ولدا ، ففعل النائب ودعا صاحب الزمان واستجاب الله !!!

وعاش الطوسي بعد زوال ملك البويهيين وأحرقت كتبه ورسائله أو أكثرها أمامه .

ولنعد الى الكليني لنقتبس من كتابه الكافي بعض ما ورد فيه مما نعتبره من أقوال مدعى التشيع وليس من التشيع في شيء :

١ — روى الكليني عن ضرورة الامام أن الباقر قال : انما يعبد الله من عرف الله ، ومعرفة الله تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله وموالاته على والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام ، والبراءة الى الله عز وجل من عدوهم . وإن من أصبح بلا إمام أصبح ضالا تائها وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر (٢) .

٢ — وعن الامام والوحي يروى الكليني عن علي الرضا أيضا أن الامام يوحى اليه ويسمع الكلام ولكنه لا يرى من يكلمه (٣) .

(١) صاحب الزمان هو لقب الامام عند الاسماعيلية ، ويفهم من هذا اللقب أن الامام مدير الكون وصاحب السيطرة عليه .

(٢) الكافي ص ٨٤ ، ٨٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٢ .

٣ — وعن مكانة الأئمة يروى الكليني عن الرضا أيضا قوله : ان الامامة في منزلة النبوة ، والامام مطهر من الذنوب مبرأ من العيوب وعن الباقر أن الأئمة إذا شاعوا أن يعلموا شيئا أعلمهم الله إياه ، وهم يعلمون متى يموتون ، ولا يموتون الا باختيارهم ، وأنه لا يخفى عليهم شيء (١) .

٤ — ومن التفاسير المروية عن الأئمة ما رواه الكليني أن الباقر فسر قوله تعالى « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم فزح يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار » (٢) أن الحسنة معرفة الامام وحب أهل البيت ، والسيئة انكار الامام وبغض آل البيت (٣) . وان جعفر الصادق قال : إن أعمال الناس تعرض على الأئمة بدليل قوله تعالى « فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » فالقصد بالمؤمنين الأئمة (٤) .

٥ — يروى الكليني أن جعفر الصادق قال ان عند الأئمة مصحف فاطمة وفيه مثل قرأنا ثلاث مرات ، وليس فيه من قرأنا حرف واحد (٥) .

٦ — ويروى الكليني عن الرضا قوله « الناس عبيد لنا في الطاعة موال لنا في الدين » (٦) .

فاذا تركنا الكليني وذهبنا الى الشهر ستانى وجدنا العجب العجائب ، وجدنا الشيعة يكفّرون الصحابة جميعا لخذلانهم عليا واختيارهم غيره . ويكفرون المؤمنين جميعا أو يحكمون بفسقهم لنفس السبب ، أما تكفير عائشة وعثمان وطلحة والزبير ومعاوية . . فأيسر ما قالوا به ،

(١) المرجع السابق ص ٩٦ ، ١٢٦ .

(٢) سورة النمل الآية ٩٠ .

(٣) الكافي ص ٨٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٩٩ .

(٥) المرجع السابق ص ١١٥ .

(٦) المرجع السابق ص ٨٨ .

والعجب أن بعضهم يطعن عليا نفسه لأنه ترك طلب حقه وكان عليه أن يخرج ويدافع عن حقه ، ولم يعذر^(١) .

وبعضهم يفضل عليا على محمد ، وبعضهم يجعل عليا الها وهو الذي أرسل محمدا ، بل ان بعضهم آله جعفر الصادق وجلس لعبادته بكناسة الكوفة ، وزاد بعضهم فجعل الأئمة كلهم آله يظهر الله بصورتهم وينطق بلسانهم ويأخذ بأيديهم ويطلقون عليهم آلهة لذلك (٢) وأغلب هذه الآراء تروى على أنها من أقوال الأئمة ومن تعليمهم ، ولكن الشهرستاني لم يدع رواية ضالة الا انتقدها وانتقد نسبتها الى من تنسب اليه .

وننتقل خطوة أخرى الى مرجع شيعي هام اشتهر بذكر معجزات الأئمة ، وذلك هو كتاب « خلاصة الأخبار » من تأليف السيد محمد مهدي ، وقد نسب هذا الكتاب الى الأئمة معجزات أكثر مما نسب الى الرسل ، معجزات له يعرفها عصر الأئمة قط ، ولكن الوضاع خلقوها ، والرواة نقلوها ، ثم وجدت المؤلفين الذين يدونونها على أنها حقائق مسلم بها ، وفيما يلي بعض هذه المعجزات :

سأل رجل محمدا الباقر يوما : هل ورث النبي ﷺ علم جميع الأنبياء فأجاب الباقر : نعم . فسأل الرجل : هل تقدر أن تحيي الموتى وتبرئ الأعمى ؟ فقال : نعم باذن الله ، ومسح بيده على عين رجل كان أعمى فأبصر .

ورأى موسى الكاظم (وفي رواية أخرى جعفر الصادق) امرأة وابنتها تبكيان ، فقال للمرأة : ما يبكيك أنت وابنتك ! فأجابت : كنت وصبيتي نعيش من هذه البقرة وقد ماتت فتحيرت في أمرى ، فوضع أصبعه الشريف على البقرة فقامت بسرعة سوية .

(١) انظر الشهرستاني ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٦ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٨ .

ويذكرون أن يحيى بن أكثم القاضى سأل محمد التقي مسائل كثيرة قبل أن يعترف بإمامته ، وفي ختام هذه المسائل قال له : من الامام ؟ فأجاب محمد التقي : أنا . قال يحيى : وما برهانك ؟ فتكلمت عصا محمد التقي وقالت : أن صاحبى هذا هو امام العصر وحجة الله (١) .

هذه نماذج مما كتبه كتاب الشيعة كالكلينى ومحمد المهدى وغيرهما ، أو مما رواه رواية الشيعة ونقله عنهم كثير من الكتاب والمؤلفين ، ناقدين أو غير ناقدين ، واعتقادى الجازم أن هذه الروايات كلها محض اختلاق وتلفيق ، فما كان للباقر في علمه وفضله وقرب عهده بالمصدر الاسلامى أن يسمح لأتباعه أن يكفروا الناس ويكفروا أبا بكر مع أن زوجة الباقر هى حفيدة أبى بكر ، ولا كان جعفر الصادق يقبل مثل ذلك في جده ، وأى عقل يستطيع أن يصدق ما نسب للصادق عن أسطورة قرآن فاطمة ؟ وكيف استطاع الرضا وهو معاصر للمأمون أن يقول ما نسب اليه الكلينى ، وثو قد قال ذلك ما غفره له المأمون ، ذلك الخليفة العالم الذى لم يستطع أن يفر لابن حنبل عدم موافقته على القول بخلق القرآن ويستطيع كل انسان أن يصرخ في وجه الكلينى بأن الناس ليسوا عبيدا لآل البيت ، وأن المؤمنين إخوة ، ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى أما خرافة التأليه والتكفير والمعجزات فأوهى من أن نرد عليها وأن ننكر نسبتها الى الائمة الافاضل .

بقى شىء يوضح لنا كيف تتسرب أفكار قوم وتمترج بأفكار الآخرين ، ذلك هو أن أفكار مدعى التشيع لم تتسرب فقط الى أفكار الشيعة بل تسربت أحيانا الى أفكار أهل السنة وامترجت بها ، كعصمة الأنبياء التى لم يكن يعرفها المصدر الأول للإسلام في غير التبليغ ، قلما نسب مدعو التشيع العصمة المطلقة للائمة ، واضطروا لذلك أن ينسبوها للأنبياء . تسربت هذه الفكرة الى أهل السنة ووجدت منهم من يعتنقها

ويدافع عنها (١) .

وهناك طريق ثالث (٢) يحتمل أن يكون من الطرق التي سببت التزديد في مذهب الشيعة ، وأتاحت الفرصة لمدعى التشيع أن يدخلوا أفكارهم ويمزجوها بأفكار الشيعة ، وهذا الطريق هو نشر الكتب ، فإذا فرض أننا أحسنا الظن بالكلميني وغيره ، وقلنا أنه لا يحتمل أن يصدر عنهم مثل هذه الخرافات والضلالات ، فإن يدا أخرى يحتمل أن تكون قد عبثت بمؤلفات هؤلاء الكتاب فأضافت عليها قبل نشرها ما ليس منها ، وليست هذه اليد إلا يد مدعى التشيع الذين لم يخل منهم مجال النشر في زمن من الأزمنة ، وربما لا يزال بعضهم يكافح حتى الآن .

وطريق رابع طرقه مدعى التشيع لينشروا أفكارهم عن طريق بعض الباحثين ، ذلك هو طريق الرشوة لهم حتى يقولوا غير ما يعتقدون . حكى الشعبي قال : لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيدا وأن يملئوا بيتي ذهبا على أن أكذب على عليّ كذبة واحدة لقبولوا ، ولكني والله لا أكذب أبدا (٣) . وكلام الشعبي يدل على محاولاتهم هذا الطريق ، وإذا كان قد رفض بإيابه فقد يكون هناك من استجاب لهم ، وعلى كل حال فإنه إذا تأبى العلماء على مدعى التشيع ولم يخضعوا لأغراء المال والجاه ، فإن مدعى التشيع يسلكون طريقا آخر ينسبون به ما يشاءون من الأفكار إلى مَنْ يشاءون من العلماء ، فقد كانوا يسمون بعض أتباعهم بأسماء مشاهير العلماء كالسدي وابن قتيبة ، ثم ينقلون عن هؤلاء ، موهمين الناس أنهم ينقلون عن السدي وابن قتيبة المعروفين (٤) .

وعندنا نموذج للوضع والتحريف يبدو من مقارنة كتاب الكافي سالف

(١) عقيدة الشيعة ص ٣٢٩ — ٣٣٠ .

(٢) الطريق الأول هو تعاون بعض آل البيت مع مدعى التشيع أحيانا باسم السياسة ، والطريق الثاني هو وضع الأحاديث والآراء ونسبتها للرسول والأئمة وقدم الحديث من هذين الطريقين .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٩ .

(٤) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٧٥ .

الذكر بكتاب المجموع الذى هو عند الزيدية كالكافى عند الامامية ، فان ما روى فى المجموع عن زيد عن أبيه على زين العابدين عن الحسين عن على بن أبى طالب يخالف ما روى فى الكافى عن الباقر عن أبيه على زين العابدين عن الحسين عن على بن أبى طالب ، ويعمل الزيدية بأن الرواة عن زيد هم عدول الزيدية لا يطعن فيهم ، والرواة عن الباقر لم تثبت عدالتهم (١) ، فالمرئى عنهم هم لم يتغيروا (على زين العابدين فالحسين فعلى بن أبى طالب) ولكن المرئى هنا غير المرئى هناك فى موضوع واحد .

ومقارنة أخرى نثبتها هنا هى مقارنة الكافى سالف الذكر بالمراجع التى دونها الدعاة الفاطميون وسيأتى ذكرها ، وهذه المقارنة تظهر لنا المراجع الفاطمية أكثر اعتدالا مع أنها صادرة عن الاسماعيلية المعروفين بأنهم أكثر غلوا من الاثنى عشرية ، وسبب ذلك فيما أعتقد هو كثرة الوضع فى الكافى وعدم الوضع فى المراجع الفاطمية التى حفظت القاهرة مخطوطاتها دون تحريف يذكر .

بقى لنا موقف قصير نعرض فيه لرأى أستاذنا المرحوم الأستاذ أحمد أمين فى ذلك الموضوع ، فقد قام رحمه الله بدراسة مذهب الشيعة ، واعتمد فى دراسته على الكلينى سالف الذكر ، وقدم لهذه الدراسة بأنها معتمدة على كتبهم فذلك أنصف لهم (٢) . وكان من نتيجة اعتماد الأستاذ أحمد أمين على كتاب الكافى وبقينه أنه نتاج شيعى أن كانت دراسته لمذهب الشيعة مملوءة بالهجوم عليهم ، ونة : لهذه الأفكار دون هوادة بل بسخط وقسوة (٣) واعتقاده أن كتاب الكافى لا يمثل مذهب الشيعة بقدر ما يمثل أفكار مدعى التشيع والوضاع والضلالة ، وأنه

(١) كتاب المجموع ص ١١ وانظر ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٧٦ .

(٢) ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢١٣ .

(٣) اقرا فجر الاسلام ص ٢٦٦ - ٢٧٦ وضحى الاسلام ج ٣ ص

لا يصلح أساسا لدراسة مذهب الشيعة الحقيقي ، ويرم نسلّم بهذا يكون من اللازم أن تسير دراسة الشيعة على غير النحو الذى سلكه الأستاذ أحمد أمين .

والخلاصة التى نؤمن بها أن الكافى ليس حجة على الشيعة ، وأن من الضرورى أن نحذف من الشيعة تلك الفرق التى تكونت لتفسد الاسلام وتمحو حضارته وأفكاره ، فاذا فعلنا ذلك بقيت عندنا جماعات الشيعة الأصلية . تلك الجماعات الجديرة بالدراسة والتى تتفق مع غير الشيعة من المسلمين فى كثير من الأسس .

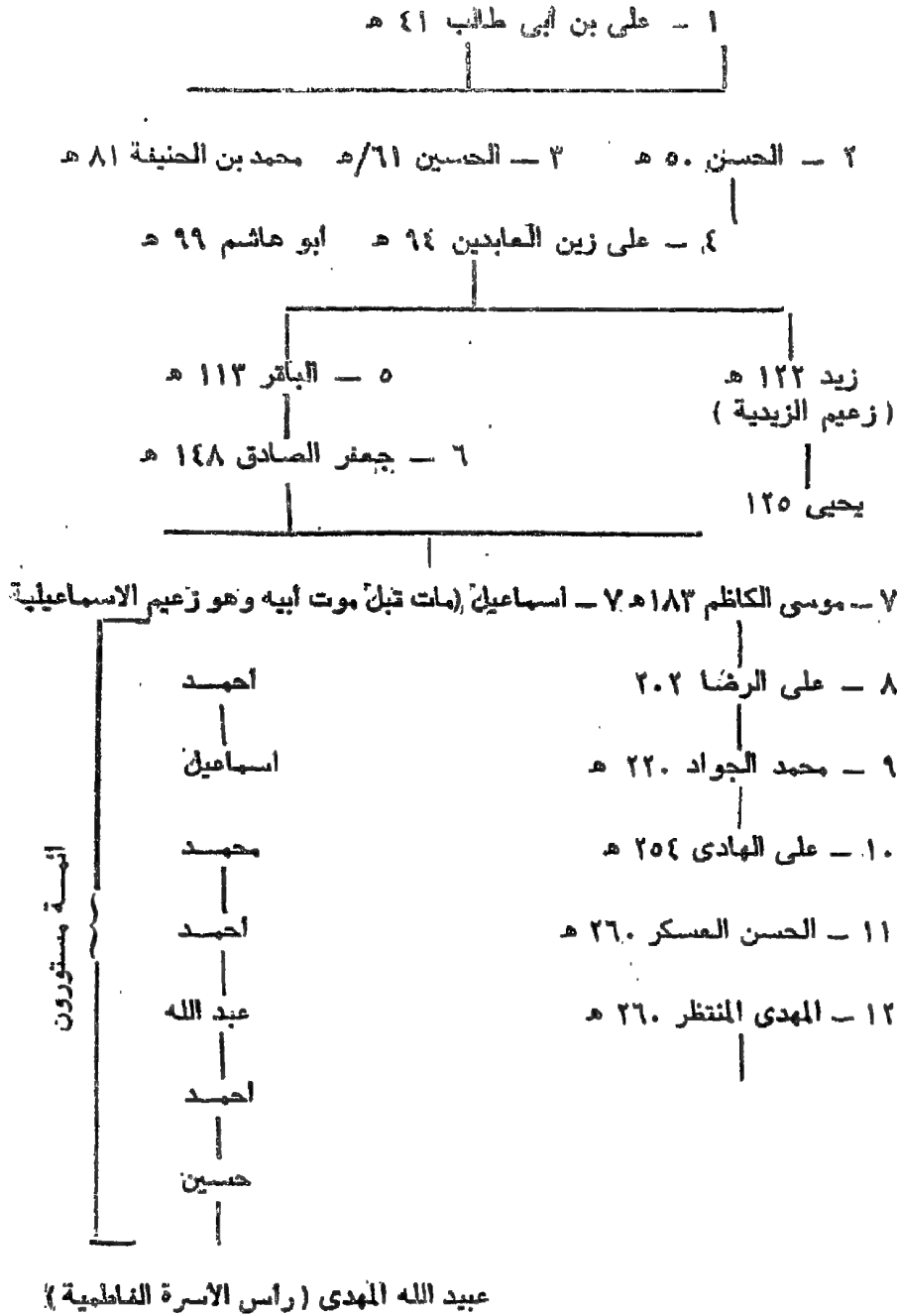
ولسنا ندعى سلامة الفرق الشيعية الحقيقية من آثار انسابت لهم من أفكار مدعى الشيعة ، بل اننا نعترف اعترافا تاما بأن كل فرق الشيعة أصابها شيء قليل أو كثير من أفكار مدعى التشيع ، ولكننا نريد أن نفرق بين التطور الذى حصل قطعاً فى التفكير الشيعى وبين الآراء الضالة التى نصبت انصباباً من تفكير آخر ، أو قل نريد أن نفرق بين جماعة شيعية تطور مذهبها لسبب أو لآخر وبين جماعة ليست شيعية على الاطلاق ، ولكنها أسدلت على نفسها هذا اللقب لاستغلاله ، للعبث بالاسلام من وراء ستار ، ويجب أن نحذف من الشيعة هذه الجماعات فهى ليست من الشيعة فى شيء ، بل ليست من الاسلام فى شيء كما قلنا من قبل . وكيف يعد من الاسلام ذلك الفريق من الكيسانية الذين قالوا ان الدين طاعة رجل ، وعندما يصل المسلم الى درجة الطاعة تسقط عنه الصلاة والصوم والزكاة والحج ، والذين أنكروا القيامة وقالوا بالتناسخ والحلول (١) ، وكيف نعد الحارثية مسلمين وقد أباحوا المحرمات وعاشوا دون أداء التكاليف الشرعية (٢) وكيف نعد من المسلمين هؤلاء الذين سبق أن تكلمنا عنهم ممن يكفرون المسلمين جميعاً أو يألّهون علياً وأولاده الى غير ذلك من ألوان الخطل والتخريف ، فالذى أثبتته بقوة هو أن من يسمعون بالشيعة

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ - ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق بعد ص ١٣٥ .

الحالة ليسوا شيعة على الاطلاق ، وليسوا مستحقين لهذا الاسم ولا جديرين به بل ليسوا مسلمين أيضا فلنكتشف عنهم هذا الغطاء الذي استتروا خلفه زمنا طويلا وفي حمايته عبثوا بالتفكير الاسلامي وبثوا سمومهم ، واذا فعلنا ذلك فاننا — كما قلنا من قبل — نحذف من الشيعة عشرات الفرق تعد ظلما من الشيعة وهم ليسوا شيعة بل هم في الحقيقة أعداء لآل البيت وأعداء الاسلام .

بقى أن نقرر حقيقة رائعة هي أن المسلمين في مختلف النواحي أصدروا عمليا على مر التاريخ ذلك الحكم الذي حمكناه فانفضوا من حول هذه الفرق التي ادعت التشيع عندما ظهرت ضلالاتها ، حتى ماتت هذه الفرق ولم يبق لها أتباع قط ، أو لم يبق لها من الأتباع الا النادر الذي لا يؤبه له ، أما الفرق الشيعية التي استطاعت أن تعيش حتى العهد الحاضر فثلاثة : الزيدية والاثنا عشرية والاسماعيلية ، وفيما يلي تسلسل هذه الفرق من علي بن أبي طالب ، وسنتكلم عنها فيما بعد .



فرق الشيعة وتطور اعتقاداتها :

قلنا أن فرق الشيعة التي استطاعت أن تعيش حتى العهد الحاضر هي الزيدية والإثنا عشرية والاسماعيلية ، وقد تطورت اعتقادات هذه الفرق بسبب اتصالاتها بمدعى التشيع ، وكانت في تأثرها مختلفة بعضها عن البعض ، فالزيدية أقلها تأثرا ، وبعجى بعدها الإثنا عشرية فهي بين بين ، أما الاسماعيلية فأكثرها تأثرا ، وبالتالي أكثرها بعدا عن الشيعة الحقيقية وسيأتى إيضاح ذلك . والإثنا عشرية والاسماعيلية فرعان لفرقة الامامية ، لاهتمامهم بمشكلة الامامة كما سيأتى ، ومن المناسب أن نذكر هنا أن الشيعة يستعملون كلمة امام وامامة فهما أوسع من كلمتى خليفة وخلافة ، والامام عندهم في يده أمور الدين ، وكان يلزم أن تستند اليه السلطة الزمنية في المملكة الاسلامية ، لتجمع له بذلك أمور الدين والدنيا ، ولكن أمور الدنيا غصبت من الأئمة وشغلها أولئك الذين يسمون خلفاء ، وبقيت أمور الدين في يد الامام لم ينازعه فيها أحد ، كما بقى له لقب امام دون أن يطلق على سواه ، فأصبح الأئمة بذلك هداة روحانيين وشفعاء (١) .

نقاط الاتفاق بين فرق الشيعة :

ومع اختلاف فرق الشيعة في المعتقدات فانهم جميعا يتفقون على معتقد هام ، هو أفضلية علىّ على جميع الخلق ، ويقول في ذلك ابن أبى الحديد (٢) : « يقول أصحابنا — وقد سلكوا طريقة مقتصدة — ان عليا أفضل الخلق في الآخرة ، وأعلام منزلة في الجنة ، وأفضل الخلق في الدنيا ، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب والحاصل أننا لم نجعل بينه وبين النبي ﷺ الا رتبة النبوة ، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه » .

وهذا المبدأ المتفق عليه ذكرناه قبل أن نذكر الفرق لأنّه مشترك

(١) دوايت، دونالدش : عقيدة الشيعة ص ١١٨ .

(٢) شرح صحيح التلابة ج ٤ ص ٥٢٠ .

بينها جميعا ، وهو بلا شك أثر من الآثار التي تركها مدعو التشيع في الشيعة الحقيقية ، فما المقياس الذي وزن به على حتى أصبح أفضل الخلق في الدنيا والآخرة ؟ حتى لم يستثن هذا القول محمدا الا في العبارة الأخيرة ، ومما يدل على تأثر الشيعة بمدعى التشيع في هذا المعتقد قول ابن أبي الحديد في عبارته السابقة « وقد سلكوا طريقة مقتصدة » ماذا بعد ذلك ؟ وهل هناك مقام أرفع من هذا المقام ؟ نعم هناك قول العلويين الذين أشرنا اليهم من قبل والذين يفضلون عليا على محمد ، وهناك غيرهم ممن يؤلهون عليا وأبناءه ، فاذا اكتفى أصحاب ابن أبي الحديد بالقول بأفضلية عليّ على جميع البشر في الدنيا والآخرة فهم في نظره مقتصدون معتدلون .

وهناك معتقد آخر يتفق عليه الامامية أى الاثنا عشرية والاسماعيلية وذلك هو أن الامامة (وتشمل هنا الخلافة أيضا) خاصة بعلي ثم بأولاده من فاطمة أى بالحسن والحسين فأولاد الثانى (١) ، ولا يجوز أن تكون الامامة (التى تشمل الخلافة كما سبق القول) لغير هؤلاء ، فاذا صارت أمور الناس الدنيوية (الخلافة) لغير هؤلاء فهو سلب وغصب لحق ثابت من على وأولاده ، ورضاء الأئمة بذلك انما هو من باب التقية وسيأتى شرحها .

ولا يوافق الزيدية على هذا المعتقد بل يرون — كما سيأتى تفصيله — جواز امامة الفضول مع وجود الأفضل ، فمع أن عليا وأولاده أفضل الخلق الا أن خلافة غيرهم جائزة .

وبناء على قول الامامية السابقة ليس لأولاد علي من غير فاطمة حق في الامامة ، ومعلوم أن عليا لم يتزوج غير فاطمة في حياته ، فلما ماتت تزوج ، ومن زوجاته آنذاك امرأة من بنى حنيفة أنجبت ولدا سمى محمدا

(١) اما اولاد الحسن فمضى اكثر اولاد الحسين انهم لاحق لهم في الامامة لان تنازل ابيهم لمعاوية عن الخلافة اضع حقهم .

وبناء على الاعتقاد سالف الذكر ليس لمحمد هذا حق في الامامة ، ورغبة من هؤلاء في ابعاد محمد عن حوزة الامامة أطلقوا عليه محمد بن الحنفية ، نسبة لأمه حتى كأنهم لا يريدون نسبته الى علي ، ولكن كان لمحمد هذا أتباع وشيعة بعد وفاة الحسين وبخاصة أن علي بن الحسين الذي شهد قتل أبيه وقتل ذويه في كربلاء استكان بعد هذه الحادثة الشنيعة ولم يحرك ساكنا ضد بنى أمية ، مما حدا ببعض الشيعة أن يتجهوا الى محمد ابن الحنفية وفضلوه على علي بن الحسين ، وبعد موت محمد بن الحنفية (٨١ هـ) انتقل أمره الى ابنه أبي هاشم الذي عندما أحس بالموت وهو في طريقه من دمشق الى المدينة عرج على الحميمة حيث يقيم علي بن عبد الله بن العباس فأعلمه أنه ميت وأوصى اليه اذ لم يكن له عقب وكان في صحبته جماعة من الشيعة فسلكهم اليه وأوصاه بهم ثم مات (١) ، وبهذه يعتقد العباسيون أنهم ورثوا على بن أبي طالب بالاضافة الى حقهم بوصفهم ورثة للعباس بن عبد المطلب (٢) .

أما الزيدية والاثنا عشرية والاسماعيلية فيخرون امامة محمد هذا ، ومن ثم لا يعترفون بالفرق التي تفرعت عنه كالكيسانية (نسبة الى كيسان مولى محمد بن الحنفية وقيل مولى علي بن أبي طالب) والهاشمية والبيانية والرزامية (٣) أما انكار الاثنى عشرية والاسماعيلية فواضح لأن محمدا ليس من أبناء فاطمة ، وأما انكار الزيدية لامامة محمد فلائذ لم يخرج على خلفاء العصر مطالبين امامته اذ أن ذلك شرط من شروط الامامة عند الزيدية كما سيأتى .

نقاط الخلاف بين فرق الشيعة :

وفيما عدا هذين المعتندين تختلف هذه الفرق الثلاثة بعضها عن بعض في الأسس والمعتقدات ، ومن ثم لزم أن نتكلم عن كل منها على حدة :

-
- (١) المسعودي : مروج الذهب ٢ : ٢٠١ .
 (٢) موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية للمؤلف ج ٢ ص ٨ .
 (٣) انظر هذا في المتن الفصل للشهرستاني ج ١ ص ١٢١ - ١٢٧ .

الزيدية :

الزيدية ينسبون الى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ، وقد كان زيد هذا يضع للامامة شروطا هي أن يكون الامام فاطميا عالما زاهدا شجاعا وأن يخرج مطالباً للامامة (١) فان لم يخرج مطالباً للامامة فليس اماما وجاز تعيين غيره ، وعلى هذا أجاز زيد خلافة أبي بكر وعمر مع وجود علي لأن عليا لم يخرج مدافعا عن حقه مطالباً به ، وبخاصة أنه يرى أن امامة المفضل جائزة مع وجود الأفضل . ولزيد في هذا الموضوع كلام دقيق أورده الشهر ستاني يجدر بنا أن نقبسه هنا ، قال :

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة ، الا أن الخلافة فوضت الى أبي بكر لمصلحة رأوها ، وفائدة دينية راعوها (٢) . فان عهد الحروب التي مرت في أيام النبوة كان قريبا ، وسيف أمير المؤمنين علي^{عليه السلام} من دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد ، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي ، فما كانت القلوب تميل اليه كل الميل ، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد ، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة والتقدم بالسن والسبق في الاسلام والقرب من رسول الله ﷺ (٣) .

وتبعاً للشروط التي اشترطها زيد للامام ، أراد هو أن يكون عالماً فبدأ يتلقى العلم عن أشياخ عصره ، لأنه لم يؤمن بما أشاعه مدعو التشيع من أن الامام يوحى اليه ويعلمه الله ، ولذلك تتلمذ زيد على واصل بن عطاء فأخذ عنه كثيراً من مبادئ المعتزلة ، وبدأ زيد يجمع حوله الأنصار ويبث الدعوة ، وأخطأ زيد كما أخطأ أجداده من قبل فاتخذ من الكوفة أنصاراً ولم يسمع لأهله الذين حذروه من الكوفة وأهلها ، وأعلن

(١) الشهر ستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧ — ١٣٨ .

(٢) في الأصل وقاعدة دينية . ولعل « فائدة » أحسن .

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٨ .

بها ثورته ، وبعد فترة انفض من حوله أهل الكوفة كالعادة وقتل زيد في معركة ضد يوسف بن عمر والى هشام على العراق سنة ١٢٢ هـ .

وهرب يحيى بن زيد بعد هذه المعركة ، واتجه الى خراسان فبلغ ، وهناك أعد عدته وأعلن الثورة ولكنه لاقى مصير أبيه فقتل وحرق سنة ١٢٥ هـ أيام خلافة الوليد بن يزيد .

وبعد يحيى لم ينتظم أمر الزيدية كما يقول الشهرستاني (١) حتى ظهر ناصر الأطروش في بلاد الديلم بطبرستان وكان أهلها لم يدخلوا الاسلام بعد ، فدعاهم ناصر لدخول الاسلام على مذهب الزيدية فاستجابوا وانتشر مذهب الزيدية هناك ، ولا يزال لهذا المذهب أتباع كثيرون حتى الآن في اليمن .

والزيدية أقرب المذاهب الى أهل السنة وأقربهم الى الشيعة الحقيقتين لأنهم أجازوا خلافة أبي بكر وعمر ولم يطعنوا فيهما ، ولأنهم لم يدعوا ما ادعاه الامامية من أن الامامة خاصة لأولاد علي من فاطمة ، بل أجازوا كونها في سواهم اذا لم يقيم هؤلاء بطلبها ، ولأنهم اشترطوا في الامامة شروطا يوافقهم أهل السنة على أكثرها كالعلم والشجاعة . وكان من نتيجة موقف الزيدية هذا أن ضعف فريقهم لأن الغلاة لم يرضوا عنه ، وكان من نتيجته بالتالي أن سلم مذهب الزيدية أكثر من غيره من الفلو لأن الغلاة انفضوا عنه فلم يوثقوا بالوضع الكثير والاختلاق .

وهذه النتائج تحتاج الى مزيد من الايضاح : فلنسأل السؤال التالي : لماذا ضعف مذهب الزيدية ؟ وبالتالي لماذا سلم أكثر من غيره من الفلو والاختلاق ؟

للإجابة عن ذلك نعود فنذكر ما سبق أن أوردناه من أن الشيعة كانت الموئل الذي يلجأ اليه أعداء الاسلام وتحت ستر الشيعة

ظهرت ضلالات وبدع كثيرة ، وكان من نتيجة ذلك أن بعد عن الشيعة المخلصون للإسلام المحبون له لأنهم لم يريدوا أن ينتموا الى طائفة تؤله عليا أو تكفر الصحابة ... وهكذا وقف زيد بين بين ، فلم يكن له أتباع من غير الشيعة لأنه شيعي على كل حال ، ولم يترد المخلصون للإسلام أن ينتموا لمذهب شيعي ان لم يكن قد فسد فقد يفسد فيما بعد ولم يكن للزيدية كذلك أتباع من الغلاة ، ويفسر لنا الطبرى سبب ذلك فيروى أن رموس الشيعة اجتمعوا بزيد فقالوا له : ما قولك في أبى بكر وعمر ؟ قال زيد : رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعت أحدا من أهل بيتى يتبرأ منهما أو يقول فيهما الا خيرا ... وان أشد ما أقوله عنهما انا كنا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين ، وان القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا (١) ... ولم يرق ذلك الغلاة فتركوا زيدا وأدخلوا أنفسهم في امامة غيره ، وهكذا قل أتباع زيد ، اذ لم يكن فيهم الغلاة ولا غير الشيعة ، ولم يبق حوله الا المعتدلون أو الشيعة الحقيقيون وهم قليلون . وهذا قلل أتباع زيد ولكنه حفظ مذهب من الغلو .

ومن الأسباب التى أضعفت مذهب الزيدية وحفظته من الغلو أيضا ، أن زيدا اتجه الى الحرب وخاض غمارها ، ومدعو التشيع لم يكونوا محاربين قط ، انهم يريدون نشر أفكارهم ولا يريدون التضحية بدمائهم ، وكيف يضحون بدمائهم للدفاع عن تشيع لم يعتنقوه وانما ادعوه ، وهذا يفسر لنا كثيرا من أحداث التاريخ المتصلة بالشيعة : لماذا قالوا بالتقية ؟ ولماذا انفض أتباع على عنه ؟ ولماذا انفض أتباع الحسن عنه وهاجموه وسلبوا متاعه . ولماذا انفض أهل الكوفة عن مناصرة الحسين وتركوه يقتل ؟ .. والاجابة واحدة هي أن هؤلاء الناس لم يكونوا شيعة ولا أنصارا وانما ادعوا التشيع لغرض آخر كما ذكرنا ، فهم لا يدينون بولاء ولا حب لآل البيت . ومن ثم عصوهم ، وأسلموهم ، وقتلوهم أحيانا .

وعلم زيد وشجاعته حفظا مذهب الزيدية من الغلو أيضا ، وذلك لأن

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٥ ص ٤٩٨ .

زيدا. يدعو لنفسه وكان يشرح أفكاره ويكتبها فلم يدع لدعاة السيوف مجالا ، ولا فتح لهم الباب ليعبثوا في دعوته ويشوهوا آراءه .

على أن مذهب الزيدية دخله الفساد أحيانا ، يقول الشهرستاني (١) ومالت الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول ، وطعنت في الصحابة طعن الامامية ، ويقول عند الكلام على الجارودية احدى فرق الزيدية : « زعموا أن النبي ﷺ نص على علي رضي الله عنه بالوصف دون التسمية ، بأنه الامام بعده ، والناس قصرُوا حيث لم يتعرفوا الوصف ، ولم يطلبوا الموصوف ، وانما نصبوا أبا بكر باختيارهم ، فكفروا بذلك ، وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه زيد بن علي فإنه لم يعتقد هذا الاعتقاد » (٢) .

الاثنا عشرية :

الاثنا عشرية أشهر فرق الامامية وتتبعها ايران من الناحية الرسمية ، وينبعا كذلك أكثر شيعة العراق . والاثنا عشرية أقوى فرق الشيعة الموجودة الآن واذا أطلقت كلمة الشيعة فهم منها هذه الفرقة ، وهذه التسمية توحي بشيء ذي بال هو أن هذه الفرقة تكونت بعد منتصف القرن الثالث الهجري أى بعد أن أصبح الأئمة اثني عشر ، وبعد القول باختفاء محمد المهدي المنتظر سنة ٢٦٠ هـ .

والامامية أطول فرق الشيعة عمرا وأكثرها قوة ، وقد سميت هذه الفرق بالامامية لاهتمامهم بمسألة الامام ، وسيأتى تفصيل ذلك ، والاثنا عشرية أشهر فرق الامامية وأكثرها أتباعا ، وقد أصيبت الاثنا عشرية بالآراء الضالة أكثر مما أصيبت الزيدية ، ودخلها من تعاليم مدعى التشيع نصيب كبير وذلك للأسباب الآتية :

(أولا) طال عمر الاثني عشرية فطال اتصالها بطوائف مدعى التشيع

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٤٠ .

الذين تتابعوا يجمعهم هدف واحد وان اختلف الزمن ، ذلك الهدف هو الكيد للإسلام وافساد تعاليمه •

(ثانيا) الأئمة الاثنا عشرية كانوا أميل الى السلم ، والذي يستعرض تاريخ ثورات الشيعة بعد الحسين يجدها لا تتصل تقريبا بهولاء الأئمة ، وانما كان اتصالها بزيد بن علي ، وابنه يحيى ، وأولاد الحسن وغيرهم من آل البيت ، ويبدو أن السنة السلمية التي استنتها علي زين العابدين لما رآه من الأحوال عند مقتل أبيه وآل بيته ، قد عاشت في أولاده فمال أكثرهم الى حياة الدعة ، وحياة السلم هذه هي الحياة المحببة لمدعى التشيع ، فهم كما سبق القول لا يحبون اراقة دمائهم لدعوة شيعية لا يؤمنون بها •

(ثالثا) بدأ الوضع باسم الأئمة منذ العهد الأول كما سبق القول ، واختلط الشيعة بمدعى التشيع وتعاونوا معهم في بعض الأحيان ، وكانت النتيجة أن انسابت تعاليم مدعى التشيع بين الشيعة ، وبمرور الزمن ظهرت أجيال تلقت هذه التعاليم على أنها تعاليم شيعية حقيقية فدأوا بها وتحمسوا لها •

وعلى هذا اذا أردنا أن نكتب الآن مذهب الامامية الصافي قبل أن تمتد له يد الوضع وقبل أن تدخله تعاليم مدعى التشيع لو أردنا ذلك ما استطعنا ، لأن مذهب الإمامية أكثره موضوع أو كائنه ، فعناصره الهامة ليست شيعية على الاطلاق ، ومرجع هذا أن الامامة هي المشكلة الكبرى في مذهب الامامية ولذلك سمي بها المذهب ، مع أن هذه المشكلة موضوعة كلها فليست من الاسلام في شيء وقد أنكرها على رضى الله عنه نفسه ، يروى ابن عبد ربه أن عبد الله بن الكواء سأل عليا عما اذا كان الرسول عهد اليه فأجابه على : اللهم انى كنت أول من آمن به فلا أكون أول من كذب عليه ، لم يكن عندي عهد من رسول الله ﷺ ، ولو كان عندي

عهد^١ منه لما تركت أخا تيم وأخا عدي على منابرهما (١) . وقد سبق أن اقتبسنا من الشهر ستاني وهو يتحدث عن أمام من أعظم الأئمة الاثنى عشرية وهو الامام جعفر الصادق فيقول : ما تعرض للامامة قط ولا نازع أحدا في الخلافة قط (٢) . وسبق كذلك أن تحدثنا عن الزيدية ، ورأى زيد نحو الخلافة ، والشروط التي وضعها ، واقراره بصحة خلافة أبي بكر وعمر . . (٣)

فاذا قال الامامية برأى جديد في الامامة وشغلوا بها أنفسهم وجعلوها مركز اهتمامهم وتفكيرهم ، فهذا كله من وضع مدعى التشيع ، وقد بدأ ذلك بابن سبأ حيث كان « أول من أظهر القول بالنص بامامة علي وتلاه أتباعه والذين سلكوا مسلكه فنظموا هذا القول وجمعوا له الأدلة من هنا ومن هناك »

والآن ما هو موقفنا من الامامية ؟

الجواب عن ذلك أن السابقين الذين سماهم المتأخرون « الأئمة » لم يقولوا بالامامة على النسق الذي قال به هؤلاء المتأخرون كما سبق القول ، وكثيرا ما بايعوا سواهم للخلافة ، فأول الأئمة هو علي بن أبي طالب ، وقد بايع علي أبا بكر وعمر وعثمان ، وبايع الحسن والحسين معاوية ، وقد بايع علي زين العابدين يزيد ، ولم يكن هناك زمن هؤلاء حديث عن الامامة ، فلما مر الزمن ودخلت الترهات والأباطيل هذا المذهب ظهر حديث الامامة ، فاذا تحدثنا عن الامامة فانما نتحدث عن انحراف هذا المذهب الشيعي ، انحرافه عن رأى علي ورأى الأئمة الأول الى الوضع السائد الآن .

(١) المعتمد الفريد ج ٤ ، ص ٣٠٣ .

(٢) الملل والنحل ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٣) انظر ما سبق أن أوردناه عن الزيدية .

(٤) الملل والنحل ج ١ ، ص ١٥٥ .

إلى أي حد انخرقت هذه الجماعة ؟ وما هو الوضع السائد الآن ؟
 الجواب عن ذلك أن الانحراف كلن بعيدا جدا ، أو قل كان انتقالا
 لا انحرافا ، فأسلمه الحديث عن الإمامة ولم توجد الإمامة بهذا المعنى
 في حديث الأئمة الأول ، أما للوضع الذي خلقه مدعو التشيع فهو مشكلة
 الإمامة ، وأهم تصوير لها هو ما ذكره المجلسي في كتابه « حياة القلوب »
 والمجلسي من العلماء المتأخرين ، عاصر الدولة الصفوية (من أواخر القرن
 ١٥ إلى ١٧٧٧ م) التي اتخذت التشيع مذهبها رسميا لايران ، وفي كتاب
 « حياة القلوب » تفاصيل عن الإمامة لا توجد في سواءه ، والكتاب يتألف
 من يلين : الأول في ضرورة الإمام والمثاني يفسر آيات من القرآن يراها
 متصلة بالإمامة . وفصول الباب الأول تسعة هي :

- ١ — ضرورة الإمامة وبيان أن الزمان لا يخلو من امام .
- ٢ — عصمة الأئمة .
- ٣ — الإمامة ينص من الله والرسول ، وكل امام ينص على خلفه .
- ٤ — ضرورة الاعتراف بالإمام .
- ٥ — انكار امام واحد كلنكار الأئمة جميعا .
- ٦ — ضرورة طاعة الامام .
- ٧ — الاحداء لا يكون الا بامام .
- ٨ — للفقهاء : القرآن وأهل البيت .
- ٩ — في النص على الأئمة .

أما فصول الباب الثاني فاثنتان وأربعون وكلها تفسير لآيات يرى
 المجلسي أنها قرأت في الإمامة ، ويصير في تفسيرها على المنهج الشيعي
 بكثير من التكلف أحيانا ، ومن هذا الكتاب ومن سواءه من المراجع نستطيع
 أن نبرز أهم عناصر مذهب الإمامية عن الإمامة ، وهي :

أولا . الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الأمة ،
ويتعين القائم بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز
لنبي اغفالها ولا تفويضها الى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الامام لهم ،
وكل امام يعين خلته (١) . وليس في الدين والاسلام أمر أهم من تعيين
الامام ، فاذا عينه كانت مفارقتها للدنيا على اطمئنان قلب بأمر الأمة ،
فانه انما بعث لرح الخلاف وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة
ويتزكهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا ، ويسلك كل واحد منهم طريقا لا
يوافقه في ذلك غيره ، بل يجب أن يعين شخصا هو المرجوع اليه ، وينص
على واحد هو الموثوق به والمعول عليه (٢) .

ثانيا : ولما كان واجبا على النبي محمد أن يعين الامام الذي يقوم
بأمر المسلمين بعده فانه قد فعل ، وعين عليا وكان ذلك نصا ظاهرا ، وتعيينا ،
صادقا من غير تعريض بالوصف بل بتحديد تام ، وقد تم ذلك عند
غدير خم ، فان الرسول عندما وصل الى هذا المكان في طريقه الى المدينة
عائدا من حجة الوداع أمر بالدوحات فقممن وأمر مناديه فنادى : الصلاة
جامعة . ثم قال عليه السلام : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق
معه حيث دار ، اللهم قد بلغت (٣) ؟ (قالها ثلاثا) وقد تم ذلك التعيين بعد
أن نزل قوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم
تفعل فما بلغت رسالتك ، والله يعصمك من الناس (٤) » والمأمور بتبليغه على
تفسيرهم هو تعيين على ، فلما تم التعيين نزل قوله تعالى « اليوم أكملت

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٦٤ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٤٤ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٥ وهناك أدلة لهم مماثلة لهذا الدليل تجدها
في الشهرستاني وابن حزم ، وانظر قصة غدير خم في الجزء الأول من مسند
احمد (٨٤ ، ١١٨ ، ١٥٢) وفي عقيدة الشيعة لدوايت دونلدش ص ٢٢ .

(٤) سورة المائدة الآية ٧٠ .

لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » (١) ، وكمال الدين وتمام النعمة بناء على تفسيرهم هو هذا التعيين .

ثالثاً : تنحصر الامامة فى على وأبنائه من فاطمة : فهم أهل البيت والدوحة المباركة التى بها رضى الله عن الناس ، وليس لغير هؤلاء حق فى الإمامة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

تلك هى العناصر الأساسية لمذهب الامامة ، وهناك عناصر أخرى ليست أساسية وإنما تكميلية ، تسمى التعاليم وهى : العصمة والتقية والرجعة والمهدية ، ونتكلم عنها كلمة فيما يلى :

العصمة والتقية والرجعة والمهدية :

ويقصدون بالعصمة أن الأئمة معصومون من ارتكاب الصفات والكبائر ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان (٢) ، ويقصدون بالتقية ، أن يظهر الإنسان خلاف ما يُضْمَرُ ليحافظ على نفسه أو ماله أو عرضه، أما المهدية والرجعة فبينهما صلة ، ومعنى المهدية هى القول بامام مهدى منتظر يأتى للأرض فيملؤها عدلاً بعد أن تملأ جوراً ، وهذا المهدى هو الامام الثانى عشر الذى اختفى سنة ٢٦٠ هـ وسيرجع فيما بعد ، وبعضهم يقول برجعة على بن أبى طالب نفسه ، حدث عبد الله بن عباس قال : قرع اليوم على الباب رجلاً لما وضعت ثيابى للظهيرة ، فقلت : ما أتى به فى مثل هذا الحين الا أمر مهم ، أدخلوه . فلما دخل قال : متى يبعث هذا الرجل ؟ قلت : أى رجل ، قال على بن أبى طالب . قلت : لا يبعث حتى يبعث الله مَنْ فى القبور ، قال : وانك لتقول بقول هذه الجهلة . قلت : أخرجوه عنى لعنه الله (٣) . وكان كثير عزة يثبت الغيبة والرجعة وربما المهدية أيضاً لمحمد بن الحنفية وفى ذلك يقول :

(١) سورة المائدة الآية ٤ .

(٢) انظر تفاسيل كائبة عن مبدأ العصمة فى عقيدة الشيعة ص ٣

وما بعدها .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٥٨ .

الا أن الأئمة من قریش
ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيهم
هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر
وسبط غيثة كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى
يقود الخيل يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده غسل وماء

وفي تحفة الزائرين للمجلسي وصف دقيق للصلة بين الامام الغائب
وأتباعه فهو يظهر لبعضهم ويكتب الآخرين ، ويتلقى رقعاً أتباعه وينظر
فيها ، ويذكر المجلسي أن المرید يكتب حاجته في رقعة ويجعل عنوانها الى
صاحب الزمان ويقفلها ويختتمها ويلقيها في البحر أو في بئر عميقة فانها
تصل الى الامام (١) .

ولسنا في حاجة للرد على هذه الأسس وتلك التعاليم ، فليست من
الاسلام في شيء ، وليست الا صدى لديانات ومذاهب أخرى غير الاسلام
أشرنا اليها فيما سبق (٢) ، وقد أنكرها جعفر الصادق وبريء منها
وممن يقول بها (٣) .

وقد قلنا من قبل أن تأثر الاثنى عشرية بأفكار مدعى التشيع كان
أكثر من تأثر الزيدية ، وأقل من تأثر الاسماعيلية ، وقد اتضح لنا من

(١) تحفة الزائرين ص ٢٩٦ .

(٢) انظر ما أوضحناه في اول حديثنا عن الشيعة وانظر كذلك « آل محمد
في كربلاء » للأستاذ عمر ابو النصر ص ٥ - ٦ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١١٧ .

الكلام عن الاثنى عشرية أنهم كانوا أكثر تأثرا من الزيدية ، فموضوع الامامة والعصمة والتقية والرجعة والمهدية كلها موضوعات غريبة على التفكير الاسلامي قال بها الاثنا عشرية ولم يقل الزيدية بها ، وسنرى فيما بعد أن الاثنى عشرية لم يصلوا في تأثرهم الى حد تأثر الاسماعيلية ، فسنرى الاسماعيلية يقولون في الباري : إنا لا نقول إنه موجود أو لا موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، كما ستراهم يرون الصوم هو الامساك عن افشاء سر الامام وأن الحج هو زيارته : الى غير ذلك مما بلغ أقصى الحدود في التأثير بالأفكار الهدامة .

بقيت كلمة تتصل بالزيدية والاثنى عشرية في العهد الحاضر ، وهي أن الدراسات الحديثة والأبحاث العلمية كشفت اللثام عن كثير من هذه الأباطيل التي سردنا جزءا منها ، ومن أجل هذا نجد جماهير المثقفين التابعين لهذين المذهبين يقربون كثيرا من الشيعة الصحيحة ، وبالتالي يقربون من أهل السنة ، وكما قرب هؤلاء من أهل السنة فإن أهل السنة كذلك قربوا منهم فبدعوا يدرسون فقههم ويقتبسون منه ، كما أخذوا جميعا يتبادلون الأفكار فيما يوحد أو يقرب بين طوائف المسلمين ، وإذا كان هذا هو شأن المثقفين من الزيدية والاثنى عشرية ، فأننا نقرر مع الأسف أن غير المثقفين منهم لا يزالون في ظلام حالك انحدر اليهم وبخاصة الى الاثنى عشرية من العصور السابقة ، ولا يزال موجودا حتى الآن ، وقد رأيت بنفسى صورا من هذا الظلام خلال العادات ، والتقاليد السائدة في العراق وايران ابان زيارتي لهذين القطرين .

الاسماعيلية :

الاسماعيلية تنسب نفسها الى الامامية ، وتتفق مع الاثنى عشرية في تحديد الأئمة الستة الأول من أئمة الاثنى عشرية ، وبعد جعفر الصادق يرون أن الامامة انتقلت لا الى ابنه موسى الكاظم كما يقول الاثنا عشرية ، بل الى ابنه اسماعيل ، ولذلك يسمون الاسماعيلية .

ويختفى أئمة الاسماعيلية من الظهور بعد اسماعيل ولا يظهر الا دعائهم ، ولذلك يسمى الأئمة هنا « الأئمة المستوزون » ثم يعودون للظهور حينما يقوى شأنهم في شمالى افريقية سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩ م) ثم ينحدرون الى مصر فيكونون الدولة الفاطمية سنة ٣٥٦ هـ .

والاسماعيلية أكثر من الزيدية والاثنى عشرية تأثرا بضلالات مدعى التشيع لسبب واضح جدا هو استتارهم ، ففي فترة الاستتار وَجَدَ مدعو التشيع — وفيهم عناصر يهودية — الفرصة سانحة ليتسلطوا على أتباع هذا المذهب فينشروا بينهم ضلالاتهم ، فلما ظهر الاسماعيلية بعد ذلك كان مذهبهم مشوبا بكثير من الضلالات .

وأسهر أئمتهم الباطنية ، وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا ولهم ألقاب كثيرة تختلف باختلاف الجهات ، فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية ، وفي خراسان يسمون التعليمية والملاحدة . يقولون : نحن اسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص (١) .

ومن الواضح أن الاسماعيلية انفصلوا عن الاثنى عشرية بعد جعفر ، ولذلك فليس لهم ماض مستقل ، واذا كان أظهر الشيعة وأقربهم الى تفكير على رضى الله عنه هم قدماء الشيعة ، فان الاسماعيلية تأخر بهم العهد وبدعوا بعد ما انتشرت الضلالات وكثرت الأباطيل .

وبين أيدينا الآن « أربع رسائل اسماعيلية » كتبها أربعة من عليّة الدعاة الاسماعيليين ، ونشرها حديثا باحث اسماعيلي اسمه « عارف تامر » مقدما لها بمقدمة طويلة ، وهذه الرسائل كانت ضمن الذخيرة السرية للاسماعيلية ، ولم يسمح بنشرها الا في العصر الحديث وبجراة لم يتحدها الاسماعيليون ، وهى كما يقول الناشر « تغذى جمهور الراغبين

في الاطلاع على الفلسفة الاسماعيلية « (١) وسنعمد على هذه الرسائل —
بالاضافة الى بعض مخطوطات وابحاث وكتب أخرى — لتصوير المذهب
الاسماعيلي .

وأول ما تبرزه هذه الرسائل هو مكانة الامام وهم يسمونه « القائم »
أو « صاحب الزمان » ويعدونه في أولى العزم من الأنبياء النطقاء وعدد
الأنبياء النطقاء المشرعين عند الاسماعيلية سبعة ، هم آدم ونوح وابراهيم
وموسى وعيسى ومحمد والقائم ، ويرون أن لكل نبي « أساسا » أى عمادا
يعتمد عليه في تبليغ رسالته ، والأسس عندهم سبعة : شيت لعيسى :
وعلى لمحمد ، أما أساس « القائم » فيقول عنه الناشر « أننا لا يمكننا
اذاعة اسمه حرصا على سرية المعتقدات » (٢) .

ولكل واحد من هؤلاء السبعة يوم من أيام الأسبوع فأقدم صاحب
يوم الأحد ، ونوح صاحب يوم الاثنين ، وابراهيم صاحب يوم الثلاثاء ،
وموسى صاحب يوم الأربعاء ، وعيسى صاحب يوم الخميس ، ومحمد
صاحب يوم الجمعة ، ثم يهتف الداعى الفاطمى أحمد حميد الله الكرمانى
صاحب رسالة « أسبوع دور الستر » احدى رسائل هذه المجموعة قائلا
عن صاحب يوم السبت : أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما
يشركون ، قد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، واستقر
الوقت لصاحب يوم السبت ، القائم فى الأرض مقام العقل فى عالمه ، محط
رحال حملة النور فى سالف الدهور ، مقصد الراحة ، وعنده تكون
الاستراحة ، ذو الكلمة المصونة ، والجوهرة المكنونة .

تأنس للخلق لکنه

تنزه عن كل لحم ودم

(١) عارف تامر : أربع رسائل إسماعيلية ص ١٩ .

(٢) عارف تامر : أربع رسائل إسماعيلية ص ٦٦ .

وعنه غدا تظهر المجزات
ويظهر من أمره ما كنتم
وتملأ به الأرض عدلا كما
تمادى بها قبل جور وظلم
وعما قليل يزول العناء
ويكمل دين به قد ختم
وينجز وعده الله السماء
وتظهر أنواره للأمم (١)

وعن هذا القائم يقول شهاب الدين أبو فراس صاحب رسالة « مطامع
الشموس في معرفة النفوس » اخذ رسائل هذه المجموعة أيضا ما يلي :
« والامام علة المخترعات وحياة الكل ، وبه ترتب الخلق والدين ، وهو
موجود غير مفقود ، لا يدركه الزمان ولا يدخل تحت حوادث الأيام ، وهو
نور سابح في الملكوت الأول ، أبدع الله به النعمود الروحانية ، واخترع
الهيكل الجرمانية ، وخلق الأشخاص الانسانية فاذا فرغت مدته وحان
وقته انتقل هذا الأمر الى شخص آخر من ذريته ، وهو الذي ينص عليه
ويشير اليه ، فاعلم ذلك يا أخى وتأمله تجد مطلوبك وقصدك وسبب
نجاتك (٢) » .

ويقول شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطبى صاحب رسالة
« الدستور ودعوة المؤمنين للحضور » ثالث رسائل هذه المجموعة
ما يلي عن صاحب الزمان : والصلاة والسلام والتحية والاكرام لذكرى
مولانا امام الزمان ، نقطة دائرة الوجود والأديان ، وقبله أهل الايمان ،
والطريق الواضح للجنان ، والثابت وجوده بالحجج والبرهان ، حقيقة
الحقائق ، نهاية الطرائق ، وغاية مقصد الخلائق ، وعلة وجود السابق

(١) المرجع السابق ص ١١ .

(٢) عارف تامر : أربع رسائل اسماعيلية ص ٩٩ .

واللاحق ، حبلى الله المتين ، ونورزه المبين ، وحققه اليقين وكتابه المستبين ،
وظله الممدود ، وحوضه المورود ، ولوائه المعقود (١) .

والعمل من غير معرفة الامام وهديه لا يفيد :

ولولا الدليل واحسانه

لكانت لطائفنا فى العدم (٢)

والصلاة فى الحقيقة هى للأئمة ، ومن طبيعتهم أن يظهروا أحيانا
وأن يستتروا أحيانا أخرى :

وهم القصد فى الصلاة فلولا

ذكرهم لم يكن عشاء وظهر

قبلة العالمين فى كل دور

ولهم فى السور، ظهور وستر (٣)

ومن الصفات التى يصفونها على الأئمة ما ذكره عامر البصرى فى
الرسالة الرابعة من هذه المجموعة وعنوانها « القصيدة التائية » ونقتطف
منها الأبيات التالية منبهين الى ما فى الشعر من ركابة وأخطاء عروضية
ونحوية :

بكل زمان فرد ذات بمظهر

بشكل ورسم فيه سر الامامة

يروه كمثلى الجنس منهم مدائيا

ولكن تدانيه الى الجنس رحمة

(١) المرجع السابق ص ٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥ .

له الكون طوعا والزمان بأمره
وليس سواء ظاهرا بالخلقة

هو الحق والتحقيق في كل مظهر
وفي كل عصر يستجد بصورة (١)

تلك صور من انحرافات الاسماعيلية ، ولكن هذه الانحرافات تصل
الى قمته في مسألة التأويلات ، وقد وضحتها رسالة « الدستور » ودعوة
المؤمنين للحضور « للداعي الأجل شمس الدين بن يعقوب الطيبي وهي
احدى رسائل هذه المجموعة ، ولعل هذه الرسالة خير مرجع لايضاح
تأويلات الاسماعيلية .

ويقول مؤلف هذه الرسالة : اعتصمت بذى العزة والجبروت ،
وتحصنت بمالك الملك والملكوت ، وتوكلت على الحى الذى لا يموت ، الهنا
واله مبادئنا ، وأعترف ألا ظاهر الا وله باطن ، ولا صورة الا ولها معنى
كامل ، ولا قشر الا له لب ، ولا مدينة الا ولها باب ، ولا نور الا وله
حجاب ، ولا شريعة الا ولها طريقة ، ولا طريقة الا ولها حقيقة ولا حقيقة
الا ولها تنزيل ، ولا تنزيل الا وله تأويل (٢) .

وبعد هذه المقدمة التى يثبت بها المؤلف أن لكل ظاهر باطنا ولكل
تنزيل تأويلا ، يسرد مجموعة فذة من التأويلات العجيبة نقتبس منها
بعض نماذج !

الله : تأويل الكلمة

النبوة والرسالة : ظهور الكلمة بالحجاب وتنصيب الدليل والمرشد
والباب الى منهج الحق وطريق الصواب .

(١) عارف تامر : اربع رسائل اسماعيلية ص ٩٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١١١ .

| | |
|---------------------|--|
| القيامة | : قيام النفوس الجزئية بالمفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسدانية ، وقيام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان • |
| الحلال | : الواجب اظهاره واعلانه • |
| الحرام | : الواجب ستره وكتمانه • |
| الطاعة | : الدخول في عهد امام الزمان • |
| المعصية | : الميل الى ائمة الضلال والعدوان • |
| الصلاة | : صلة الداعي وموالاته الامام • |
| الزكاة | : ايصال الحكمة الى المستحق وارشاد الطالب الى منهج الحق • |
| الصوم | : الامساك عن افشاء سر الامام • |
| الحج | : القصد الى صحبة السادة الأئمة من آل البيت • |
| الاحرام | : الخروج من مذهب الأضداد • |
| النحر والخلق | : ازالة الباطل لاطهار الحق • |
| التماس الحجر الأسود | : قبول الدعوة من الناطق • |
| الربا | : الرغبة في الاكثار وطلب الحطام بافشاء الأسرار • |
| الفحشاء | : ذكر المحامد للطغاة المتبردين ونسبة المحاسن لأهل العناد المعتدين • |
| البغي | : تقديم الفضول على الفاضل • |
| الاحسان | : العلم باحاطة الامام وقدرته على ما بطن وظهر وتجلي واستتر • |

أبناء ذى القربى : محبة الرسول وولاية أولاد البتول وتنصيب
الهاشميين والقول بأمامة الإمامة الفاطمية .

الظلم : وضع الإمامة في غير آل محمد (١) .

هذا طرف من التأويلات التي أوردتها هذا الداعي ، وبناء على
مذهب الاسماعيلية تسقط العبادة عن عرف هذه التأويلات ، ويصح
الاسماعيلية لذلك بقوله تعالى « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (٢) أي
المعرفة التامة والتأويل (٣) .

ويختتم هذا الداعي سلسلة التأويلات الطويلة التي أوردتها بقوله :
هذا تأويل اعتقادي في الدين ، وخلاصة اجتهادي في تحصيل علم اليقين
وهو دين الرسول الكريم ، وحلة أبناء ابراهيم الخليل ، ومذهب النبي
العظيم ، وعقيدة أهل البيت القويم ، فمن بدله بعد ما سمعه فأنما أثمه
على الذنب يبدلونه ، ان الله سميع عليم (٤) .

ويقول الشهرستاني ان الاسماعيلية خاطوا كلامهم ببعض كلام
الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على هذا المنهج ، فقالوا في الباري جل وعلا :
انا لا نقول هو موجود ولا موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا
عاجز (٥) .

وينسب للاسماعيلية الحسن بن محمد بن الصباح صاحب قامعة
« الموت » وقد اشتهر هو وأتباعه بالاعتقال والقتل ، وكانت تعليمه ذات
درجات متفاوتة تبدأ بالمشيئة وتنتهي بالكفر والتقرب الى الله بقتل
المسلمين .

-
- (١) عرفت تلمر : أربع رسائل اسماعيلية من ١٢ — ١٧ والمثل والنظير
للشهرستاني القسم الأول من ١٧٢ .
(٢) سورة الحجر الآية ٩٩ .
(٣) محمود الشيباني : الطرق الإسلامية من ٦٠ .
(٤) أربع رسائل اسماعيلية من ١٧ .
(٥) المثل والنظير ج ١ من ١٧٢ .

ومن الواضح أن فرقة تسير على هذا الوضع ليست من الاسلام في شيء ، ولا تنبع مبادئها من روح الاسلام ، وليس لها من التشيع الا الاسم الذى ادعاه أتباعها ليستروا به هذه الضلالات (١) .

بقى أن نقول كلمة هامة نفرق بها بين الفاطمية وهم شعبة من الإسماعيلية وبين الإسماعيلية ، وتلك الكلمة لا تتصل بالنسب فذلك أمر ندعه الآن لنتاوله بالحديث عند الكلام عن الفاطميين في الجزء الرابع من هذا الموسوعة ، ولكنها تتصل بالمبادئ ، فقد كان الاسماعيلية أميل للزيف والضلال ، فلما تولدت عنها الدولة الفاطمية ، وظهرت هذه الأسرة للنور بعد أن عاش الاسماعيلية في الظلام عشرات السنين ، واستطاعت الدولة الفاطمية أن تحكم مصر ، لما تم ذلك اضطر الفاطميون أن يقللوا من غلوئهم ببعض الشيء ليضمنوا ولاء الناس لهم ، وليستطيعوا أن ينالوا لونا من الاستقرار ، فلم تعد الصلاة موالاة الامام ، ولم يعد الحج زيارته ، ولا صار الصوم الامساك على افشاء سره ، وانما اختفى هذا التأويل ، وظهرت هذه العبادات على حقيقتها كما يراها المسلمون ، ولعل الفاطميين قصدوا بذلك أن يقابلوا المصريين بمبادئ يمكن نشرها ، اذ وضح أنه من غير الممكن أن تعيش في النور تلك التعاليم التي ولدت في الظلام ، وأنه من غير الممكن كذلك أن تدين جماهير المصريين والسوريين لأفكار الاسماعيلية ، وكان ذلك أشبه بعصابات البرابرة والتتار التي هبطت تريد محق الحضارات ولكن الحضارات تغلبت عليها وأخضعتها لها ان لم يكن تماما فبعض الشيء . ويتضح ذلك كل الوضوح من مطالعة أهم المصادر الاسماعيلية التي دونت في العهد الفاطمي مثل دعائم الاسلام ، وتأويل دعائم الاسلام ، والمجالس المؤيدية ، والمجالس الستنصرية والمجالس والمسامرات ، فان ما في هذه المراجع ان بعد عن آراء المسلمين فان الشقة ليست واسعة . وفيما يلي نموذجان من هذه المصادر :

١ - من المجلس المباشر من الجزء الرابع من تأويل دعائم الاسلام .

(درس من داعي الدعاة للدعاة)

قال النعمان داعي الدعاة : قال رسول الله ﷺ صَلُّوا صِفُوفَكُمْ وحاذوا بين منابحكم فتعديل الصفوف وسد ما فيها من الفرج من واجب الصلاة ، ومثل ذلك في الباطن اعتدال أهل الدرجات في دعوة الحق على درجاتهم وحدودهم التي حددت لهم ، لا يتجاوز أحد منهم حده الى غيره ، ومن رأى منهم خلا فليجتهد في سده (١) .

٢ - من المجلس التاسع من المائة الثانية من المجالس المؤيد به .

(درس للعمامة)

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى أخيه وابن عمه على بن أبي طالب البرزخ بين البحرين : العذب الفرات والمالح الأبحاج ، وعلى الأئمة من ذريته هداة من ذرأ الله من خلقه والمتمين كلمة عدله وصدقته ، أيها المؤمنون صلوا ما أمر الله به أن يوصل بقوله « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (٢) ، فأولوا الأمر هم الأئمة (٣) .

ومن الواضح أنه ليس معنى هذا اختفاء المذهب الاسماعيلي في عهد الفاطميين ، ولكن المقصود هو قربه من الاعتدال وتجاوزه عن الضلالات الصارخة التي قال بها أكثر الاسماعيلية . وقد بقيت مبادئ الاسماعيلية يدعى لها في شيء من الخفاء كما حدث في رسالة حميد الدين بن عبد الله الكرمانى داعي الحاكم بأمر الله ، كما ترك لشعراء الفاطميين أن يعلنوا عن هذه المبادئ في شعرهم ، ولم يكن الشعراء يلاقون الحرج الذي

(١) المجلس كله في تأويل دعائم الاسلام ١٧٢ ب — ١٧٥ ب .

(٢) سورة النساء الآية ٥٩ .

(٣) المجلس كله في المجالس المؤيدية وجه الورقة ١٩ الى ظهر الورقة ٢١ .

يلاقية العلماء ، فالعلماء بطبيعتهم أكثر تحفظا من الشعراء ، ثم ان العلماء يلقون دروسهم الى طلاب لهم جانب ثقافى ولهم صلة بالتفكير الاسلامى ، ولا شك أنهم سينفرون من هذه الدراسات لو شطت وبالغت فى الغلو ، ولكن الشعراء يلقون شعرهم الى العامة وليس للعامة ثقافة الطلاب بطبيعة الحال .

أضف الى ذلك أن من طبيعة الشعر المبالغة بل الكذب أحيانا ، وليس ذلك من طبيعة العلم ، فالشعر يبنى على الخيال وأعذبه أكذبه كما يقولون ، أما العلم فيبنى على الحقائق ، وطبيعته الدقة والصدق ، ومن النماذج الشعرية التى حملت بعض تعاليم الاسماعيلية قول ابن هانىء عن الخليفة الفاطمى :

وَلله عَلم لَيس يَجب دُونَكم
ولَكنه عَن سائرِ الناسِ مَحبوب

حَل بِرِقادةِ المَسيح
حَل بِها آدم ونوح

حَل بِها الله ذو المَعالى
وكل شىء سِواه رِيح

ما أَجزلَ الله ذَخرى قَبْل رَؤيتِه
ولا اَنتَفعت بِايمان وتَوحيد (١)

وقول الأمير تميم يمدح الخليفة :

يا ابنِ الأئمّة والهادين متصلا
بصفوةِ الله أَهلِ الوَحى والسور

(١) انظر ديوان ابن هانىء ص ٧ و ٢٦ و ٣٠ .

ما أنت دون ملك المسلمين سوى
روح من القدس في جسم من البشر (١)
ومن شعر المؤيد في الدين قوله يمدح الخليفة أيضا :
فوجهك وجه الاله المنير
ونورك من نوره كالحجاب
يداك يدا الله مبسوطتان
وأنت له الجنب دون ارتياب
وأنت المنيب لأهل الثواب
وأنت المعاقب لأهل العقاب (٢)

واختلفت الاسماعيلية مرة أخرى من عالم النور بسقوط الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) وعادت الاسماعيلية الى عالم الظلام ، وطال اختفاؤها هذه المرة ، وظرت بالعالم الاسلامي يقظة في عهد السلاجقة والإبويين وساد مذهب أهل السنة ، وظن الناس أن الاسماعيلية اختفت الى الأبد ولكن ظهر أن للاسماعيلية قوى لا تزال تتحرك وتعمل ، ففي العصر الحديث جهد الاستعمار الأوربي ليجد أسلحة يقاوم بها الاسلام ويسيطر على المسلمين ، ويبدو أن الاسماعيلية كانوا أحد هذه الأسلحة فاذا بامام اسماعيلي يظهر من جديد ، يساعد الانجليز ويساعده الانجليز يتيح له الانجليز أن ينشر مذهبه بين مسلمي مستعمراتهم ، ويضمن لهم هو أن يخضع أتباعه لهم ، وأشهر أئمتهم المحدثين أغاخان ، وهو من نسل النسنس بن محمد بن الصباح سالف الذكر ، وكان صاحب خيل وغنى وأرستقراطية رفيعة ، ولم يكن أغاخان عند أتباعه موضع نقد ، وقد مات حديثا بعد أن عين حفيده الشاب الأمريكى ليكون اماما لهذه الطائفة ، وهذا الامام هو ابن على خان الشهير ، وهو سر أبيه وجده .

(١) ديوان الأمير تميم : نسخة خطبة بمكتبة المرحوم الاستاذ الدكتور كامل حسين ص ٥١ .

(٢) ديوان المؤيد في الدين ص ٤٣١ — ٢٣٢ .

وعن طريق الدعوة الاسماعيلية الجديدة انتشر الاسلام في افريقية ويوجد كثير من الاسماعيلية في الهند وقلة منهم في سوريا •

واذ كنا من قبل قد قلنا أن الدراسات الحديثة قربت بين الاثنى عشرية والزيدية وبين أهل السنة ، فإن الاسماعيلية الحديثة ظلت في طريقها لم تلتق بأخواتها ولم تتعاون مع هذه الفرق في حقل الدراسات الاسلامية أو في حقل المستقبل السياسى للأمم الاسلامية حتى الآن ، ولكنى على يقين من أن يوما سيجىء حيث ينجذب كثيرون من رجال هذه الطائفة الى رحبة الاسلام الصحيح ، أو قل ان ما وصل لهم هو الاسلام الموجه وجهة معينة خاطئة ، أما العقيدة الاسلامية التى وصلتهم فستبقى وستمتد جذورها وتورق أغصانها ، وأما هذا التوجيه الخاطىء فسينمى ويزول ، وما أجمل أن يحطم هؤلاء الاسماعيليون هذا الحاجز الصناعى الذى يحول بينهم وبين اخوانهم المسلمين ، وأن يلتقوا بهم متعاونين متساندين لخدمة الدين الذى يجمعهم والعقيدة التى تضم شملهم ، وما أجمل أن يعرف هؤلاء الاسماعيليون أصدقاءهم الحقيقيين وأعداءهم الحقيقيين ، وأن يتعاون الكل لما فيه مصلحة الجميع ، ذلك يوم لا شك آت وأغلب الظن أنه قريب •

على أن الوصول الى هذا يحتاج الى جهد من جانب المسلمين ليقدموا دعوة الاسلام الصافية الى هؤلاء الذين يحاول قادتهم أن يضلوه ، وقد جمعتنى الظروف وأنا طالب بجامعة كمبردج بمهندس من مسلمى افريقية الذين ينتمون الى طائفة الاسماعيلية ، وتحدثنا عدة مرات عن الاسلام ودعوته وأهدافه ، وأشهد لقد كانت استجابته أسرع مما توقعت ، وسرعان ما رأيته مسلما فقط بعد أن كان مسلما اسماعيليا ، ولقد كان فرحى بهذا الانتقال عظيما ، ولكن فرحه كان أعظم ، وسرعان ما أصبح الأغاخان جديرا بالنقد والنقد المبرر ، بعد أن كان مقدسا لا يسأل عما يفعل ، ولقد وعد الصديق المهندس أن ينشر هذه الدعوة بين آله ومواطنيه ، وأرجو أن يكون قد فعل ، وإن كانت حالته وثقافته الدينية قد لا تساعدانه على الوقوف أمام دعاة الاسماعيلية وما فى أيديهم من أسلحة مالية وجدلية •

ثورات الشيعة

ثورات الشيعة في خلال العهد الأموي كانت ثورات متصلة متشابهة البواعث متشابهة الأهداف ، فبواعثها كراهية الأمويين ، وأهدافها اسقاطهم : وحركات الشيعة الثورية وثيقة الصلة بحركات الشيعة الفكرية ، فقد انضم مدعو التشيع للشيعة في تفكيرهم فأفسدوا أفكارهم كما سبق القول ، وكذلك انضم مدعو التشيع للشيعة في ثوراتهم فأفسدوا خططهم ، فالباحث المدقق يرى أن هدف مدعى التشيع في ثوراتهم لم يكن فقط اسقاط الأمويين بل اضعاف المسلمين جميعا وتقليل أظافرهم ، ومن أجل ذلك كانوا ينهزمون أو يصطنعون الهزيمة ، وهم من أجل ذلك أحيانا يقتلون زعيمهم الشيعي بأنفسهم ، يكونون معه ويدفعونه للثورة فإذا استجاب انقلبوا عليه وقتلوه ، وقد حاول الفرزدق الشاعر المشهور أن يعبر عن ذلك للحسين فقال له عن أهل الكوفة : « قلوبهم معك وسيوفهم عليك » (١) ونقول للفرزدق إن قلوبهم خائنة. كسيوفهم ليست مع الحسين ولا مع المسلمين ، وبتلك السيوف قُتِلَ بعض الشيعة وكبارهم .

لقد كان أهل الكوفة يستجيبون لكل نداء للثورة حتى ليجد الباحث ثورات متصلة دون أن يجد لها سببا معقولا ، كأن الثورات أصبحت هدفا لذاتها ، واضطراب الأمن أصبح مقصودا لذاته ، وسنجد جولة نذكر فيها ثورات الشيعة في العهد الأموي منبهين أننا لن نكرر ذكر الشيعة ومدعى التشيع فذلك أساس حديثنا وهو مقصودنا ، ذكرناه أو اكتفينا بكلمة الشيعة عن هذا التعبير الطويل .

الحسين بن علي :

ذكرنا سابقا أن الحسين بن علي كان ضمن القلائد الذين لم يبايعوا

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٩٠

ليزيد في حياة معاوية ، ولذلك وجد الحسين نفسه في حل من الخروج على يزيد بعد وفاة معاوية ، وقصة خروج الحسين ، ودعوة أهل الكوفة له ، وارساله ابن عمه مسلم بن عقيل وما تلا ذلك حتى مقتل الحسين ، قصة تذكرها المراجع الكثيرة التي بأيدينا بتفصيل كامل لا يدع حركة ولا يترك همسة دون تدوين (١) ، وسنوجز ذلك من مجموعة هذه الكتب .

تحركات الحسين عقب وفاة معاوية :

كان الحسين بالمدينة عند وفاة معاوية ، وكان أهم ما يريده يزيد أن تنتم له بيعة الحسين ، فهو زعيم المعارضين غير مدافع ، فأرسل الى والى المدينة يطلب منه أخذ البيعة له من الحسين وصحبه ، وكان والى هو الوليد بن عتبة بن أبى سفيان (٢) ، فاستدعى الوليد الحسين وطلب منه البيعة، فقال له الحسين : أَخَّرْنِي وارْفُقْ . فأخره فخرج الحسين الى مكة من ليلته ومعه نساؤه وأهل بيته (٣) ، وفي مكة تلقى الحسين رسائل متعددة من أهل الكوفة يدعونه للسير اليهم ويعدونه بالبيعة له ، ومن أهم هذه الكتب كتاب من سليمان بن صرد ورفاعة بن شداد وشيعتهما من أهل الكوفة ، ونصه هو :

للعسين بن على من سليمان بن صرد ورفاعة بن شداد وشيعتهما من المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة . أما بعد فالحمد لله الذى قصم عدوك الجبار العنيد الذى اعتدى على هذه الأمة فانتزعها حقوقها ، وغصبها أمورها ، وغلبها على فيئها ، وتأمّر عليها على غير رضى منها ،

(١) يعتبر الطبرى من أهم هذه المراجع وقد ذكر هذه القصة في أكثر من مائة صفحة (انظر الجزء الرابع ص ٢٥٧ - ٣٦٠) .

(٢) هذه رواية الطبرى ج ٤ ص ٢٥٧ ، ويقول ابن قتيبة ان والى المدينة انذاك كان خالد بن الحكم (انظر الامامة والسياسة ج ١ ص ١٩٥) .

(٣) عمر ابو النضر : ال محمد فى كربلاء ص ٦٣ .

ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ، فبعدها له كما بعدت ثمود ، انه ليس علينا امام ، فاقدم علينا لعل الله يجمعنا بك على الهدى ، فان النعمان ابن بشير في قصر الامارة ، ولسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا مخرجك أخرجناه من الكوفة وألحقناه بالشام (١) .

وتلقى الحسين خطابات أخرى كثيرة بهذا المعنى من جماعات الكوفة بلغت عدة مئات ، ومن هذه الخطابات خطاب يقول له : ان معك مائة ألف كاملى العدة والسلاح (٢) ، فاختر الحسين مسلم بن عقيل بن أبى طالب وقال له : سر الى الكوفة فانظر ما كتبوا به الى فان كان حقاً خرجنا اليهم ، فخرج مسلم حتى أتى الكوفة فالتف حوله الناس وبايعوه للحسين وظهر له النصر ، فأرسل للحسين بذلك وطلب منه الحضور .

وأدرك يزيد أن الكوفة لا بد أن تؤخذ بالشدّة ، وأن النعمان بن بشير لا يصلح لقيادة الكوفة في ذلك الوقت الخطير ، فعزله وولى عليها رجلاً باع دينه بدنياه ذلك هو عبيد الله بن زياد والى البصرة الذى ضم له الخليفة الكوفة فأصبح بذلك أمير البلدين ، وهى ثقة تدفعه أن يرتكب الصعاب ليثبت أنه بذلك جدير .

وسار عبيد الله الى الكوفة . وسارع يطلب مسلم بن عقيل ، وسرعان ما وجد مسلم نفسه وحيداً وانقضت من حوله الآلاف الاثنا عشر التى بايعته منذ أيام ، حتى ليرى الطبرى أنه لم يجد مأوى يأوى اليه ، فلجأ الى بيت هانىء بن عروة أحد زعماء الكوفة يطلب الحماية ، وعرف عبيد الله ذلك فأرسل الى هانىء فجاءه فقبض عليه ، وألقى القبض على مسلم ، وجيء به أيضاً الى عبيد الله دون أن ينصره أحد ، وفي القصر قتل مسلم وألقى جثمانه الى الناس ، وأما هانىء فسحب الى الكناسة حيث قتل هناك وصلب (٣) .

(١) الامامة والسياسة ج ٢ ص ٣ والطبرى ٤ : ٢٦١ .

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٢٩٤ .

(٣) الطبرى ج ٤ ص ٢٦٠ .

وفي تلك الأثناء كان الحسين يفكر في اللحاق بمسلم ولم يكن يعلم ما جرى له ، فكان الحسين يستشير الناس فيشيرون عليه ، وكان من الناس من يقدم مشورته ونصحه دون أن يستشار ، وظهر اتجاهان يمثل عبد الله بن الزبير أحدهما ويمثل عبد الله بن العباس الاتجاه الثاني ، فقد كان ابن الزبير يدرك أن أهل الحجاز لا يبايعون له ولا يتابعونه أبدا ما دام الحسين بينهم ، فان الحسين أعظم في أعينهم وأنفسهم منه وأطوع في الناس (١) ، ولذلك جاء ابن الزبير الى الحسين فحدثه ساعة وقال له : ما أدري ما تتركنا هؤلاء القوم (بنى أمية) وكفطنا عنهم ونحى أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم ، خبرني ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حدثت نفسي باتيان الكوفة ، ولقد كتب الى شيعتي بها وأشراف أهلها . فقال ابن الزبير : أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها . وكان الحسين يدرك أن ابن الزبير يخدعه ويدفعه للخروج ليخلو له الجو ، ولذلك قال الحسين بعد خروج ابن الزبير : ان هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب اليه من أن أخرج من الحجاز الى العراق (٢) .

أما ابن عباس فقد هتف بالحسين قائلاً : ان أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم ، أقم بهذا البلد فانك سيد أهل الحجاز ولولا أن يرزأ بي أو بك لتشبثت بيدي في رأسك . قال ابن عباس : ولكن الحسين أجابني بقوله : لان أقتل بمكان كذا وكذا أحب الى من أن تستحل حرمة مكة بي . فكان ذلك الذي سلا نفسي عنه (٣) وحينئذ قلت له : فان أبيت الا الخروج فسر الى اليمن فان فيها حصونا وشعابا، وهي أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة وأنت عن بنى أمية في عزلة ، ومن هناك تكتب الى الناس وتبث دعائك . فقال الحسين : يا ابن عم . أنى والله أعلم أنك ناصح مشفق ، ولكني قد أرمعت على السير للكوفة . قال ابن عباس : فان كنت سائرا فلا تسر بنسائك وصبيتك ، فوالله اني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٦١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٨ ومقيدة الشيعة ص ٩٦ .

(٣) الأزرقى اخبار مكة ٣٦١ .

ونسأؤد وولده ينظرون اليه ، ولقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك اياه
والحجاز ، ثم خرج ابن عباس فمر بابن الزبير فقال : قرت عينك يا ابن
الزبير (١) .

رحلة الحسين :

وأهل الحسين هذه النصائح وخرج في أخريات سنة ٦٠ هـ بأسرته
ونسائه وأطفاله وخدمه وقليل من مريديه وكان عددهم اثنين وتسعين ،
ويقول Wellhausen أنه هو جدير بالاعتبار أن الأنصار والقرشيين
تخلَّوْا عن الحسين فلم يخرج من المدينة واحد منهم معه ، ولم يكن منهم
بين شيعة الكوفة الا أفراد قلائل جدا (٢) وعلى كل حال فان الحسين قد
اتجه بهذه الجماعة الصغيرة الى الكوفة دون أن يعرف ما جرى لمسلم .

وفي الطريق قابله الفرزدق الشاعر سالف الذكر قادماً من الكوفة
فصَّالَه الحسين : بيِّنْ لنا نبأ الناس خلفك . فأجاب الفرزدق : من الخير
سألت ، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية ، والقضاء ينزل من السماء
والله يفعل ما يشاء . ويبدو أن الحسين نسي صدر هذا الكلام وتذكر عجزه
فطلق عليه بقوله : صدقت ، لله الأمر والله يفعل ما يشاء ، وكل يوم ربنا
في شأن ... ثم حرك الحسين راحلته وواصل سيره (٣) .

والتقى الحسين عند ماء من مياه العرب بزعيم عربى اسمه عبيد الله
ابن مطيع العدوى ، ويبدو من كلامه حكمته وبعد نظره ، فقال هذا للحسين :
أذكرك الله وحرمة الاسلام أن تنتهك ، أنشدك الله في حرمة رسول الله ،
أنشدك الله في حرمة العرب ، فوالله لئن طلبت ما في يد بنى أمية ليقتلنك
ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً ، لا تأت الكوفة ولا تتعرض لبنى
أمية .

ولكن الحسين أبى أن يسمع له ومضى (٤) .

(١) الطبرى ج ٤ ص ٣٢٨٨ وعقيدة الشيعة ص ٩٥ .

(٢) Al Khawarig and Al Shiah p. 173.

(٣) الطبرى ج ٤ ص ٢٩٦ والعقد الفرية ج ٤ ص ٣٨٤ .

(٤) الطبرى ج ٤ ص ٢٩٨ .

وسار الحسين مرحلة أخرى حيث رأى رجلاً عائداً من الكوفة اسمه بكير بن ثعلبة الأسدي ، وكان من مريدي الحسين رجلان أسدنيان أيضاً فالتقيا ببكير وسألاه عن حال الكوفة فقال لهما إنه لم يبرح الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة ، وأنه رآهما بنفسه يَجْران في السوق بأرجلهما • ووضح الأسدي لقريبه أن أشرف الناس بالكوفة قد أعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم ، يستمال بالمال ودهم وتستخلص به نصيحتهم فسارع هذان المريدان الى الحسين وأخبراه الخبر ، وقالاه : ننشدك الله في نفسك وآل بيتك الا انصرفت من مكانك هذا ، فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعه ، بل نتخوف أن تكون الكوفة عليك ، ولكن بنى عقيل قالوا : والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا (١) ، فقال الحسين لأتباعه : من أحب منكم الانصراف فليتنصرف ليس عليه منا ذمام • فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً وبخاصة أولئك الذين انضموا اليه في أثناء رحلته ولم يبق معه الا أصحابه الذين جاءوا من المدينة وأفراد قليلون غيرهم (٢) • ودخلت سنة إحدى وستين ، ودخل معها الخطر ، وأحدق هذا الخطر بالحسين وبجماعته الصغيرة ، فان عبيد الله بن زياد لما استقر له الأمر بالكوفة وانتهى من مسلم وهانيء ، وعرف أن الحسين في طريقه الى الكوفة ، بعث الحصين بن تميم على رأس جيش كبير وأمره أن ينزل القادسية وأن يضع المسالحي ، ويقدم الحر بن يزيد التميمي بين يديه في ألف من رجاله ليرتادوا له الطريق ، وصدرت الأوامر صريحة بأن يكون الحسين بين أمرين : أن يستسلم ويسلم نفسه الى ابن زياد ، أو يقاتل •

وفي مكان يقال له ذو حسم التقى الحسين بالحر بن يزيد ، والعجيب أن الصلاة كانت تحضر فيؤم الحسين رجاله ورجال خصمه ، بل أكثر من ذلك تركت للحسين فرصة أكثر من مرة ليخطب رجال الحر ويحثهم على الثورة على حكم بنى أمية (٣) •

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ •

(٢) Al Khawarig and al Shiah p. 170.

(٣) انظر الطبري ج ٤ ص ٣٠٢ وما بعدها •

وعندما أحس الحسين بالخطر ، وأحسقت به سيوف الحر بدأ يفكر في الانصراف بأصحابه ، ولكن الانصراف لم يكن له من سبيل ، فقد قال له الحر : **أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدرمك على عبيد الله بن زياد .** فقال له الحسين : الموت أدنى اليك من ذلك . ثم اقترح الحر على الحسين أن **الحتر: أمرنا إذا نحن لقيناك ألا نفارقك حتى نقدمك على عبيد الله بن زياد .** يسأل رأيهم ، فاتجه الحسين الى الطريق الصاعد الى كربلاء .

وعزز عبيد الله بن زياد جيوشه المرسلة الى الحسين بجيش آخر بقيادة رجل من أولاد السابقين الأولين هو عمر بن سعد بن أبي وقاص ، وكان تحت قيادته أربعة آلاف من الجنود ، وكان عبيد الله قد بعثه والياً على الرى وكلفه بمحاربة الديلم الذين ثاروا في هذه البقاع ، ولهذا الغرض جمع جيشه ولكنه تلقى أمراً بالسير الى الحسين حتى اذا فرغ منه سار الى ولايته بالرى ، ولما أظهر التثاقل في السير الى الحسين هدده عبيد الله بعزله عن ولاية الرى التى كانت أمه ، فسار بجيشه لمقابلة الحسين حتى لا تغفل منه هذه الولاية . وليس يدرى الانسان كيف طغى حب المال والجاه فأعمى أفراداً من هذه النخبة التى كان عليها أن تسير سيرة آبائها في العمل للخير ورفع شأن الاسلام .

ومن الواضح أن القادة الذين سبق ذكرهم (الحسين والحر وعمر ابن سعد) كانوا يخشون دم الحسين ويتمنون ألا يمسه بسوء وكان ذلك دعاءهم دائماً ، وقد استطاع عمر بن سعد أن يحصل على اتفاق مع الحسين ظن فيه السلامة ، فقد عرض عليه الحسين أن يعود الى المدينة ، أو يسير الى أى ثغر من ثغور المسلمين فيكون مجاهداً في سبيل الله ، أو يسير الى يزيد بدمشق ، وأرسل عمر بهذا الى عبيد الله فسر به عبيد الله وأظهر الموافقة ، ولكن سرعان ما قال شمر بن ذى الجوشن : **أتقبل هذا منه ؟ والله لئن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة ولتكونن أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، فانها من الوهن ، ولكن لينزل**

على حكمك هو وأصحابه • فقال ابن زياد : نعم ما رأيت ، الرأي لك (١) •

وارسل ابن زياد خطاباً قاسياً الى عمر بن سعد مع شمر بن ذي الجوشن وأمره أن يرسل الحسين اليه مع أصحابه فان أبى الحسين فليقاتله عمر ، فان قتله جمل الخيل تطلا صدره وظهره ، وختم ابن زياد خطابه بقوله : ان أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع ، وان أبييت فأعترل عملنا وجندنا وخل بين شمر وبين العسكر فاننا قد أمرناه بأمرنا •

وأبى الحسين الاستسلام فلم يبق الا الحرب ، واشترك في حربه القادة السابقون الا الحر بن يزيد فانه عدل الى الحسين لما أبى ابن زياد أن يقبل ما عرضه الحسين وكان يظن أن فيما عرضه الحسين ما يكفي للسلامة (٢) ودارت معركة غير متكافئة ، جيوش معدة من جانب وجماعة صغيرة العدد قليلة العدد من جانب آخر ، وتساقط أتباع الحسين دونه ، وكان أول القتلى من جماعة الحسين مسلم بن عوسجة ثم عبد الله بن عمير الكلبي وهما من خيرة الأبطال ، ثم توالى التصرع وتساقط الأهل والأصدقاء ولم يبق مع الحسين الا رهط من ثلاثة أو أربعة ثم هوى هذا الرهط بين يديه وبقي وحده • وتوضح لنا كل الروايات الموجودة أن رجال عمر بن سعد كانوا يتحاشون قتل الحسين ، وأتيحت الفرصة لكثيرين منهم ليقتلوه دون عناء ولكن كان كل منهم يتمنى أن يكون قتله على يد سواء ، كان الحسين يجل عليهم فيولون الأدبار لا خوفاً ولكن جلالاً وهرباً من دمه • ويقول الطبري (٣) : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكن كان يتحاشى بعضهم ببعض ، ويجب هؤلاء أن يكتفهم هؤلاء دمه ، فنادى شمر في الناس : ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل ؟ أقتلوه نكتكم أمهاتكم • فحمل عليه الجند من كل جانب وضربه زرعة بن شريك التميمي ضربة على عاتقه فجعل ينوء ويكبو من قسوة الألم ، ثم جاءه رجل فيه لوثة

(١) الطبري ج ٤ ص ٢١٣ — ٢١٤ والعقد الفريد ج ٤ ص ٢٧٦ •

(٢) تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٣٢١ ، ٣٢٥ •

(٣) الجزء الرابع ص ٢٤٦ •

اسمه سنان بن أنس قطعنه بالرمح وقضى عليه واحتز رأسه ، ومما يدل على جنون هذا القاتل أنه حمل الرأس وذهب الى عمر بن سعد وأنشد :

أوقر ركابي فضة وذهبا
أنا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أمأ وأبنا
وخيرهم — اذ ينسبون — نسبا

فقال عمر : أشهد أنك لمجنون ، ولو سمعك ابن زياد تقول هذا لضرب عنقك ، وقد قتل من جيش ابن زياد سبعة وثمانون رجلا ، وكان الحسين في الخامسة والخمسين عند مقتله ، وقد وجدت به ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة ، وكان قتله في العاشر من المحرم ، وإذا جاز لنا أن نتعجل الأحداث في كلمة قصيرة قلنا ان قتلة الحسين ما بقى أحد منهم الا وعوقب في الدنيا ، أما بالقتل أو بالعمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة (١) ، وسيأتى فيما بعد تفصيل ذلك عند كلامنا عن المختار بن أبي عبيد .

والعجيب أن هذا المسمى عمر بن سعد تمادى في ضلاله وطاعة سيده ابن زياد فأمر أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين ففعلوا حتى رضوا صدره وظهره (٢) ولم ينج من هذه المعركة الا خمسة هم على زين العابدين ، وكان مريضاً فلم يحضر المعركة ، وعمته زينب ، وأخوه الأصغر عمر ، وأختاه فاطمة وسكينة (٣) ، وحمل هؤلاء مع رأس الحسين الى الطاغية ابن زياد ، فأرسل الجميع الى يزيد ، وقد كان ارسال رءوس القتلى والشهداء الى أصحاب المصلحة في قتلهم سنة متبعة ليتأكدوا من نهاية خصومهم ، وفي مواضع متعددة بهذه الموسوعة ذكرنا نظائر لهذا الحادث ، ويروى أن يزيد

(١) انظر ابن الجوزى : تذكرة خواص الامة ص ١٥٨ .

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٢٤٧ .

(٣) عقيدة الشيعة ص ١١٤ .

عندما رأى هذا الركب بكى وبكت معه نساء بنى أمية ، وأكرم يزيد مثنى هؤلاء ، وجزاهم عما سلب منهم ، وردهم الى المدينة (١) .

رأس الامام الحسين ومدفنها الآن :

أين دفن رأس الحسين ؟

موضوع يثار من حين الى آخر ، وليست لدينا معلومات دقيقة عنه ، ولكن لدينا أفكار حول الموضوع لعلها تثير لنا السبيل :

أولاً — إن اكرام الميت دفنه كما تقضى بذلك الشريعة الاسلامية ، ولقد دفن جسم الحسين حيث قتل في كربلاء ، أما الرأس فقد قضت الضرورة تأخير دفنه لالتزام عبيد الله بارساله الى يزيد بدمشق ، وبعد أن رأى يزيد الرأس كان من الطبيعى أن يدفن بسرعة .

ثانياً — لم يكن من مصلحة يزيد أن يسمح لأهل الامام الحسين باضطحاب الرأس في رحلة العودة الى المدينة لأن هذا يثير السخط عليه في كل مكان يمر به ابن بنت رسول الله ، وربما أشعل ثورات عليه .

ثالثاً — لا نتصور أن يقبل أهل الامام أن يدفن الرأس بدمشق خوفاً من أعداء آل البيت الذين كانوا كثيرين في بلاط يزيد ويخشى أن يحدثوا بالرأس الشريف حدثاً يتنافى مع جلاله ومكانته .

ولعل هذه الأفكار هي التي دعت الى حل وسط هو ما أشار اليه المقرئى (٢) وأبو الفدا (٣) بأن الرأس الشريف دفن بعسقلان في فلسطين ، ويرجح هذان المؤلفان أن الدولة الفاطمية عندما جاءت الى مصر نقلت رأس الحسين الى القاهرة . وهذا يتمشى من النمط المعروف عن الفاطميين ، فقد

(١) الفخرى ص ٩٩ — ١٠٠ .

(٢) الخطط ج ٢، ص ١٨٣ — ١٨٤ .

(٣) المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٩١ .

نقلوا جثث آبائهم وأجدادهم من تونس الى القاهرة لأنهم كانوا يتجهون الى جعل مصر مركزا لنشاطهم في الشرق والغرب •

السيدة زينب ووفادتها الى مصر :

كانت السيدة زينب أخت الحسين وبنت الامام علي فصيحة ابيية ، رقيقة القلب ، عالة ، وقد أعادها يزيد مع ذويها الى المدينة ، وكانت آنذاك تعد كبيرة الركب ، فالتفت القلوب حولها ، وكانت شديدة التأثير على الناس بشخصيتها وبطولتها ، ويروى أنها لما عادت الى المدينة أحاط الناس بها ، واتخذوا دارها مزارا ومركزا لتجمعاتهم ، فخاف من ذلك حاكم المدينة عمرو ابن سعيد فكتب الى يزيد بذلك ، فأجابه يزيد بأن يطلب منها أن تختار لها أى بلد آخر لتعيش به عدا المدينة •

وكان معروفا عن مصر أنها شديدة الولاء لعلي بن أبي طالب ، وقد ظلت حريصة على الاعتراض بخلافته ، واستعصت على معاوية على الرغم من أن معاوية كان بالشام على حدود مصر ، وكان له جيشه وسلطانه ، ولم يستطع أن يقهر والى مصر الا بعد حيل طويلة أوردناها في الجزء الاول من هذه الموسوعة (١) ومن أجل حب المصريين لآل البيت واحسان السيدة زينب بذلك كان من الطبيعي أن تختار مصر محلا لاقامتها ، فحضرت الى مصر ومعها السيدة فاطمة والسيدة سكينة ابنتا الامام الحسين ، أما علي ابن الحسين فلم يكن من الممكن أن يغادر الحجاز ليقوم بواجبه هناك ما وسعته الحيلة •

ويروى أنه لما سمع والى مصر بمقدمتها خف للقائها ومعه جمع من العلماء والأعيان واستقبلوها عند بلدة العباسة بالشرقية وخصص لها منزل أقامت به في القاهرة وماتت رضى الله عنها سنة ٦٢ هـ ودفنت في مكان اقامتها وأقيم لها بعد ذلك الضريح العظيم بالحي الذي عرف باسمها •

(١) ص ٦٢١ وما بعدها من الطبعة الحادية عشرة •

المؤرخون والمعركة :

يختلف المؤرخون بطبيعة الحال في التعليق على معركة كربلاء ، فمنهم من اكتفى بذكر الروايات التاريخية دون أن يبدى رأيا فيها كالطبرى وابن الأثير وابن قتيبة وغيرهم ، ومنهم من علق عليها سابا أعداء الحسين ومنزلا اللعنة عليهم كابن طباطبا (١) والعقاد (٢) ، ومنهم من علق على نتائجها فقط كالسيد أمير على الذى يقول : أن مذبحة كربلاء أشاعت الذعر فى البلاد الاسلامية وأشعلت حماسة الفرس • ودفعتهم الى كفاح الأمويين حتى أسقطوا دولتهم وأقاموا دولة بنى العباسى (٣) •

وكان نيكلسون من المؤرخين القلائل الذين علقوا تعليقات عملية على هذه الحادثة فذكر أن المؤرخين المسلمين الذين كانوا فى الغالب يكرهون بنى أمية عدوا الحسين شهيداً وعدوا يزيد سفاكا ، ولكن ذلك لا يوافق رأى المحدثين من المؤرخين الذين يعدون الحسين ثائراً محدثاً فقتله ضحى بنفسه فيها •• (٤) •

وعلق Wellhausen كذلك على هذه الحادثة تعليقا فيه جراءة المستشرقين قال : وما كان مثل الحسين الا كمثل آنية من الفخار اصطدمت بحديد هو عبيد الله ، لقد مضى الحسين كما مضى المسيح فى طريق مرسوم ليضع ملكوت الدنيا تحت الأقدام ، ومد يده كالطفل ليأخذ القمر ، ادعى أعرض الدعاوى ولكنه لم يبذل شيئا فى تحقيق أدناها بل ترك للآخرين أن يعملوا من أجله كل شيء ، وفى الواقع لم يكن أحد يوليه ثقة ، (يقصد ما دوناه فى هذا البحث من أن المهاجرين والأنصار وهم عصب الاسلام تخلوا عن الحسين ولم يؤيدوا حركته من أول الأمر) ولم يكذب يصطدم بأول مقاومة حتى انهار ، فأراد الانسحاب ولكن كان ذلك متأخرا ، فاكتفى بأن راح ينظر

(١) الفخرى فى الاداب السلطانية .

(٢) الحسين سيد الشهداء فى عدة امكنة .

(٣) A Short History of the Saracens p. 87.

(٤) See - A Literary History of the Arabs p. 107.

الى أنصاره وهم يموتون في القتال من أجله ، وأبقى على نفسه حتى اللحظة الأخيرة (١) .

ونحب أن نعلق على هذه الحادثة من عدة جوانب :

فأولاً : لا نشك في أن ابن زياد كان طاغية جباراً ، خلا قلبه أو كساد من الإنسانية ، فماذا كان عليه لو أرسل الحسين الى يزيد ليرى فيه رأيه ؟

ثانياً : هذا الشيخ النزق الذي يسمى عمر بن سعد كيف باع دينه وماضى أسرته ليرضى الدنيا ولينال الجزاء من السفاك عبيد الله بن زياد ؟ وماذا كان سيفسر لو اعتزل الأمر ؟ وكيف جاز له أن يهمل النسوة من أقاربه ؟ وأن يأمر أن تطأ الخيل صدر الحسين وظهره ؟

ثالثاً : نجى الى الحسين رضى الله عنه لنقرر أن تصرفاته في بعض نواحي هذه المشكلة كانت غير مفهومة للمنطق ولا مقبولة للعقل العادى ، والباحثون الذين يتبعون المنطق والعقل المتعادل ينظرون الى موقف الحسين ويحكمون عليه بالمقاييس العادية فيقضون عليه باللوم لأنه :

١ — لم يقبل نصيح الناصحين وبخاصة عبد الله بن العباس .

٢ — نسى أو تجاهل خلق أهل الكوفة وما فعلوه مع أبيه وأخيه .

٣ — خرج بنسائه وأطفاله وقلة من الأتباع متجاهلاً قوة خصمه العاتية .

٤ — عرف في الطريق غدر أهل الكوفة ومع هذا واصل السير مستجيباً لرأى بنى عقيل الذين أصروا — دون استعداد — على أن يأخذوا بثأر مسلم بن عقيل أو يموتوا على ما مات عليه .

٥ — أخذ الحسين يتقى السهام والضربات بأولاده وأهله وصحبه حتى خروا جميعاً بين يديه .

ونتهف في النهاية مع المنطقيين صارخين : يا لله : قد تكون ولاية يزيد العهد عملاً خاطئاً ، ولكن هل هذا هو الطريق لمحاربة الخطأ والعودة الى الصواب .

هذا هو اتجاه المنطقيين ، ولكن هذا الاتجاه ليس هو كل شيء في قضية ثورة الحسين رضى الله عنه ، فما كانت هذه الملاحظات لتغيب عن فكر الحسين ، ومن أجل هذا ينبغي علينا أن نذكر أن بعض المفكرين الذين يمتازون بالعمق يرون أن تصرفات الحسين ، كانت صادرة عن عقل عميق موهوب ، ليس من السهل على الطبيعة العادية أن تدرك كنهه ، وأن الحسين رأى أن صرح بنى أمية لايزعزعه الاتضحية جسيمة ، فجعل من نفسه وآله هذه التضحية وهذا الفداء ، ليثير الناس على قاتليه ، فيقضى بذلك على هذا الصرح ، وينقذ المسلمين من نظام توارث السلطة ، وسواء خطر هذا ببال الحسين أو لم يخطر فإن النتيجة كانت مطابقة لهذا الاتجاه ، وكان دم الحسين هو المعول الذي قوض الحكم الأموى .

وإذا كان التفكير الاسلامى يرى أنه لا يجوز الخروج على السلطان الجائر الا لجماعة لهم من القوة والمنعة ما يغلب على ظنهم معها أنها تكفى للنهوض وازالة الجور (١) ، فإن قوة الحسين ومن معه كانت كذلك ، ولكن على المدى الطويل ، فقد استطاع الحسين بهذه الدماء أن يسقط بنى أمية ، وتكاد هذه النتيجة تكون موضع اجماع من المؤرخين .

وعلى كل حال فقد كانت فتنة أيسر ما نقول عنها أنها وسعت باب الفرقة والتهمت الآلاف والملايين من المسلمين ولا يزال بابها مفتوحاً حتى كتابة هذه السطور ، وقد أخذ مدعو التشيع هذه الحادثة ليضعوا حولها ألواناً من الخرافات سنتحدث عن بعضها عند الكلام عن « التوابين » فيما يلى ، ومن أهم ما نورده هنا ما روى من أن الشيعة كانوا اذا مات شيعى وضعوا له قلادة من طين تربة الحسين في رقبتة ، وخاتماً في سبابته ،

(١) مقالات الاسلاميين للاشعرى ج ٢ ص ١٤٠ .

وضمنوا له بذلك الجنة (١) ، وما نُسِبَ الى على الرضا من أنه قال :
ان أكل طين من القبر حرام كأكَل الميتة ، الا طين تربة الحسين فهو شفاء
من كل داء .

التوابون :

لم يضع عبد الله بن الزبير الفرصة ، فما إن قُتِلَ الحسين حتى
أيقن أن الأمر خلا إليه ، فأعلن نفسه خليفة في مكة ، وأعلن الثورة على بنى
أمية ، وقد ذاع أمره وعظم خطره ، وبخاصة عندما مات يزيد بعد مقتل
الحسين بسنتين وبضعة شهور واضطرب جبل بنى أمية في الشام عقب موته ،
ومستكلم عن هذا فيما بعد ، ولكن الذى يهمنا الآن أن الطاغية عبيد الله ابن
زياد عجز عن ضبط الأمن في البصرة والكوفة عند ما اختل الأمر في الشام ،
فقتل في الظلام ، وكان في البصرة حينذاك ، ونجا بنفسه من ثورة أعدائه
الكثيرين ، وفي هذا الجوظهر التوابون .

والتوابون جماعة من شيعة الكوفة ينسب عنهم هذا الاسم . انهم
اعترفوا بضلالتهم ، وبأنهم دعوا الحسين الى بلادهم ثم انفضوا عنه ،
ثم قتلوه (٢) ، وأرادوا أن يكفروا عن اثمهم وأن يزيلوا خطيئتهم ، وكان
سييلهم الى ذلك التوبة والثأر للحسين ، وبذلك سموا التوابين ، انهم
سموا التوابين لادعائهم التوبة ، ولكن ممن يأخذون الثأر ؟ كان أولى
بهم أن يثأروا للحسين من أنفسهم ، بيد أنها الكوفة ومدعو التشيع بها ،
يعيشون في سلسلة من الثورات ، يثورون على بنى أمية فيدعون الحسين
اليهم ، ويثورون لبنى أمية فيقتلون الحسين ، ثم يثورون للحسين
فيحاولون الثأر له .

(١) عقيدة الشيعة ص ١٠٣ — ١٠٤ .

(٢) من الاسماء التى تذكرها المراجع التى بين ايدينا وتنسب لها القدرة
على التقلب شيث بن ربيع التميمي الذى حارب ضد الحسين بعد أن كان أحد
الذين دعوه الى الكوفة ، وحيد بن مسلم الازدى الذى اشترك في قتل الحسين
ثم عاد فأصبح من أشد المتحسين للاخذ بثأره .

ويقول الطبرى : ان الشيعة قد تلاقى بالقتال والتلاوم والتقدم ، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين الى النصر وتركهم اجابته حتى قتل الى جانبهم دون أن ينصروه ، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والاثم عنهم فى مقتله الا بقتل من قتله أو القتل فيه ، ففزعوا بالكوفة الى خمسة نفر من رؤوس الشيعة (١) ، واستقر الرأى بعد مناقشات بينهم على أن تكون الرياسة الى سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة مع الرسول . ولكن سليمان سرعان ما أدرك أن قتلة الحسين هم هؤلاء المطالبون بدمه ، وقد جاء فى كلماته التى يرويها الطبرى « انى نظرت فرأيت أن قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه (٢) » ومع هذا هتف هؤلاء « يالثارات الحسين » وتجمع عدد كبير وأصبح لهم السلطان على الكوفة ، وبدعوا يهددون سلطان الشام .

وفى هذه الأثناء كان مروان بن الحكم قد قفز الى الخلافة وانتصر على معارضية فى الشام ، وبدأ يتطلع لاختضاع جميع الثائرين فى العالم الاسلامى ، وكان « التوابون » من الثائرين الذين اتجهت لهم همته ، ومن الطبيعى أن يلجأ الى الطاغية العارف بمواطن الضعف فى الكوفة وفى رجالها إلى عبيد الله بن زياد ، فسيره بجيش كبير من أهل الشام ، والتقى ابن زياد بالتوابين عند مكان يقال له « عين الورد » حيث دارت معركة عنيفة سقط فيها سليمان بن صرد وكثيرون من التوابين وانتصر أهل الشام (٣) . وكان ذلك سنة ٦٥ هـ .

ولم ينته التوابون بعد هذه الموقعة ، بل ظلوا يطلبون التوبة والغفران لذنبهم العظيم ، ولا تزال بقايا التوابين تعيش فى العراق حتى العهد الحاضر ، ولقد رأيتهم عند زيارتى للعراق سنة ١٩٥٠ يجتمعون فى أيام

(١) تاريخ الامم والملوك ج ٤ ص ٤٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٢ .

(٣) تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٤٦٢ وما بعدها وتاريخ البعقوبى ج ٣ ص وعقيدة الشيعة ص ١١٦ وتهذيب الاسماء للنووى القسم الاول ج ١ ص ٢٣٤ .

عاشوراء في الفترة التي قتل فيها الحسين ويكونون جمعات كبيرة ، يشدون أناشيد حزينة حماسية ، ثم يتوقفون عن الانشاد فترة يضرّون فيها صدورهم العارية بقسوة عنيفة عدة ضربات ، ثم يعودون الى الانشاد ثم الضرب وهكذا ، حتى تسيل الدماء من صدورهم أو تكاد ، ومنهم من لم يكتف بضرب نفسه بيده بل يعمد الى خنجر أو سيف فيضرب به رأسه ويسيل دمه ، وتعتبر تلك الأفعال عندهم من وسائل التوبة ، اذ أنهم يعتقدون أن أخطاء اجدادهم قد انحدرت اليهم ولا وسيلة لتكفير هذه الأخطاء الا اراقة دماءهم في نفس الفترة التي أريق فيها دم الحسين ، وبعضهم يبالغ في هذا التكفير فيسيل دمه على الأرض ليختلط بالتربة التي امتصت دم الحسين فكانه بذلك امتزج به ولم يضر عليه بدمه .

المختار بن أبي عبيد

من نتائج الطائفت شخصيات بعيدة الغور ، واسعة الشهرة ، غير واضحة المعالم ، أو قل أنها مضطربة المعالم ، ومن أهم هؤلاء المختار بن أبي عبيد والحجاج بن يوسف الثقفي وزيايد بن أبيه وابنه عبيد الله . وقد ولد المختار في السنة الأولى للهجرة ، ولقب أحياناً بكيسان لأنه تلقى العلم عن « كيسان » مولى على أبي طالب ، أو لأن كيسان حثه على الأخذ بنثر الحسين وعرقه بقاتليه ، ويرى البغدادى أن « كيسان » كان لقبا أصيلا للمختار (١) .

والمختار شخصية من الشخصيات القلقة في التاريخ الاسلامي ، واعتقد أن أدق وصف له أنه رجل كان يسعى للجاء والمال ولا يهتم بالوسائل التي توصله اليهما ، فهو مستعد أن يكذب وأن ينافق وأن يدعى النبوة أو الألوهية ، وأن ينقلب من صديق الى عدو ومن عدو الى صديق اذا كان ذلك يساعد على تحقيق مأربه . ومن الواضح أن مثل هذا الرجل لا بد أن يكون ذكيا حاد الذكاء ، ومنحرف الذكاء في نفس الوقت .

كان في صباه ملتحقاً بعمه سعد بن مسعود الذي كان عاملاً لعلى ابن أبي طالب على المدائن ، فعاملاً لابنه الحسن من بعده ، ولما انهارت قوى الحسن واعتدى عليه لجأ الى المدائن . فقال المختار لعمه : هل لك في الغنى والشرف ؟ قال العم : وما ذلك ؟ قال المختار : أن توثق الحسن وتبتأمن به الى معاوية . قال سعد : عليك لعنة الله ، أثب على ابن بنت رسول الله فأوثقه ؟ بنس الرجل أنت (٢) .

وهكذا كان المختار يريد أن يقدم الحسن قرباناً لينال الحظوة مع عمه عند بنى أمية ، ولكن هذه الأمنية لم تتم ، فليحاول المختار طريقاً آخر أو طريقاً أخرى للجاء والمال :

رأى المختار أن انضمامه للشيعة آنذاك سيجذب اليه كثيرين من

(١) الفرق بين الفرق ٢٦ .

(٢) الطبرى ج ٤ ص ١٢٢ .

الأنصار والأعوان ، ففتح باب داره بالكوفة لمسلم بن عقيل عندما وفد هذا الى الكوفة وبإيعه ومساعدته (١) ، ولما قتل مسلم أمر ابن زياد بالقبض على المختار وضربه بقضيب فمستتر به عينه كما يقول الطبرى ثم ألقاه فى السجن (٢) .

وكانت صفية أخت المختار تحت عبد الله بن عمر فبكت لما أصاب أخاها ، فكتب عبد الله الى يزيد بن معاوية يستشفع للمختار ، فأمر يزيد واليه ابن زياد أن يخلى سبيل المختار ، فأطلقه عبيد الله وأمره أن يدع الكوفة ففعل ، وطاف المختار هنا وهناك ثم انتهى به المطاف الى عبد الله بن الزبير بمكة ، وكان ابن الزبير قد أعلن نفسه خليفة ، وكانت حاجته الى المختار ظاهرة وحاجة المختار اليه واضحة ، ولكن « السيفان لا يجتمعان فى قراب واحد » فكان كل منهما يخشى الآخر ولا يطمئن اليه . وسننقل فيما يلى رواية الطبرى التى تبين لنا حاجة كل منهما للآخر وحذره منه :

لما التقى المختار بابن الزبير قال المختار : انى قد جئتكم لأبأبعك على الا تقضى الأمور دونى ، وعلى أن أكون أول من تأذن له ، واذا ظهرت استعنت بى على أفضل عملك . فقال له ابن الزبير : أبأبعك على كتاب الله وسنة نبيه .

ولكن المختار لم يقنع بأن ينزل على كتاب الله وسنة النبى ، فصاح بابن الزبير . وشر غلمانى أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه ، فمالى اذا فى هذا الأمر من الحظ الا ما لأقصى الخلق منك . لا والله لا أبأبعك أبدا الا على الخصال التى ذكرتها .

قال عباس بن سهل وهو من أصحاب ابن الزبير : فالتقمت أذن ابن الزبير فقلت له : اشتتر منه دينه حتى ترى رأيك . فقبسل ابن الزبير شروط المختار وتمت عليها البيعة (٣) .

(١) الطبرى ج ٤ ص ٤٤١ .

(٢) المرجع السابق ٤٤٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٤٥ .

وصعد المختار بجانب ابن الزبير ابان محنة الحصار الأول لمكة الذى قام به الحصين بن نمير السكوتى فكان من أحسن الناس بلاء وأعظمهم غناء . وفى أثناء هذا الحصار مات يزيد واضطربت دمشق : وعلا أمر ابن الزبير ودان له أغلب العالم الاسلامى ، ولكن ابن الزبير لم يستعمل المختار على أية ناحية من النواحي التابعة له ، وكانما أحس ابن الزبير بانتظام أمره فأهمل شأن المختار ، ولما أحس المختار بذلك فكر فى الكوفة فهى المهد الوثير لمن يرغب الفتنة ويعمل على اشعال الثورات ، وسأل المختار بعض القادمين من الكوفة فعرف أنهم يتبعون ابن الزبير ولكن بها رجالا يكتمون أمرهم وينتظرون من يقودهم ليأكل بهم الأرض . ولكن رجالا يكتمون أمرهم وينتظرون من يقودهم ليأكل بهم الأرض . قال المختار : أنا أبو اسحاق ، أنا والله لهم ، أنا أجمعهم على الحق . وأنفى بهم ركبنا الباطل ، وأقتل بهم كل جبار عنيد . وبدأ رحلته الى الكوفة مهد الثورات ومركز الفتن (١) .

وفى الكوفة وجد المختار ثورة التوابين فى مطلعها وحاول أن تكون له قيادتها ولكن أغلب الشيعة اختاروا سليمان بن صرد لقيادتهم ، ولم ينضم اليهم المختار بل جلس ينتظر وتشكك فيه عامل ابن الزبير فحبسه ، فلما هزم التوابين وعاد شتاتهم الى الكوفة انتهر المختار هذه الفرصة فكتب الى قائدهم رفاعه بن شداد من السجن يقول « أما بعد فمرحبا بالعصبة الذين عظم الله لهم الأجر حين انصرفوا ، ورضى انصرافهم حين قفلوا ، أما ورب البنية التى بنا ما خطا خاط منكم خطوة ، ولا رثارثة الا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا ، وان سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين . ولم يكن بصاحبكم الذى به تنصرون ، انى أنا الأمير المأمور ، والأمين المأمون ، وأمير الجيش ، وقاتل الجبارين ، والمنقم من أعداء الدين ، والمقيد من الأوتار . فأعدوا ، واستعدوا ، وأبشروا ، واستبشروا . أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه

لم والى الطلب بدماء آل البيت والدفاع عن الضعفاء وجهاد
الذين» (١) فلما تلقى قادة الشيعة ذلك حضروا الى المختار فانتزعوه من
السجن ، وبدأ الخطوة الأولى من خطوات قيادته •

وقام المختار بأمور متناقضة لم يستترها بعض الشيء الا ذكاؤه
الوقاد ، ولكنها على كل حال ظهرت للأعين النفاذة فقد ادعى المختار أن
ابن الحنفية هو الذى أرسله وأنه وزيره ويعمل باسمه للطلب بحق أهل
البيت والثار من قاتلى الحسين وصحبه ، ولكنه فى نفس الوقت أمكن عمر
ابن سعد وجالسائه ولم يتعرض لقتلة الحسين بسوء (٢) ، حتى قال ابن
الحنفية لبعض رجال المختار : انه يدعى أنه لنا شيعة وقتلة الحسين
جلساؤه على الكراسى يهدثونه (٣) وادعى المختار أنه يسير على سنة القرآن
وهدى الاسلام ، ولكن ظهرت منه ألوان من الضلالات تبعده عن الاسلام
وحوزته ، فمن ذلك أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه
بأنواع الزينة ، وقال : هذا من ذخائر أمير المؤمنين على كرم الله
وجهه ، وهو عتنا بمنزلة القابوت لبنى اسرائيل ، وكان اذا حارب
خصومه حمل به فى الصف الأول وقال : قاتلوا ولكم الظفر والنصرة • وله
اسجاع يقلد بها القرآن • ووعود يدعى بها علم الغيب فان تحققت جعل
ذلك دليلا على صدق دعواه وان لم تتحقق قال : قد بدا لربكم ، وذلك
هو القول « بالبداء » أى أن الله يغير رأيه لانه يبدو له شيء جديد (٤) •
وهكذا تجد فى ادعاء المختار للتشيع لونا جديدا لم نره من قبل ،
فقد رأينا مدعى التشيع يقصدون الى تهديم الاسلام ، ولكن المختار
ادعى التشيع قاصدا الجاه والمال •

وقد تشكك بعض الشيعة فى أمر المختار عندما بدأ أمره يظهر فذهب
وفد منهم الى محمد بن الحنفية يسألون رأيه فيه ، وأجاب ابن الحنفية
جوابا مبهما اذ قال : والله لوددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء

(١) الطبرى ج ٤ ص ٤٧١ •

(٢) المرجع السابق ص ٤٤٩ •

(٣) المرجع السابق ص ٥٢٣ •

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢ — ١٣٣ •

من خلقه ، وعاد هؤلاء بذلك القول فاتخذوه المختار دليل تأييد له من ابن الحنفية ، وجمع الجموع حيث خطب أعضاء هذا الوفد وذكروا أن ابن الحنفية يؤيد المختار (١) .

وقيل للمختار : ان ابراهيم بن الأستر هو القائد المهيب الجانب في الكوفة ، وانه اذا انضم للمختار ضمن المختار ألوانا من النجاح ، وكان ابراهيم متشككا في أمر المختار ، ولكن المختار لم يدعه للشك فوضع خطابا على لسان ابن الحنفية وقفله وختمه وحمله الى ابن الأستر وأحضر من الشهود من أيد أن هذا الخطاب من ابن الحنفية ، فلما قرأه ابراهيم وجد فيه اعتراف ابن الحنفية بأن المختار وزيره ورسوله للطلب بدماء آل البيت، ووجد فيه كذلك أمرا من ابن الحنفية لابراهيم أن ينضم للمختار مع أهله وعشيرته ، وخضع ابراهيم للأمر وانضم ، فكان من أكبر عوامل النصر التي تحققت للمختار (٢) .

وتجمعت للمختار بذلك عوامل الأمل في النصر فبدأ كفاحه المسلح وانتصر فيه ، فهزم أنصار عبد الله بن مطيع عامل ابن الزبير على الكوفة وخلص له الأمر فيها ، وامتد ملكه حتى الموصل وهبت بالبصرة ثورة تؤيده، وقرب بذلك من القمة (٣) .

ولكن الكوفة لم تجد في المختار قط ما يدعوها للاطمئنان اليه وتصديقه فيما يدعيه ، فقد كان حتى الآن يسمح لقتله الحسين بمصادقته ومجالسته وكانت ترهاته وأباطيله تنقش وتترداد ، وكان ابن الأستر نفسه يراوده الشك وهو يحمل هذا الكرسي في حروبه ، فليس له بذلك عهد في الحروب الاسلامية ، ولكن تصديق ابن الأستر كان أقوى من شكه فبقى مخلصا له الى حين .

وخطا المختار خطوة أخرى يريد أن يتوج بها انتصاراته فبدأ يحارب عبيد الله بن زياد ، وأرسل المختار لذلك جيشا بقيادة يزيد بن أنس،

(١) الطبري ج ٤ ص ٤٩٢ .

(٢) اقرأ نص الخطاب في الطبري ج ٤ ص ٤٩٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٠٧ وما بعدها .

ولكن جيش الشام غلبه وخر يزيد في هذه المعركة ، فأرسل المختار جيشا آخر بقيادة قائده الأول ابراهيم بن الأشتر ، ووجدت الكوفة الفرصة للثورة على المستر فقد بدأ ينهزم أمام أهل الشام ، وقد خلت الكوفة من قائده المهيب وأكثر أتباعه ، فهبت بالكوفة ثورة عارمة ، أعلن قائدها أن المختار كذاب وأنه غير مؤيد اطلاقا من محمد بن الحنفية ، وأحاطت الثورة بقصر الرياسة وفيه المختار ومنعوا عنه الماء وهددوا حياته ، ولكن ذكاء المختار لم يخنه ، فعالج أمره بحكمة أنقذته من هزيمة محققة ، فأرسل سرا يستدعي ابراهيم بن الأشتر وجيشه ، وفي نفس الوقت كتب للشوار يطلب أن يرسلوا وفدا مشتركا لابن الحنفية ليستبين للناس رأى ابن الحنفية ، وكان يقصد بذلك الإبطاء والتأخير حتى يعود جيش ابن الأشتر وعاد هذا الجيش ، وتولى المختار قيادة جزء منه وتولى ابن الأشتر قيادة الجزء الآخر وأنزلا بالكوفة هزيمة ثنيعة ، ووجد المختار الفرصة سانحة ليتخلص من قتلة الحسين ، فنكل بهم وقتلهم ، أرضاء للشيعة من جهة وانتقاما منهم لما أبدوه من تأييد للثائرين ضده من جهة أخرى ، وكان في قمة من قتلهم عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه (١)

وعاد المختار بعد أن أخضع الكوفة لحرب عبيد الله بن زياد فأرسل اليه جيشا كثيفا بقيادة ابن الأشتر في ذى الحجة سنة ٦٦ هـ ، وفي مطلع العام الثاني دارت معركة عنيفة عند نهر خازر بالقرب من الموصل بين ابن الأشتر والطاغية ابن زياد ، وقد استطاع ابن الأشتر أن يضرب ابن زياد ضربة قدته نصفين ، وسقط في هذه المعركة أيضا الحصين بن نمير السكوتي الذي سبق له أن حاصر الكعبة ورمأها بالمنجنيق . ووصل المختار بذلك الى قمة مجده فدانت له الموصل وأرمينية واذربيجان ، وأرسل رأس ابن زياد الى المدينة وأحرق جثته (٢) .

ولكن المختار لم يدم في القمة طويلا ، فقد اجتمعت عليه عوامل هزت المجد الذي يجلس عليه ، وأهم هذه العوامل ترهاته وأباطيله

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٣٢ .

(٢) اليعقوبي ٣ : ٦ والطبري ص ٥٥٥ .

تريد كل يوم ظهورا ووضوحا مما جعل ابن الحنفية يعلن براءته منه (١) .
وقد سبب هذا الاعلان خسارة كبيرة للمختار فقد فتر عنه قائده الاعظم
ابراهيم بن الاشر وبقى بالموصل ، بعد هزيمته لعبيد الله بن زياد ، وظهرت
الجقوة بين المختار وبينه ، ومن العوامل التي أضعفت المختار كثرة الدماء
التي سفكها بالكوفة ليصل الى المجد أو ليحافظ عليه بعد أن وصل اليه ،
ومنها كذلك أنه اعتمد على الكوفة واتخذها عاصمة له ، ولا بد أن يهوى
الى القاع كل من اعتمد على الكوفيين أو وثق بهم . ثم يجيء العامل
الأهم وهو أن انتصارات المختار جعلته منافسا لخليفتين عظيمين أحدهما
عبد الله بن الزبير بمكة والثاني عبد الملك بن مروان بدمشق وهيهات أن
يستطيع المختار أن يصمد لهذين البطلين أو لهذه العوامل مجتمعة .
وعين عبد الله بن الزبير أخاه مصعبا واليا على البصرة وأمره بحرب
المختار ، وصحب معه بطلا مغوارا هو المهلب بن أبي صفرة ، ودارت معركة
عنتقة بحمام أعين قضى فيها على جيش المختار الذي كان يقوده أحمر ابن
شميط بعد أن اعتزل ابن الأشر قيادة جيوش المختار ، ولم ينج من جيش
المختار الا الفرسان الذين ولوا بخيولهم هاربين ، وانتهر أهل الكوفة هذه
الفرصة فانقضوا من حول المختار وثاروا عليه ، وسرعان ما وجد نفسه
وحيدا ليس معه أحد ، فنزل بسيفه يحارب ويقا تل حتى خر قتيلا في شوارع
الكوفة ، وكان ذلك في نفس السنة التي قتل فيها عبيد الله بن زياد ،
وكانت تلك نهاية المختار (٢) ،

بقى شيء يتعلق بهذه النهاية ، ذلك أن المختار — كما ذكرنا من قبل
— كان قد أسرف في التتكيل بأهل الكوفة والفتك بأشراقها عقب ثورتها
الأولى عليه ، وكان الموالي يمثلون عصب جنده في هذه الجولة ، فلما هزمت
جيوش المختار أمام مصعب هب أهل الكوفة ليتأروا لأنفسهم مما أنزله
المختار وأتباعه الموالي بذويهم من قناء وتدمير ، وشجعهم على ذلك مصعب
ابن الزبير ، وكانت نتيجة ذلك أن خر في المعارك عدد كبير واستسلم آلاف
من أتباع المختار وأكثرهم من الموالي ولكن مصعبا اعمل فيهم السيف بعد

الشهرستاني . الملل والنحل ج ١ ص ١٢٣ .
ستوى ج ٢ ص ٩ والطبرى ج ٤ ص ٥٧٠ .

الاستسلام وقد عيب ذلك على مصعب ، ويروى أن عبد الله بن عمر رأى مصعبا بعد هذه الحادثة فصاح به : أنت قاتل سبعة الاف من أهل القبلة في غداة واحدة ؟ فأجابه مصعب مدافعا عن نفسه : انهم كانوا كفرة سحرة فقال ابن عمر : والله لو قتل عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا (١)

الزيدية :

بطلا الزيدية هما زيد بن علي بن الحسين وابنه يحيى بن زيد ، وقد قتل أولهما بالكوفة سنة ١٢٢ هـ وقتل الثاني بخراسان سنة ١٢٥ هـ وليس معنى هذا أن الكوفة هدأت بين مقتل المختار سنة ٦٧ هـ ومقتل زيد بن علي سنة ١٢٢ هـ ، لا ، فقد اشتبكت الكوفة في ألوان من الصراع غير شيعية كثورة ابن الأشعث وغيرها من الثورات الكبيرة والصغيرة حتى أخضعها الحجاج بالعصا والقسوة فطأطأت الرأس حتى هبت من جديد على يد زيد بن علي .

وقد تكلمنا فيما سبق عن زيد بن علي ومبادئه ، ولم يكن زيد بن علي من سكان الكوفة ، وإنما ساقه اليها ما ساق سواء من المطلبين بالخلافة من الشيعة من الوعود الخلافة والايمان المغلظة والعهود والمواثيق التي سرعاز ما تختفي وتذوب ، وقد أعد زيد نفسه للخلافة واستجمع كل الشروط التي يراها لازمة لحمل هذا العبء من عدالة وعلم وشجاعة ولم يبق الا أن يطالب بها ، فانتظر الفرصة التي سنحت بذلك .

وكان خالد بن عبد الله القسري واليا لمعشام ، ثم غضب هذا عليه وألزمه بغرامة كبيرة ، ويقال أن خالدا ادعى أن له أموالا عند زيد بن علي ليتخلص من العذاب الذي كان نازلا به ، فطولب زيد بن علي بهذا المسأل فأنكر أن لديه أموالا لخالد فسيق الى الكوفة لمواجهة خالد ، وكان يوسف ابن عمر هو أمير الكوفة آنذاك ، وتمت المواجهة ، فاعترف خالد أنه ليس له مال عند زيد ، وأخرج زيد من الكوفة دون ابطاء خوفا من التفاف الشيعة حوله ، واتخذ زيد طريقة الى المدينة ولكن أهل الكوفة تبعوه .

ويروى لنا اليعقوبى والطبرى وابن طباطبا وغيرهم أن أهل الكوفة قالوا لزيد نفس العبارات التى قالها أجدادهم لأجداده ، وسلخوا معه نفس السلوك الذى سلكه أجدادهم مع أجداده ، وأكدوا له ما أكّده أجدادهم من قبل أنهم هذه المرة لن يخونوا ولن يسلموه ، ومن عباراتهم التى توردها المراجع السابقة قولهم : أين تذهب يرحمك الله ومعك مائة ألف سيف نضرب بها دونك ، وليس عندنا من بنى أمية الا نفر قليل لو أن قبيلة واحدة منا صمدت لهم لكفتهم بأذن الله • فقال : يا قوم انى أخاف غدركم فانكم فعلتم بجدى الحسين ما فعلتم فقالوا : نناشدك الله الا ما رجعت ونحن نبذل أنفسنا دونك ونعطيك من الايمان والمواثيق والعهود ما تثق به ••• ووقع الرجل العالم المفكر فى نفس الخطأ الذى ارتكبه أسلافه ، ووثق بقوم ليسوا جديرين بالثقة ، والتف حوله آلاف من الرجال وشرعوا بالاسلحة ، وأعلن زيد دعوته ، فهب فى وجهه يوسف بن عمر ومعه قليلون من أهل الشام ، ولكن يوسف سرعان ما جذب الرجال من صفوف زيد فاذا بصفوف زيد تتناقض ورجال يوسف يتكاثرون ، ونظر زيد فوجد الناس قد انفضوا عنه وخذلوه وأسلموه ، ولم يبق معه الا شذمة يسيرة ظل يجاهد بها جهادا لا أمل فيه ، حتى هوى ودفن اتباعه القليلون جثته ، ولكن يوسف ابن عمر دل عليها فأخرجها وصلبها ثم حرقها وذرى رمادها فى الفرات (١) وانتهت بذلك ثورة أخرى من ثورات الكوفة •

وفر من المعركة بعد قتل زيد ابنه يحيى فاتجه متكررا الى خراسان حتى وصلها ، وحط رحاله فى بلخ وتوارى بها فكتب يوسف بن عمر بذلك الى هشام ، فكتب هذا الى نصر بن سيار يحذره من يحيى ، وقد استطاع نصر أن يلقى القبض على يحيى ويودعه السجن ، ولكن يحيى استطاع أن يهرب من سجنه ويجد له بعض الانصار الذين التقوا حوله ، والعجيب أنه استطاع بجماعة لا تزيد عن مائة وعشرين رجلا أن يهزم جيشا يقوده عمر ابن زرارة القسرى عامل نيسابور ، وقتل عمرو فى المعركة فكبر شأن يحيى

(١) انظر اليعقوبى ج ٣ ص ٤٦ وما بعدها والطبرى ج ٥ ص ٤٨٢ وما بعدها والفخرى لابن طباطبا ص ١١٢ وما بعدها •

وكثر أتباعه وسلاحه وأصبح خطراً يهدد الأمويين وكان ذلك في عهد الوليد ابن يزيد ، فاضطر نصر بن سيار أن يواجهه بنفسه بجيش كثيف بالقرب من مرو ، ودارت معركة عنيفة انتهت بقتل يحيى وصلبه ثم حرقه على نحو ما فعل بأبيه (١) .

وانتهت ثورات الزيدية بذلك ولكن انتقل ميدان الثورات الشيعية من الكوفة الى خراسان كان ذا أثر كبير جدا ، فلم تكن في خراسان خيانة الكوفة ، ولذلك لم تعدا خراسان ، وظلت تكافح الأمويين حتى أسقطتهم على نحو ما ذكرنا عند الكلام عن قيام الدولة العباسية في الجزء الثالث من هذه الموسوعة .

(١) اليعقوبي ج ٣ ص ٥٧ و ٦١ والطبري ج ٥ ص ٥٣٦ — ٥٣٨ .

عبد الله بن الزبير

هل كانت لعبد الله بن الزبير فلسفة ؟

وهل تعد الحركة التي قام بها ثورة فكرية ؟ وهل تعد ثورة عسكرية ؟

الجواب عن هذه الأسئلة يوجه حكمنا على عبد الله بن الزبير في نتائج الحركة التي قام بها ، لقد قال كثير من الباحثين إن عثمان أخطأ ، وقلنا عند حديثنا عن عثمان تعبيراً قصيراً ولكنه بالغ الأهمية ، وهو أنه كانت لعثمان فلسفة اتبعها ، أى أنه اجتهد ووصل الى رأى رضى به واقتفاه (١) ، والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب ، وهذا يخفف من ذنب عثمان ان كان فيما عمل ذنب ، أو لا يلحق به ذنب أصلاً أن كان في طبيعة ما قام به ما يستدعى الذنوب .

فهل كانت لابن الزبير فلسفة ؟ وهل كانت ثورته قائمة على مبادئ وفكر ؟ وإذا لم تكن كذلك فهذا كانت ثورة عسكرية فحسب ؟

ان الاجابة عن هذه الأسئلة يستدعى ألواناً من البحث والعرض والأدلة سنحاول أن نقوم بها ، ولكننا بادئ ذى بدء نسارع فنقرر أنه لم تكن لعبد الله بن الزبير فلسفة عامة على الاطلاق ، وأن ثورته لم تكن ثورة من أجل مبادئ ، بل أنها لم تكن كذلك ثورة عسكرية .

تعال بنا نبداً الحديث من أوله :

عبد الله بن الزبير موضوع حديثنا الآن ولد بالمدينة بعد ستة تقريباً من الهجرة ، وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، ولذلك فرح به المسلمون فقد كان هناك ادعاء بأن عقمأ أصاب المهاجرين ، وهو عريق النسب من جهة أبيه وأمه ، ونشأته عالية رفيعة ، فوالده الزبير بن العوام أحد السابقين الأولين واحد الأبطال المشاهير في الجزيرة العربية ، قيل له مرة وقد ضرب عدوه بسيفه ضربة قسمته نصفين : ما أحد سيفك !! فغضب وقال : ليس

(١) انظر موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية للمؤلف .

السيف ولكن اليد التي ضربت به (١) • وأمه أسماء ، المرأة التي اشتهرت بالحكمة والفصاحة وثبات الجنان ، وجدته لأمه من خير الأجداد ، انه طيب الذكر أبو بكر الصديق الذي تجمعت له أكرم الصفات وأسمى الخلال ، وجدته لأبيه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول صلوات الله عليه ، أسلمت وهاجرت ، وخالته عائشة زوجة الرسول الحبيبة (٢) ، ولما لم يكن لعائشة أولاد فقد أخذته من أختها أسماء فنشأ في بيت الرسول وأصبح كأنه ابن عائشة حتى كان يقال لها : أم عبد الله •

هل بعد هذا نسب ؟ وهل فوق تلك نشأة ؟ اللهم لا •

ولكن علماء النفس والأخلاق لا يتركون الغريزة ظهريا ، ويرون أن البيئة قد تغير من الغريزة ولكنها لا تزيلها ، فما هي أبرز الغرائز في عبد الله ؟ لقد أجمعت كل المراجع التي بين أيدينا على أن ابن الزبير كان بخيلا كرا ممسك اليد ، ولقد أوردنا من قبل ما ذكره عبد الملك بن مروان عن بخله ، ولم يغير سخاء أبي بكر وقناعة الرسول ، من خلق عبد الله ، وأخذ عبد الله من الجو الذي انحدر منه والذي عاش فيه خصلة كان فيها ركّاه • تلك أنه عاش في بيوت الرياسة والسؤدد ، بيت الرسول ، ولما مات الرسول اتجهت السلطة الى جده أبي بكر ، وبعد وفاة عمر كان أبوه من المرشحين الستة للخلافة وكان له فيها اطماع وهذا دفع عبد الله الى حب الرياسة وتمنى السلطان ، وغريزة حب السلطة طبيعية ، ونمتها هذه الظروف في بطل حديثنا ونماها كذلك ذكاء فيه وورع ، واحساس بالكمال أو ما يقرب من الكمال •

ولكن قامت دونه حواجز كما قامت دون أبيه ، فبنو هاشم وبنو أمية أعرق محتدا وأوسع جاها وأكثر أنصارا ، ومن هنا دب فيه عامل الغيظ ، وإذا اجتمع الغيظ والذكاء والحرمان كانت النتيجة نارا ملتهبة يمتد لريبتها فيحرق الكثير •

وهذا هو المفتاح الذي يبرز لنا حقيقة هذا الرجل : طموح للرياسة ،

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ : ٢١٢ •

(٢) النووى : تهذيب الاسماء واللغات القسم الاول ج ١ ص ٢٦٦—٢٦٧

وادراك أن دونها عقبات ، وعجز عن مقابلة هذه العقبات وجها لوجه ، وحيل مختلفة فيها حتى وغيظ لازالة هذه العقبات من طريقه .

وقد بدأت هذه الأطماع في عبد الله مبكرة ، وقد تحدثنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة عن الدور الذي لعبه ليدفع خالته عائشة الى حرب الجمل (١) رغبة أن يزيل من طريقه على بن أبي طالب الذي كان دون مرأه يفضل عبد الله بن الزبير في كل شيء ، وكانت معركة غاشمة ظالمة سقط فيها الآلاف رجاء تحقيق هذا الطموح دون جدوى ، ومن الواضح أن هذا الرجل لم يواجه المشكلة بصراحة ، بل استتر خلف خالته ، ودفعها الى هذا الأتون ، واستتر كذلك خلف أبيه وخلف خاله طلحة بن عبيد الله .

والإنسان يحار في تحليل هذه الحادثة العجيبة ، ويدهش كيف جاز لرجل أن يدفع خالته لمثل هذا الصراع ، وليست لنا خالات مثل عائشة ، ومع هذا لا نرى من يدفع خالته الى مثل هذا اللظى ليحقق لنفسه أملا ، وقد قلنا من قبل أن ابن الأستر كبة ابن الزبير على وجهه فتظاهر هذا بالموت وترك خالته وحدها تعاني قيادة حركة لا مطعم لها فيها .

كيف بنى ابن الزبير مجده ؟

ولم ينجح أمله على كل حال في هذه المرة وبدأ يبحث عن أمل جديد وظهر هذا الأمل ، فقد قتل على ومات معاوية ، وآل الأمر الى طبقة ابن الزبير من أبناء الصحابة ، لقد تولاه يزيد ببيعة من أبيه وكان ظاهرا أن الناس لم يحبوا أن يجتمعوا على يزيد ، فليكن الأمل في نفس عبد الله ، ولكن كيف السبيل الى ذلك وهناك الحسين ؟ وله من محته واسرته وشيعته ما يجعله أحق بالأمر منه ، وقد ذاق عبد الله الهزيمة عندما حارب عليا فأنى له بحرب الحسين ؟

لقد لجأ عبد الله الى حيلة سبق أن شرحناها وهى أنه دفع الحسين ليستجيب لنداء الكوفة وهو يعرف طبيعة الغدر في رجالها وطبيعة الخيانة ، وسقط الحسين ، فقوى الأمل في نفس عبد الله . وجدت ظروف أخرى

(١) انظر هذا الحديث في الجزء الاول من هذه الموسوعة للبؤلف .

جعلت كفته ترجح ، فقد هزت مصيبة كربلاء بنى هاشم فأخلدوا حيناً الى الدعة ، وجرت موقعة الحرة التي سقط فيها كثير من أبناء المهاجرين والأنصار فزاد سخط الناس على يزيد ، وهوجمت مكة ورميت الكعبة بالمنجنيق ، ومات يزيد ، وضعف ابنه معاوية عن تولى الأمر ، وانقسمت دمشق على نفسها ، وكل هذه الظروف جنى ثمارها عبد الله بن الزبير •

فلنبرز مرة أخرى أن عبد الله لم تكن له موهبة حصل بها على ما حصل عليه ، وانما هو عطاء الأقدار ، فابن الزبير لم يقيم بثورة عسكرية دبرها وقادها ، وانما هي ثورات في الكوفة والبصرة والمدينة لأسباب متعددة ، ثم قسوة عنيفة أحمدها يزيد هذه الثورات ، فلما مات يزيد وانقسم الأمويون على أنفسهم حانت للرجل الرابض في مكة الفرصة التي ينتظرها فتلقأها وبني مجده على أساسها ، ومن الواضح أنه لم يخرج مرة لقيادة جيش ، ولم يجازف مرة ليحمي ما حصل عليه من ملك ، كما سنرى فيما بعد موقفه مع الحصين بن نمير ، وانما بقى في مكة ، وكانت ترد له البيعة من هنا ومن هناك ، ولا شك أن كفته تشيل اذا قارناه بنده عبد الملك بن مروان الذي طلب إليه أن يكف عن قيادة الجيوش فأبى وألقى بنفسه في خضم الصراع •

بقيت نواح أخرى جديرة بالايضاح في حياة هذا الرجل نذكرها فيما يلي :

أولاً : لم تكن صلة ابن الزبير الطبيعية حتى بأقرب الناس اليه ، فقد كان أخوه عمرو في صفوف أعدائه ، كان قائد جيش أموى حارب عبد الله • وانتهى أمره بأن قتله عبد الله ، وكان أخوه مصعب سيفاً بشاراً ولكنه لم يسلم من عبد الله ، وقد خذله عبد الله كما سنرى بعد قليل (١) وقد تركه أولاده وانضموا لجيش الحجاج مما لا يعرفه خلق العرب فان أولاد مصعب لم يقبلوا أن يتركوا أباهم في محنته على الرغم أن أباهم حثهم على ذلك ، وفضلوا أن يموتوا بين يديه •

(١) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٠ •

ثانيا : كان الرجل ممسكا كرا واذا جاز لهشام بن عبد الملك مثلا أن يكون بخيلا فلا يجوز ذلك لعبد الله بن الزبير لأن هذا يكون ملكا وطبيعة تكوين الملك يحتاج الى السخاء ، ومن العجيب أنه كان كرا حتى في أخرج الأوقات ، وحين كان الدينار يكسب لصاحبه النصر .

ثالثا : هناك رواية يرويها بعض المؤرخين عن عبد الله بن الزبير ، وهى إن صحت كان عبد الله بن الزبير أنانيا الى أبعد حدود الأنانية ، فقد روى أن عبد الله لما هدم الكعبة أخذ الحجر الأسود فوضعه فى بيته ، فلم يلبث بلغ البناء الى موضع الحجر أمر فحفر له الحفار على قدره ، ثم أمر ابنه عبادا أن يأتى بالحجر فيضعه فى مكانه عندما يكون الناس فى صلاة الظهر مع عبد الله ، وأطال عبد الله الصلاة بالناس ليعطى ابنه فرصة الاستقلال بهذا العمل ، فلما أتم عباد وضع الحجر كبر فختم أبوه الصلاة ، وقد غضب المسلمون لهذا التصرف وقالوا : ما هكذا فعل الرسول ، ولقد حكمته قريش فجعل لكل قبيلة نصيبا (١) .

ومن الأنانية ما يروى أنه هدد بالحجر على عائشة لأنها أكثرت الصدقات ، وكان ذلك منه طمعا فى أن يثول له ثراؤها ، وقد أقسمت عائشة ألا تكلمه لهذا السبب وقد أوردنا هذه القصة فى الجزء الأول من هذه الموسوعة (٢) .

رابعا : استغل عبد الله بن الزبير ضحايا أهل البيت ، فلما تقدم أمره اضطهدهم وقسا عليهم وتطور فى ذلك — اذا صح ما يقوله اليعقوبى الى درجة تهز اسلامه كما سنرى فيما بعد ، أما أنه بنى مجده على أشلاء البيت فيوضحه لنا خطابه الذى ألقاه عقب مقتل الحسين ، وقد رواه الطبري وفيه يقول : ان أهل العراق غدر فجر ، وان أهل الكوفة شرار أهل العراق ، وانهم دعوا حسينا لينصروه فلما قدم عليهم ثاروا عليه . وعرضوا عليه الاستسلام لابن سمية أو الحرب ، فاختر الميثة الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسينا وأخزى قاتل حسين ، أفبعد الحسين نطمئن الى

(١) تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ٧ والازرقى : اخبار مكة ص ١٤٣ .

(٢) انظرها كذلك فى المحلى لابن حزم ج ٨ ص ٢٩٢ .

بنى أمة أو نقبل لهم عهدا ؟ لا ولا نراهم لذلك أهلا ، أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه ، كثيرا في النهار صيامه ، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل ، أما والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء ، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء ، ولا بالصيام شرب المدام ، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض لطلاب الصيد ، فسوف يلقون غيا (وكان في ذلك يعرض بيزيد) فثار اليه السامعون ، وقالوا له : أيها الرجل أظهر بيعتك فانه لم يبق أحد بعد الحسين ينازعك هذا الأمر وكان ذلك بدء أمره (١) .

أما اضطهاده لبنى هاشم بعد أن تقدم أمره ومدى هذا الاضطهاد فيرويه اليعتوبى بقوله : وتحامل عبد الله بن الزبير على بنى هاشم تحاملا شديدا ، وأظهر لهم العداوة والبغضاء ، حتى بلغ ذلك منه أنه ترك الصلاة على محمد في خطبته ، ف قيل له : لم تركت الصلاة على النبي ؟ فقال : ان له أهل سوء يشربون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به ، وأخذ ابن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس وأربعة وعشرين رجلا من بنى هاشم إياهم له فامتنعوا فحبسهم ثم نفاهم نفى ابن عباس الى الطائف وظل بها حتى مات ، ونفى محمد بن الحنفية الى رضوى فظل بها حتى مات أيضا ، وانتهك حرمة الحرم فأزعج من استجار به (٢) .

خامسا : لقد حاول الرجل أن يستسلم الى الحجاج ، ولولا أمه لفعل ذلك ، وتلك خطيئة كبرى لا يعرفها المجاهدون وأصحاب المبادئ وقادة الثورات ، فهي رضا بالدنية من أجل الحياة الفانية .

ونتيجة هذه الدراسة أنه لم تكن لهذا الرجل فلسفة ، ولم تكن ثورته ثورة مبادئ ، بل لم تكن ثورة عسكرية أيضا ، وأنه لذلك مسئول عن الدماء التي أراقها ليحقق لنفسه حلما وليبنى لنفسه مجدا . ولم يكن له من تصرفاته ولا من عبقريته ما يستطيع به أن يواجه الأحداث أو يملأ المنصب الكبير الذي حاول أن يناله .

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٦٤ .

(٢) ابن عبيد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ٤١٣ ويذكر ابن عبد ربه ان الذي أخرج بنى هاشم من السجن رجال بعث بهم المختار بن أبى عبيد « وانظر كذلك الطبري ج ٤ ص ٥٤٤ — ٥٥٥ .

والآن نستطيع أن نذكر بإيجاز الخطوات التاريخية المتسلسلة للثورة التي قام بها ابن الزبير .

قلنا من قبل إن الناس دَعَوْهُ عقب قتل الحسين وعقب خطبته ، ليعلن نفسه خليفة ، وكان هذا هو الأمل الذي يتطلع اليه ، فسارع وأعلن خلافته وخلع يزيد وبائع له أهل مكة ، وكان ذلك سنة احدى وستين (١) . وفي نفس هذا الوقت أو بعده بقليل أظهر أهل المدينة سخطهم على يزيد ثم ثاروا عليه وعزلوه وأخرجوا بنى أمية من المدينة كما قلنا من قبل والعجيب أن أهل المدينة خلعوا يزيد ولكنهم لم يبايعوا لابن الزبير ، وذلك بلا شك دليل سخطهم عليه وعدم اطمئنانهم اليه ، وعلى اثر ثورة المدينة تمت موقعة الحرة حيث أهلك جيش الأمويين بقيادة مسلم بن عقبة خيرة أبناء المهاجرين والأنصار ، وأباح المدينة لرجاله ثلاثة أيام كما سبق القول، والعجيب كذلك أن ابن الزبير لم يحرك ساكنا ، ولم يتقدم لمساعدة أهل المدينة في صراعهم ضد بنى أمية ، وبقي في مكة ينتظر دوره وزحف الجيش الأموي عليه ، وذلك فعل النعامة التي تغمض عينيها عندما يقرب منها الخطر ظانئة أن في ذلك سلامتها مع أن فيه حتفها .

وزحف جيش الأمويين المنتصر من المدينة الى مكة ، وكانت قيادته قد آلت الى الحصين بن نمير بعد موت مسلم بن عقبة ، ونزل الحصين أعلى مكة وأرسل خيلا اسفلها ونصب عليها المجانيق وضربها بالحجارة واستمر حصاره لها طيلة الشهور الأربعة الأولى من سنة ٦٤ هـ حتى جاءهم الخبر بهلاك يزيد (٢) ، وفي تلك الأثناء احترقت الكعبة بسبب شرارة تطايرت اليها من النار التي كان يشعلها أنصار ابن الزبير (٣) .

ولما جاء الخبر بموت يزيد أوقف الحصين ضربه وفك حصاره والتقى بعبدة الله بن الزبير وأَسَرَّ اليه قائلًا : ان يكن هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر ، هلم نبايعك ، ثم اخرج معي الى الشام فان هذا الجند الذي معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم فو الله لا يختلف عليك اثنان ،

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٦٢ .

(٢) الامامة والسياسة ٢ : ١٠ .

(٣) الطبري ج ٤ ص ٣٨٣ .

وَتَوَكَّمَنَ النَّاسَ ، وَتَهْدَرُ الدَّمَاءُ الَّتِي كَانَتْ يَوْمَ الْحَرَّةِ ، وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ رَدَّ عَلَيْهِ جَهْرًا رَدًا قَاسِيًا ، فَقَالَ الْحَصِينُ لَهُ : قَبِّحَ اللَّهُ مِنْ يَمِينِكَ دَاهِيَةً ، أَكَلَمَكَ سِرًّا وَتَكَلَّمَنِي جَهْرًا • وَأَدْعُوكَ لِلْخُلَافَةِ وَتَعْدُنِي الْقَتْلَ وَالْهَلَكَةَ ، ثُمَّ تَرَكَهُ وَغَادَ لِلْمَدِينَةِ ، وَتَدَامَ ابْنُ الزَّبِيرِ عَلَى^١ الَّذِي صَنَعَهُ مَعَ الْحَصِينِ • فَأَرْسَلَ خَلْفَهُ يَطْلُبُ بَيْعَتَهُ وَأَنْ يَأْخُذَ لَهُ الْبَيْعَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَسَاسٍ أَنْ يَبْقَى عَبْدُ اللَّهِ فِي مَكَّةَ فَرَفَضَ الْحَصِينُ ذَلِكَ (١) •

وَضَعَفَ مَعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ حَمَلِ هَذَا الْعَبِّ الثَّقِيلِ الَّذِي خَلْفَهُ لَهُ أَبُوهُ ، وَاخْتَلَفَ بَنُو أُمَيَّةَ عَلَى الْخُلَافَةِ ، وَبَدَأَتْ دَلَائِلُ النَّصْرِ تَبْدُو لِابْنِ الزَّبِيرِ فَقَدْ حَقَّقَ كَثِيرًا مِنَ النَّجَاحِ فِي حَرْبِهِ ضِدَّ الْخَوَارِجِ (٢) ، وَانْهَزَمَ جَيْشُ ابْنِ زِيَادٍ الزَّاحِفِ عَلَى الْعِرَاقِ وَقَتْلَهُ الْمُخْتَارَ ، ثُمَّ دَارَتْ الدَّائِرَةُ عَلَى الْمُخْتَارِ وَصَرَعَهُ مَصْعَبُ ، وَاتَّسَعَ مَلِكُ ابْنِ الزَّبِيرِ حَتَّى شَمَلَ مِصْرَ وَالْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَمِنْ بِالْقِبْلَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْجَزِيرَةِ إِلَّا أَهْلَ الْأُرْدُنِ (٣) •

بَدَأَ النِّهَايَةُ :

وَبَدَأَتْ نِهَايَةُ الرَّجُلِ تَلُوحُ عِنْدَمَا اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فِي الشَّامِ ، فَقَدْ سَارَعَ هَذَا وَهَزَمَ أَتْبَاعَ ابْنِ الزَّبِيرِ فِي سُورِيَا فِي مَوْقِعَةٍ مَرَجٍ رَاهِطٍ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى مِصْرَ وَمَعَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ فَدَانَتْ لَهُ ، وَجَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُرْوَانَ بَعْدَ أَبِيهِ فَبَدَأَ زَحْفَهُ إِلَى الشَّرْقِ وَبَدَأَ صِرَاعَهُ مَعَ مَصْعَبِ بْنِ الزَّبِيرِ الَّذِي كَانَ وَالِيَا لِأَخِيهِ عَلَى الْعِرَاقِيِّينَ ، وَهَزَمَ مَصْعَبُ وَقَتَلَ عِنْدَ نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ « الدَّجِيل » سَنَةَ ٧١ هـ وَلَكِنْ هَزِيمَةُ مَصْعَبِ فِي الْحَقِيقَةِ كَانَتْ سِيَاسِيَةً أَكْثَرَ مِنْهَا حَرْبِيَّةً • وَقَدْ أَسْهَمَ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي هَزِيمَتِهِ ، يَرَوِي ابْنُ قَتَيْبَةَ (٤) أَنَّ مَصْعَبًا جَاءَ بَعْدَ قَتْلِ الْمُخْتَارِ حَاجًا وَمَعَهُ رُؤَسَاءُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَوُجُوهُهُمْ وَأَشْرَافُهُمْ ، فَقَدَّمَهُمْ إِلَى أَخِيهِ قَائِلًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ جِئْتُكَ بِرُؤَسَاءِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَشْرَافِهِمْ ، كُلُّهُمْ مَطَاعٌ فِي قَوْمِهِ ، وَهُمْ الَّذِينَ

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٨٦ •

(٢) سيأتي الحديث عن موقف ابن الزبير من الخوارج عند كلامنا عن الخوارج •

(٣) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٠٨ •

(٤) الامامة والسياسة ج ٢ ص ٢٣ •

سارغوا إلى بيتك ، وقاموا بإحياء دعوتك ، ونابذوا أهل معصيتك ، وسبعوا في قطع عدوك ، فهب لهم وأعطهم • فقال عبد الله : جئتنى بعييد أهل العراق وتأمر أن أعطيهم مال الله ، لا أفعل ، وأيم الله لوددت أنى أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدرهم ، عشرة من هؤلاء برجل من الشام • قال رجل منهم : علقناك وعلقت أهل الشام • ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده • لا يرجون رفته ، ولا يطمعون فيما معه ، فاجتمعوا وأجمعوا على خلعه وكتبوا إلى عبد الملك بن مروان أن أقبل إلينا •

هذا سبب من الأسباب التي هزمت مصعب ، وهناك سبب آخر هو طبيعة أهل العراق التي كانت تدفعهم دائما للغدر والخيانة في جميع الأحوال وسبب ثالث هو حيلة قام بها عبد الملك بن مروان ، فقد كتب لرؤساء جنود مصعب يدعوهم للانضمام إليه ويعد كلا منهم الوعود الخلابية والمال والجاه والسلطان ، وكان إبراهيم بن الأستر أحد هؤلاء ، فقد تلقى من عبد الملك كتابا مقفلا أدرك إبراهيم ما فيه فأخذه إلى مصعب وتولى مصعب فتحه بنفسه • قال مصعب : انه يعدك بالجاه والمال اذا خذلتني • قال إبراهيم : وقد كتب بمثل ذلك إلى كل القادة ، والرأى عندي أن تقتل هؤلاء القادة الخونة قبل أن يوجهوا الحرب ضدك • قال مصعب : ما كنت لأفعل ذلك حتى يستبين لى أمرهم • قال إبراهيم : فأخري • قال مصعب : ما هي ؟ قال : احبسهم حتى يستبين لك ذلك • قال مصعب : ما كنت لأفعل • قال إبراهيم : فعليك السلام والله لا ترانى بعد في مجلسك أبدا (١) ، أما القادة الآخرون فسرعان ماتخلوا عن مصعب في أخرج الأوقات ، ولما تحققت هزيمة مصعب وكان بجواره ابنه عيسى أرسل له محمد بن مروان رسولا يعطيه الأمان على أن يكف ، فقال مصعب : ان مثلى لا ينصرف عن هذا الموقف الا غالبا أو مغلوبا • فنادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب أن هلم إلى يا ابن أخى فما في الحرب الآن من فائدة • قال مصعب لابنه : ان عمك أمك فامض له ، قال عيسى : والله لا تتحدث نساء قريش أنى أسلمتك وتركتك وحدك للقتل ، وصرع عيسى بين يدي أبيه ، وبقي مصعب يكافح وحده حتى

بن الصليب زائدة بن قدامة لأثر كان له عنده (١) ، ودانت العراق لعبد الملك ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٧٢ هـ .

ولم يبق أمام عبد الملك إلا ابن الزبير في مكة فأرسل له عبد الملك قائدة البطل الحجاج بن يوسف في عشرين ألفا من أهل الشام ، ولم يخرج ابن الزبير لمواجهة الجيش بل تحصن بالحرم ، فرماه الحجاج بالمجانيق ، وانفض الناس من حول ابن الزبير وانفض من حوله ذووه وولداه حمزة وخبيب ، وكان لشدة بخله يجرى على أصحابه في هذه الأيام نصف صاع من التمر ، فتثاقلوا عنه فقال لهم : أكلتم تمرى وعصيتم أمرى . وقد حاول هو أن يستسلم ، ولكن أمه صاحت به : لا تمكن عبيد بنى أمية منك ، ولضربة سيف في عز خير من ضربة سوط في ذل ، قال لها : يا أماء أنى أخاف أن تقتلنى هؤلاء القوم أن يمثلوا بى . قالت : يا بنى ان الشاة لا تتألم للسلخ اذا ذبحت . ودنا منها ليعانقها فمست على جسمه الدرع فقالت له : ما هذا صنيع من يريد ما تريد . فخلع درعه وخرج يقاتل حتى قتل سنة ٧٣ هـ . وأرسل الحجاج رأسه الى عبد الملك وطلب جسمه . وبعد بضعة أيام خرجت أمه على الحجاج وهى عجوز عمياء فقالت له : أما لهذا الراكب أن ينزل ؟ فسأل الحجاج من هذه ! فقيل له أنها أسماء أم عبد الله ابن الزبير ، فأنزله الحجاج اكراما لها وأمر بدفنه (٢) .

وقد رآه عبد الله بن عمر وهو مصلوب فقال : يرحمك الله أبا خبيب ، لولا ثلاث كن فيك لقلت أنت أنت : الحادك (٣) في الحرم ، ومسارعتك الى الفتنة ، وبخل بكفك ، وما زلت أتخوف عليك هذا المركب وما صرت اليه منذ

(١) الطبرى ٥ : ٨-٩ واليعقوبى ٣ : ١٠-١١ الامامة والسياسة ٢٣-٢٦

(٢) الطبرى واليعقوبى والامامة والسياسة وابن الاثير والنخري .

(٣) هكذا فى الاصل ولعلها « لجاجك » اذ لا يمكن ان نصف ابن الزبير بالاحاد ، وربما قصد بالاحاد الانحراف الذى اوردناه من قبل عن توقف ابن الزبير عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطبة .

كنت أراك ترمق بغلات شهباء كن لابن حرب فيعجبك ، إلا انه استوس
لدنياه منك (١) .

وأغلب الظن أنه كان في ابن الزبير غير هذه العيوب الثلاثة ، ولكنها
عادة العرب لا يذمون بأكثر من ثلاث ، ولا يمدحون بأكثر من ثلاث فالثلاث
الكريمة عندهم دليل تفوق ، والثلاث الدنيئة دليل تخلف .

مزيد من الدراسة عن عبد الله بن الزبير

خلال يناير سنة ١٩٧٧ كنت أستاذًا زائرًا بجامعة الامام محمد بن
سعود الإسلامية بالرياض ، والتقيت بطلاب هذه الجامعة ودارت مناقشات
حول عدة موضوعات ، وقد كان عبد الله بن الزبير موضوعا لبعض هذه
المناقشات ، فقد قال لي أحد الطلاب انه يعتقد أنني قسوت على عبد الله
ابن الزبير فيما كتبت عنه بالجزء الأول والثاني من هذه الموسوعة ، فهو
صحابي ولا يمكن أن نصفه بالبخل والأنانية و ...

وأجبت اجابات محددة كالآتي :

أولا — أنا لست صانع التاريخ ولكني مدوّن للتاريخ ، فاذا كانت
المصادر تقرر أنه كان بخيلا التزمنا بأن نصفه بالبخل ، واذا كانت المصادر
تجمع على موقفه من الحسين ومن آل أبييبت كان علينا أن نروى ذلك ،
وهكذا .

ثانيا — سألت طلابي : من هو الصحابي ؟ وأجاب بعضهم بأنه الذي
التقى بالرسول وآمن به . وقلت أن هذا التعميم خاطيء فان كثيرين من
الناس التقوا بالرسول وأعلنوا إيمانهم به ، ثم كانوا منافقين ، وبعضهم

لترتد عن الاسلام في حياة الرسول أو بعد وفاته ، وتخلصت من ذلك الى تقرير الحقائق التالية :

١ — الذين التقوا بالرسول وأعلنوا ايمانهم به لم يكونوا أبدا في درجة واحدة من المعارف والصفات والمواهب .

٢ — روى عن الرسول صلوات الله عليه أنه تحدث لمعاصريه عن صحابته فقال : .. بأيهم اقتديتم ، ومعنى هذا انه يحث معاصريه على الاقتداء بصحابته ، فكان « الصحابة » طائفة خاصة تعمقت صلواتهم بالرسول ، وقوى انتفاعهم به . وبالمبادئ السامية التي جاء بها ، وقد كانت الوفود تنفذ للرسول ، وتعلن ايمانها بالاسلام ، وتعيش بالمدينة بضعة أيام ، فاذا حان موعد عودتها بعث الرسول بعض صحابته معهم ، ليقرئهم القرآن ويعلمهم ويؤمهم في الصلاة ... وفي ضوء هذا التفكير يمكن أن نتعرف على عبد الله بن الزبير ، فقد توفي الرسول وهو في التاسعة من عمره ، وكان الرسول في سنني ما بعد الهجرة منشغلا بين الغزوات وتبليغ التشريع وبناء المجتمع الجديد ، وبالتالي لم تطل لقاءاته مع ابن الزبير الذي كان بين الطفولة ومطلع الصبا طيلة معاصرته للرسول

وربما قنع هؤلاء الطلاب أو أكثرهم بذلك المنطق ، ولكن بقي في نفسى شيء ، فأنا حريص كل الحرص على الدقة ما استطعت السبيل لذلك وبخاصة أن أحد الطلاب اعترض على الاعتماد على اليعقوبى لتشييعه واحتمال التحامل منه .

وظل هذا الموضوع يشغلنى حتى عدت الى القاهرة ، وفي القاهرة أثرت الموضوع ، وجمعت المصادر المتصلة بابن الزبير لأتدارسه من جديد لعلنى أصل الى أدق الحقائق التاريخية بكل الانصاف والتجرد ، ويشهد

إله أننى كنت مستعداً لأى اتجاه تدفعنى له الدراسة الجديدة ، وقد جعلت من المبادئ التى اتخذتها لاعادة الدرس ألا أعتمد على اليعقوبى إلا اذا انفرد بذكر قضية معينة ، وفى هذه الحال نذكرها بصيغة الاحتمال لا بصيغة التسليم والقبول .

وبدأنا الدرس بصبر وأناة ، وأقرر بدقة وعمق أننا لم نجد فضائل ومفاجئ تنسب لابن الزبير خلال الفترة الطويلة التى تمتد من عهد الامام على الى عبد الملك بن مروان ، فيما عدا اشارات الى ورعة وكثرة صلاته وتعبدته وهى أشياء نسلم بها ، أما علاقاته بأهله وبآل البيت وبالناس ، فقد وجدنا عنها مزيداً من الروايات نقدم فيما يلى بعضها :

بخل ابن الزبير :

يقول المسعودى (١) : ان ابن الزبير أظهر الزهد فى الدنيا والعبادة مع الحرص على الخلافة ، وكان يقول : أنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب ، مع شحه بالدنيا على سائر الناس ، وفى شحه يقول أبو وجرة مولى الزبير :

ان الموالى أمت وهى عاتبة

على الخليفة تشكو الجوع والحربا

ويذكر ابن كثير (٢) أن الثورى يروى عن عبد الله بن أبي بشير عن عبد الله بن مساور أنه قال : سمعت ابن عباس يعاتب ابن الزبير على الخلل ويقول له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليس بمؤمن من مات شبعان وجاره جائع وهو يعلم .

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٩٩ .

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٣٩ .

(١) ويقول ابن طباطبا (١) ان عبد الله بن الزبير كان قد اعتصم بمكة وبايعه أهل الحجاز والعراق ، وكان عظيم الشح ولذلك لم يتم أمره .

وذكر ابن الأثير (٢) أنه عندما اشتد القتال بين ابن الزبير وبين الحجاج ، غلت الأسعار عند ابن الزبير غلاء باهظا ، وأصاب الناس مجاعة شديدة ، مع أن بيوت ابن الزبير كانت مملوءة قمحا وشعيرا وذرة وتمرا وكان ابن الزبير يحفظ ذلك ولا ينفق منه ليزيل مجاعات الناس .

ويروى ابن شاکر الكتبي (٣) : ان علي بن زيد قال عن عبد الله ابن الزبير انه كانت فيه صفات لا تصلح معها الخلافة ، كان بخيلا ، ضيق العطن ، سئ الخلق ، حسودا ، كثير الخلاف .

سوء علاقته ببعض أهله :

كان يزيد بن معاوية قد ولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة ، فسرح منها جيشا الى مكة لحرب ابن الزبير بقيادة عمرو بن الزبير أخى عبد الله ، وكان عمرو منحرفا عن عبد الله ، وقد هزم جيش عمرو ، وظفر عبد الله بن الزبير بأخيه ، فأقامه للناس بباب المسجد الحرام مجردا ، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات (٤) .

(١) الفخرى فى الاداب السلطانية ص ٨٧

(٢) الكامل فى التاريخ : اخبار سنة ٧٣ هـ

(٣) موات الوفیات : ج ١ ص ٤٤٨

(٤) المسعودى : مروج الذهب : ص ٩٩ — ١٥٠

وقد وردت هذه القصة ببعض الزيادات والتفاصيل في ابن الأثير^(١)

وابن كثير^(٢) .

وقد ذكرنا من قبل أنه خذل أخاه مصعب بن الزبير مع بطولته ومكانته

العسكرية ، وأن ولديه تركاه وانضما لجيش الحجاج .

بسوء علاقته بآل البيت :

يروى المسعودي^(٣) : أن ابن الزبير سأل ابن عباس قائلاً أنت الذي تؤنبني ؟ فقال ابن عباس : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس المسلم الذي يشبع ويجوع جاره . فقال ابن الزبير : انى لأكتم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة .

ويذكر ابن شاکر الكتبي^(٤) ان عبد الله بن الزبير أخرج محمد بن

الحنفية من مكة ، ونفى عبد الله بن عباس الى الطائف .

ويروى المسعودي^(٥) كذلك أن عبد الله بن الزبير قبض على الحسن ابن محمد بن الحنفية ، وحبس في السجن المعروف بسجن غارم ، وهو سجن موحش مظلم ، وأراد قتله لولا أن الحسن احتال وتخلص من السجن وهرب مخترقا الجبال حتى وصل « منى » وبها أبوه محمد ابن الحنفية . وفي ذلك يقول ابن كثير :

(١) ج ٤ ص ١٧

(٢) ج ٨ ص ١٤٩

(٣) مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٢

(٤) فوات الوفيات : ج ١ ص ٤٤٨ :

(٥) مروج الذهب : ج ٢ ص ١٠٠ .

تقول مرء أنت بالبيت عائد

يسل العائد المظلوم في سجن غارم

ويسمر المسعودى كذلك أن ابن الزبير عمد الى من بمكة من بنى هاشم فخصرهم في الشعب ، وجمع لهم خطبا عظيما لو وقعت فيه شرارة من نار لما سلم من الموت أحد ، وكان فيهم محمد بن الحنفية •

ويستمر المسعودى ليذكر أن المختار بن أبى عبيد أرسل خيلا عظيمة بقيادة أبى عبد الله الجدلى ، لانتفاذ آل البيت من الشعب قبل أن يهلكوا وقد خاف أبو عبد الله أن يعرف ابن الزبير خبر هذا الزحف فيعجل بالقضاء على بنى هاشم ، فاختار ثمانمائة ، وزحف بهم في هدوء ، فما شعر ابن الزبير الا والرايات تخفق فوق رأسه • قال أبو عبد الله : فجئنا الى بنى هاشم بالشعب فأخرجناهم ، وقال لنا محمد ابن الحنفية : لا تقتلوا الا من قاتلكم فلما رأى ابن الزبير جموعنا وقواتنا لاذ بأستار الكعبة وقال : أنا عائد بالكعبة (١) •

ويتحدث ابن الأثير والمسعودى أحاديث طويلة عن الجهود التى بذلها ابن الزبير ليحسن للإمام الحسين أن يخرج من مكة الى الكوفة ليخلو له الحجاز ، ويؤكد هذان المؤلفان أن ابن الزبير لم يكن مخلصا في نصحه ذلك للحسين ولم يرد له الخير (٢) •

ابن الزبير وموقعة الجمل :

تحدثنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة عن الدور الذى قسام به

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة

(٢) الكامل ج ٤ ص ١٥ — ١٦ ومروج الذهب ج ٢ ص ٨٧

عبد الله بن الزبير حتى حدثت موقعة الجمل التي سقط فيها آلاف المسلمين ونورد هنا بعض الروايات التي تتصل بموقعة الجمل ، حتى تكمل الصورة عن عبد الله بن الزبير :

ماء الجواب : ذكرنا عند الحديث عن موقعة الجمل أن السيدة عائشة توقفت في الطريق عندما نبحتها كلاب وقيل لها أنها بموقع يسمى « الجواب » ... ويروى ابن الأثير (١) أن عبد الله بن الزبير قال لها أن ذلك المكان ليس الجواب ، وأن من قال ذلك فقد كذب ، فلما تمسكت السيدة عائشة بموقفها جاءها عبد الله من طريق آخر ، اذ صرخ قائلاً : النجاة النجاة ، لقد أدرككم على بن أبي طالب ، فارتحلوا الى البصرة .

الزبي والعودة قبل معركة الجمل :

عندما ذكر الامام علي الزبير بقول الرسول له : ستحاربه وأنت له ظالم أصر هذا على ترك القتال والعودة ، فقال له ابنه عبد الله لماذا تتركنا ؟ فقال يا بنى : ذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد نسيت . فقال لا والله ولكنك قررت من سيوف بنى عبد المطلب ، فانها طوال حداد تحملها فتية أنجاد . قال : لا والله ، ولكني ذكرت ما انسانية الدهر فاخترت العار على النار أبالجين تعيرني لا أبالك ثم أمال سناناه وشد في الميمنة . فقال على أفرجوا له فقد هاجوه ثم رجع فشد في المسيرة ، ثم رجع فشد في القلب ، ثم عاد الى ابنه فقال : أيفعل هذا جبان ؟ ثم مضى منصرفاً (٢) .

(١) الكامل ج ٣ ص ٨٢

ينكر القاضي أبو بكر بن عبد العزيز حديث الجواب ويقرر أن الرسول لم يقل هذا الحديث ، ولا جرى هذا الباطل ...

(انظر العواصم من القواصم ص ١٦١) وقد روى الطبري والمؤرخون من بعده هذا الحديث ولكن الشيخ محب الدين الخطيب يجرح الرواة أو يصنفهم بأنهم مجهولون .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ١٠

اختفاء عبد الله بن الزبير بعد معركة الجمل :

بعد أن سقط الآلاف في معركة الجمل هتف بعض النسوة في وجه علي بأنه قاتل الأجنة فقال علي : لو كنت قاتل الأجنة لقتلت من في هذا البيت : وأشار الى بيت ذكر انه يعرف أن به مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عامر ، ولكنه لا يريد بهم السوء ، وقد خاف أتباع علي أن يأخذهم هؤلاء على غرة فأمسكوا بقوائم سيوفهم استعدادا لما قد يحدث (١) .

ولما عرفت السيدة عائشة أن عليا يعرف مخبأ عبد الله بن الزبير طلبت من علي أن يؤمنه فاستجاب لها وأمنه (٢) .



هذا هو عبد الله بن الزبير بكل الدقة التاريخية والحيدة ، ولله في خلقه شئون .

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ١٤
(٢) المسعودي السابق ونفس الصفحة .

الخوارج

لون جديد من الحركات الفكرية والثورية التي حدثت في الدولة الأموية والحديث عن الخوارج سيثمل — كما اتبعنا في حديثنا عن الشيعة — أفكارهم وتاريخهم ، ولكننا هنا نتساءل هل نبداً حديثنا عنهم بشرح أفكارهم ثم نتحدث عن تاريخهم كما سرنا عند الكلام عن الشيعة ؟ أو نبداً هنا بذكر تاريخهم ثم نقلوه بشرح أفكارهم ؟

عندي أن النهج الثاني أكثر ملاءمة للخوارج ، فسنرى أن تاريخهم كان أقدم من أفكارهم ، لقد ثاروا على عليّ ثم حاولوا أن يجدوا سبباً لثورتهم ، وطالما أعياهم العنور على السبب فعادوا الى علي ، ثم عاودهم الحنين الى الانشقاق فعادوا ينشقون عليه ، وذلك بخلاف الشيعة الذين تكونت أفكارهم قبل أن تبدأ ثوراتهم وحركاتهم ، فاذا كان النهج الأول لأم الشيعة فأعتقد أن الثاني يلائم الخوارج .

والخوارج هم الاسم الغالب على هذه الطائفة وقد اشتق هذا الاسم من الفعل « خرج » لأنهم خرجوا على علي بعد أن كانوا ضمن أتباعه ، وهم يطلقون على أنفسهم « الشراة » أى الذين شروا آخرتهم بدنياههم ، كما يطلق عليهم أيضا الحرورية نسبة الى حروراء وهو موضع على الفرات بقرب الرقة نزلوا به إثر عودة عليّ وجيشه من صفين ولم يريدوا أن يدخلوا الكوفة ، ومن الأسماء التي تطلق عليهم أيضا « المحكمة » أى الذين يقولون لا حكم الا الله .

وقد سبق أن تحدثنا في الجزء الأول من هذه الموسوعة عن نشأة الخوارج ولكننا كنا هناك نتحدث على خلافة علي ، فماقتصرنا — فيما ذكرناه من حديث الخوارج على ما يتصل بعلي ، ونحن هنا الآن نتحدث عن الخوارج أنفسهم ، وذلك يقتضى أن نعود للكلام عنهم بشئ من التفصيل .

فبقي موقعة صفين كاد على أن يحرز النصر ، ولكن معاوية حينئذ رأى نفسه أوشك أن ينهزم في ميدان القتال لجأ الى الميدان الذي لا يجاريه على فيه ، وهو ميدان الدماء والحيلة ، وكان مع معاوية داهية للعرب عمرو بن العاص فصاح به معاوية : هلكتنا يا ابن العاص فهلّم مخبأتك فأشار عمرو أن يرقع الجنود المساحف على أسنة الرماح وأن يصيحوا فريد تحكيم كتاب الله .

وأدرك على الخدعة ، ولكن سيوف جنده كانت قد كلت ، وكانما كانوا ينتظرون هذه الصيحة بصبر وشيك النفاد ، فتراجع كثير منهم واستجابوا لرغبة أعدائهم ، وحاول على أن يحثهم على المضي في الحرب حتى يكسبوا النصر الذي كان منهم قاب قوسين أو أدنى ، ولكن سلطان على على جيشه كان دائما ضعيفا كما أوضحنا ذلك عند الحديث عن على فلم يذعن هؤلاء له ، وأصروا على وقف القتال ، وتولى قيادة المتمردين الأشعث بن قيس الكندي ومسعر بن فذكي التميمي وزيد بن حصين الطائي ، وصاح هؤلاء بعلى : القوم يدعوننا الى كتاب الله وأنت تدعوننا للسيف . فأجابهم على : أنا أعلم بكتاب الله ، انفروا الى بقية الأحزاب . . . وحاول على أن يثنيهم أو على الأقل أن يرجي الاستجابة الى طلبهم ليعطى قائده الأستر فرصة يتوج بها انتصاراته على جيش معاوية ، اذ لم يكن قد بقي أمام الأستر الا شرذمة قليلة من أهل الشام على وشك الهزيمة ، ولكن الأشعث بن قيس صاح بعلى : لترجعن الأستر أو لنفعلن بك ما فعلنا يثمان (١) ، فأرسل على الى الأستر يستدعيه ولكن الأستر أجابه : ليس هذه الساعة فزيلتي عن موضعي ، وقد رجوت أن يفتح الله لي فيها فلا تعجلتني . ولما عرف الأشعث وأصحابه إجابة الأستر زادت ثورتهم واثموا عليها يأتيه الذي أوعز للأستر بالاستمرار في القتال ، وأطلت الفتنة ، فأعاد على الرسول للأستر وقال له : ويحك : قل للأستر أن يقبل فان الفتنة وقعت . فعاد رسول على وهو يزيد بن هاني يخبر الأستر بذلك ولما أحس

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٠٥ .

(م ١٦ - التاريخ الاسلامي)

يزيد التردد من الأستر قال له : أتحب أنك ظفرت هنا وأميز المؤمنين يقتل أو يسلم هناك ؟ قال الأستر : لا والله ، سبحان الله • قال يزيد : هو كذلك ، لقد هددوه بالقتل أو بدفعه لأهل الشام ان لم تعد • فعاد الأستر وأوقف القتال (١) •

وهكذا انتصر الأشعث بن قيس ورفاقه (٢) ، ولكن هذا الانتصار كان مطلع فرقة ومطلع حروب قاسية ، فان الأستر وأتباعه هاجموا هؤلاء المتمردين واغلظوا لهم القول وعدوهم خونة (٣) ، على أنه يبدو أن الغالبية من أصحاب على استطابت الى حين هذا الهدوء ونعمت بالراحة التي لم تكحل لهم عينا منذ مطلع خلافة على ، واستأذن الأشعث عليا أن يأتي معاوية ليسأله ماذا يريد برفع المصاحف ، فأذن له على أن يأتيه ، فلما جاءه قال معاوية : لنرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله به في كتابه ، تبعثون منكم رجلا ترضونه • ونبعث منا رجلا ، ثم نأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله لا يعدوا انه ، ثم نتبع ما اتفقا عليه (٤) •

وبدأت بذلك مرحلة أخرى من الخلاف في جيش على ، فقد أجمع أهل الشام رأيهم على اختيار عمرو بن العاص داهية العرب ، ورأى على أن يقدم عبد الله بن العباس ، ولكن أصحاب على أبوا عليه ذلك وقالوا ان ابن العباس قريب القرابة منك ، ضنين بأمرك ، فعرض على أن يقدم الأستر فصاحوا به : وهل سَعَرَ الأرضَ غيرُ الأستر ، والعجيب أن هؤلاء لم يسمحوا لعلی أن يختار شخصا قريب الصلة به ، وأصروا على أن يختاروا شخصا محايدا ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك مع معاوية وتركوه يختار شخصا تجتمع فيه كل الصفات التي تسبب رجحان كفته ، فهو قريب من معاوية ،

(١) تاريخ الطبری ج ٤ ص ٣٤ — ٣٦ •

(٢) سيأتي مزيد من ابراز دور الأشعث عند الكلام عن « سبب حركات الخوارج » بعد قليل •

٣٥٤ — ٣٦ •

(٣) انظر خطاب الأستر لهؤلاء عقب عودته من ميدان القتال : السلب ي

(٤) المرجع السابق ص ٣٦ •

متحد معه في المصالح ، ثم هو داهية من دواهي العرب • ليت شعري كيف قبل على هذا الوضع الذليل ؟ ألم يكن في مقدوره أن يتنازل عن خلافة لا سلطان له فيها ؟ وعلى كل حال فقد قدمت الأغلبية أبا موسى الأشعري • فقال على لهم : لقد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن ، وليس أبو موسى بثقة لي ، فقد فارقني وخذل الناس عني ، ثم هرب مني حتى أمكنته • ولكن أهل العراق أصروا على رأيهم ، فاستسلم على عن غير رضا (١) وحدد الطرفان دومة الجندل مكانا للاجتماع على أن يكون في شهر رمضان من نفس العام (٣٧) وكتبت وثيقة بهذا الاتفاق (٢) •

وعاد الجيشان بعد أن استقر الرأي على التحكيم ، ولكن عودة جيش معاوية كانت تعتبر عودة ظافرة لنجاتهم من الهزيمة ، ولو حدة كلمتهم ، وللأمل في المستقبل ، وكانت عودة جيش على تنبئ بهزيمة لا محيص عنها ، فقد عادوا في صراع وخلاف ومناوشات ، ووصل على الى الكوفة ولكن ببعض جيشه ، أما البعض الآخر فقد اعتزله وخرج عليه وعرج على قرية حروراء ، ولم يرد هؤلاء أن يدخلوا الكوفة ، والعجيب أن هؤلاء كانوا ممن أكرهوا عليا على قبول التحكيم •

وذهب على الى هؤلاء الخوارج وحادثهم قائلا : أنشدكم الله ، هل علمتم أن أحدا كان أكره للحكومة مني ؟ قالوا : اللهم لا • قال أفعلمتم أنكم أكرهتموني عليها حتى قبلتها ؟ قالوا : اللهم نعم • قال : فعلام خالفتموني ونابذتموني ؟ قالوا : انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله منه ، فقتب أنت الى الله منه ، واستغفره نعد اليك • فقال على : استغفر الله من كل ذنب • فرجعوا معه وكان عددهم حوالي ستة آلاف (٣) •

وأنشاع هؤلاء في الكوفة أن عليا اعتبر التحكيم اثما وندم عليه وعاد

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٦ والامامة والسياسة ج ١ ص ١٢٦ — ١٢٧

(٢) الطبري ج ٣ ص ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٢ •

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٢٨٨ •

عنه واستغفر الله منه . فجاء الأشعث بن قيس علياً وسأله عن ذلك فقال
علي : من زعم أنى رجعت عن الحكومة فقد كذب ، ومن رآها ضاللاً فهو
أضل منها . فخرج عنه الخوارج مرة أخرى ، فأرسل اليهم عبد الله
ابن عباس فناظرهم ووضح لهم ما خفى عليهم .

قالوا له : ان علياً أتى عظيماً حينما حكم الرجال في الدماء ولا حكم
الآله .

فأجاب : أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرباب تساوى
ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق رجل وأمراته ؟ وأما علمتم أن
النبي أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية ؟

قالوا : نعم ولكن علياً محا نفسه من خلافة المسلمين .

فأجاب : وكذلك فعل الرسول ، فقد محا اسمه من النبوة عند صلح
الحديبية ولكنه ظل نبياً .

وقبل بعضهم رأى عبد الله بن عباس فرجع الى علي ، وهتف
آخرون بعد أن أعياهم الحق : لا تحتاجوا هذا ، فانه من القوم الذين
قال الله فيهم « بل هم قوم خصمون » (١) ، وقال فيهم أيضاً ،
« وتنذر به قوماً إذا » (٢) ، واستمر هؤلاء في انشقاقهم ولم يريدوا
العودة الى علي (٣) .

وجاء أوان التحكيم ، واجتمع الحكمان بدومة الجندل ، ولم
يكن أبو موسى كفئاً لهذا العمل الخطير ، ولا كان يستطيع أن يكون
نظيراً للداهية عمرو بن العاص ، وكان أهل العراق خلف أبي موسى
غير متفقين في الرضا عنه كما كانوا متفرقي الكلمة ، وكان أهل الشام

(١) سورة الزخرف الآية ٨ .

(٢) سورة مريم الآية ٩٨ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٧ ص ٣٨٩ .

ثالثاً ابن العاص كالبنيان المرصوص ، وكانت نتيجة التحكيم تناسب هذه المقدرات ، كانت هزيمة وخدعة جازت على أبي موسى كما وصفناها في الجزء الأول من هذه الموسوعة ، والذي يهمنا هنا أنها فتحت باباً جديداً في الفرقة وقوّت جانب الخارجين على علي ، ولم يعد هناك أمل في عودة الخوارج اليه .

وربما جاز القول بأنه هنا تكون حزب الخوارج ، وبدأت أفكارهم تظهر وتتضح مشوبة بمبالغات عنيفة وصلت الى تكفير عثمان وتكفير أصحاب الجمل ، ثم تمادى هؤلاء فعبثوا بأموال الناس وبأرواحهم واستباحوا قتل كل من لم ينضم اليهم من المسلمين ، اذ عدوا من سواهم كفاراً ومرتدين ، وكان من ضحاياهم عبد الله بن خباب ، اذ لقوه وفي عنقه المصحف ومعه زوجته وهي حامل فقالوا له : ان هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك : ثم ذبحوه ، وبقرؤوا بطن زوجته ، ولما لالاهم على بقتله ليقتلهم فيه ، قالوا : كلنا شركنا في قتله وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي فخرج بهم الى النهروان ، وهي كورة واسعة بين بندان الحالية وواسط (١) . وكانت بيعة ابن وهب في منزل زيد بن حصين ، وتولى بيعته زعماء الخوارج وهم عبد الله الكواء وعروة بن جريز بن عاصم (٢) ، وبدأ بذلك صراع الخوارج الحربي .

موقعة النهروان :

واضطر على ازاء ذلك أن يسير للخوارج بجيشه ، وخطب فيهم على يحثهم على الطاعة والعودة لرحابه وتقديم قتلة عبد الله بن خباب ، وذكرهم أنهم هم الذين أرغموه على قبول التحكيم ، فقالوا له مقالة شنيعة ، قالوا : انا كفرنا بتحكيما الرجال ، وتبنا الى الله

(١) العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٤ .

(٢) الامامة والسياسة ج ١ ص ٣٧ و ١٤٢ والشهر مستأنى : المال والنحل القسم الاول حمص ١٠٧ - ١٠٨ والطبري ج ٤ ص ١ : ٨٩ .

وعدنا الى الاسلام فاشهد على نفسك بالكفر وتب الى الله كما تبنا وعد الى الاسلام بعد اليك ، وسخر على من هذا الطلب الدنيء وقال لهم : أبعد ايمانى وهجرتى وجهادى مع رسول الله أشهد على نفسى بالكفر ؟ وما دخل الكفر لحظة نفسى منذ آمنت بالله فقالوا لن نخاطبك بشيء غير هذا وبيننا وبينكم الحرب ، فاستعد على محاربتهم ونظم جنده ، وقبل أن يلتقى الفريقان أمر على* أبا أيوب الأنصارى فرفع لهم راية أمان وناداهم : من جاء منكم الى هذه الرواية فهو آمن ، ومن دخل المصر فهو آمن ، ومن انصرف الى العراق فهو آمن ، ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن فانصرف بعضهم وبقي أكثرهم ، ووقف على بجيشه وقفة استعداد وتهيؤ ، ولكنه قال لأصحابه لا تبدءوهم بالحرب حتى يبدءوكم ، وسرعان ما تشد الخوارج على أصحاب على فشدد هؤلاء عليهم ، ولم تكن الا جولة سريعة حتى خر هؤلاء ، ويقول الثعالبى فى رواية ابن قتبية (١) : والله ما لبثوا الا فواقاً حتى صرعهم الله كأنهم قيل لهم : موتوا فماتوا ، ويقولون انه لم ينج منهم الا عدد لم يبلغ العشرة ، وما قتل من جيش على* الا أقل من عشرة (٢) .

وموقعة النهروان ذات نتائج خطيرة أهمها أنه لم يعد هناك أمل فى عودة الخوارج الى صفوف على أو الى صفوف الجماعة على العموم ، وكان الخوارج يتذكرون ما حل باخوانهم فى النهروان فتشدد حماسهم وتتأجج أحقادهم ، ومن نتائج النهروان كذلك أن تفرق الذين نجوا من المعركة فذهب اثنان الى عمان ، واثنان الى كرمان ، واثنان الى سجستان ، واثنان الى الجزيرة وواحد الى اليمن ، وظهرت بدع الخوارج فى هذه المواضع منهم (٣) حيث انضم لهم جمهور من الساخطين .

(١) الامامة السياسية ج ١ ص ١٤٤ .

(٢) الشهر ستانى : الملل والنحل : القسم الأول ص ١٠٧ .

(٣) المرجع السابق .

نهاية على :

ودبر الخوارج مؤامرة للفتك بعلي بن أبي طالب ومعاوية وعمر بن العاص ، ولكن هذه المؤامرة لم تتجح إلا في القضاء على علي ، وكان قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم ، وقد عد الخوارج ابن ملجم بطلا مجاهداً واعتبروا عمله هذا وسيلة تقربه الى الله وتضمن له الجنة ، وفي ذلك يقول عمران بن حطان أحد شعراء الخوارج :

يا ضربة من منيب ما أراد بها
الا ليبلغ عند العرش رضوانا

أنى لأذكره يوماً فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزاناً (١)

الخوارج في عهد الدولة الأموية :

لئن عادى الخوارج علياً وكرهوه فقد كان عداؤهم لبني أمية أشد وأعظم ، ولذلك نجد صراعهم يطول في عهد الدولة الأموية ، ونجدهم في كثير من الأحيان يظفرون ويكوّنون لأنفسهم سلطة ونفوذاً ، فقد استطاع خوارج العراق أن يستولوا على كرمان وبلاد فارس ويهددوا البصرة ، وقد تصدى لهم المهلب بن أبي صفرة وطال صراعه معهم ، ولولا انسحاقهم على أنفسهم لكان من المحتمل أن يكون لهم الظفر والفوز ، ومن أشهر قادة هذا الفرع نافع بن الأزرق وقطرى بن الفجاءة ، ويعرف هذا الفرع بالأزارقة ، وهناك فرع آخر من الخوارج نال نصيباً من التوثيق وإن لم يصل الى مكانة فرع العراق ، ذلك هو الفرع الذي استولى على جنوب الجزيرة العربية والطائف ، ومن أشهر قادة هذا الفرع أبو طالوت نجدة بن عامر وأبو فديك .

(١) الشهرستاني : الملل والنحل القسم الأول ص ١٠٩ .

وسنذكر فيما يلي بعض التفاصيل لنشاط الخوارج في عهد الدولة الأموية :

في عهد معاوية :

كان تنازل الحسن بن علي لمعاوية ، وبيعته وبيعة الحسين اليه ، سبباً هاماً لهدوء الشيعة في أثناء عهد معاوية ، وقد دخل معاوية الكوفة وبايعه أهلها سنة ٤١ هـ عقب تنازل الحسن ، ولكن بقي عدو آخر لمعاوية أكثر من الشيعة إخلاصاً لفكرته وأكثر منهم استعداداً للتضحية ، ذلك من الخوارج ، وقد كان بين الخوارج وبين علي نوع من الصلات ، فقد كانوا في يوم من الأيام أتباعه وجنده ولذلك اعتزله بعضهم دون أن يحاربوه ، ولكن عداءهم لمعاوية كان عميق الجذور ، ولذلك أحسوا أن الواجب يدفعهم لمقاتلة هذا الغاصب ، الذي يعيش عيشة الملوك ، ويسكن القصور ، ويلبس الرياش ، ويتخذ الحجاب .

ومن أجل هذا توالى ثورات الخوارج في عهد معاوية ، ولعل أول من ثار في عهد معاوية من الخوارج هو فروة بن نوفل الأشجعي فقد هتف في الخوارج عقب تنازل الحسن لمعاوية ودخول هذا الكوفة قائلاً : قد جاء الآن مالا شك فيه ، فسيروا الى معاوية فجاهدوه ، وقد أرسل اليه معاوية خيلاً من أهل الشام فردها مهزومة ، وحينئذ صاح معاوية في أهل الكوفة : لا أمان لكم عندي حتى تكفوا بوائقكم . فخرج أهل الكوفة يحاربون الخوارج ، فقال لهم الخوارج : ويلكم ما تبغون منا ؟ أليس معاوية عدونا وعدوكم ؟ دعونا حتى نقاتله فإن أضربناه كنا قد كفيناكم عدوكم ، وإن أصابنا كفيتمونا ولكن أهل الكوفة استمروا في قتالهم حتى هزموهم (١) .

وفي المأم التالى (٤٢ هـ) تجمع جرحى النهروان والذين اعتزلوا القتال يوم النهروان وذكروا صراهم الذين ماتوا للدفاع عن مبادئهم ، وجعلوا أمارتهم الى المستورد بن علفه وحيان بن ظبيان

(١) الطبرى ج ٤ ص ١٢٦ .

ومعاذ بن جوين ، وكانت القيادة للأول ، وتجمع حول هؤلاء عدد كبير من الخوارج وأصبح لهم سطوة ونفوذ واتعدوا على يوم يخرجون فيه ، ولكن وإلى الكوفة المغيرة بن شعبة استطاع أن يقبض على بعض زعمائهم قبل اليوم الموعد وفيهم حيان ومعاذ ، ولكن المستورد بن علفة الذي أعطاه الخوارج لقب أمير المؤمنين لم يقبض عليه ، فأعد العدة وخرج بأصحابه ، ولكن المغيرة أرسل له جيشاً كثيفاً بقيادة معقل ابن قيس فاستطاع هذا الجيش أن ينتصر عليهم بعد مراك طويلة (١) .

ولما تم الصلح بين معاوية وزيد بن أبيه عين هذا والياً على البصرة سنة ٤٥ هـ ، وبعد موت المغيرة سنة ٥١ هـ امتدت ولاية زياد فشمكت الكوفة أيضاً ، وقد بذل زياد جهداً كبيراً في حرب الخوارج حتى قلم أظفارهم وأضعف شوكتهم .

ولما مات زياد وتولى البصرة ابنه عبيد الله بن زياد سنة ٥٥ هـ بدأت حركات الخوارج تظهر من جديد ، ولكن عبيد الله قابلهم بشدة وصرامة لا تقلان عن شدة أبيه وصرامته ، فقتل منهم جماعة صبراً منهم عروة ابن أدية أخو أبي بلال مرداس بن أدية (٢) ، كما قتل في الحروب منهم عدداً كبيراً منهم أبو بلال مرداس (٣) سالف الذكر ، وبعد قتل أبي بلال تجرد عبد الله لاستئصالهم وهالكهم كما يقول الطبرى (٤) .

الخوارج والمهلب بن أبي صفرة : (عهد ابن الزبير ثم عبد الملك)

يرتبط تاريخ الخوارج في أزهى عصورهم بالبطل الكبير المهلب بن أبي صفرة ، فقد شهد العقد السادس الهجرى والسنون الأولى من العقد السابع وفاة الأبطال الذين سدوا كل الطرق في وجه الخوارج ،

(١) الطبرى ج ٤ ص ١٣١ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣١ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٦٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٦ .

فقد توفى المغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه ومعاوية وعبيد الله بن زياد ، فكانما انطلق الخوارج بذلك من العقال ، وساعد على ذلك ذكرهم للدماء التي أراقها الأمويون منهم وللأرواح التي أزهقوها في شدة وغلظة ، كما ساعد على ذلك أيضاً اضطراب الأحوال بعد موت معاوية ، ثم انه كان قد تهيأ للخوارج قيادة رائعة على يد البطلين الشهيرين نافع بن الأزرق وقطرى بن الفجاءة .

وبينما تطور شأن الخوارج على هذا النحو ظهرت في وجوههم قيادة تشبههم في البطولة أو ترجحهم ، تلك هي قيادة عبد الملك بن مروان والحجاج والمهلب بن أبي صفرة ، ولهذا يمكن القول أنه في عصر عبد الملك ارتطمت قوتان جبارتان ، وتصارعت جبهتان جديدتان ، ولولا الانقسام الذى وقع في صفوف الخوارج لكان من المحتمل أن يتغير وجه التاريخ .

وكان الخوارج بعد موت معاوية قد انضموا الى ابن الزبير ، ولكنهم كما سنبيّن فيما بعد (١) عادوا ولاموا أنفسهم على نصرته ورحلوا من مكة ، ولكنهم انقسموا قسمين كما ذكرنا من قبل ، فاتحة الأزارقة الى البصرة واتجه النجدات الى اليمامة (٢) ، وكان الفرع الأول أقوى وأشدّ مراساً كما كان أكثر تأويلاً ، فقد استحل نافع بن الأزرق قتل الأطفال وكفّر القعدة وعد مال المخالفين حالاً لأصحابه (٣) ، ولقى نافع نجاحاً كبيراً بسبب اضطراب الدولة الأموية آنذاك فدانت له الأهواز وأصبح له النفوذ في السواد ، ولكنه بمبادئه السابقة جلب على نفسه كثيراً من الأعداء حتى أولئك الذين لم يكونوا من أنصار بنى أمية ، ولذلك اجتمع أهل البصرة وولوا عليهم المهلب بن أبي صفرة الذى تصدى لقتالهم وهزمهم وقتل قائدهم نافع بن الأزرق ولكنهم

(١) ص ٢٦٤ و ٢٧٣ من هذا الكتاب .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٨٠ .

(٣) انظر شرحه لرايه في العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٧ — ٣٩٨ .

جددوا نشاطهم مرة أخرى في نواحي كرمان وأصبهان وبخاصة عتقيا
أبعد المهلب عن الوقوف في وجوههم ، إذ امتد نفوذ ابن الزبير إلى
البصرة وعين مصعب المهلب والياً على الجزيرة وعين مكانه عمرو بن
عبيد الله بن معمر لحرب الخوارج ، ولكن هذا لم يستطع أن يملأ
فراغ المهلب فطلب أهل البصرة من مصعب إعادة المهلب فأعاده (١) ،
قطري بن الفجاءة :

وكانت قيادة الخوارج قد آلت إلى بطل شهير هو قطري بن الفجاءة
الذي يقول :

فصبراً في مجال الموت صبراً
فما نيل الخلود بمسقطاع
سبيل الموت غاية كل حى
وداعيه لأهل الأرض داع
وما للمرء خير من حياة
إذا ما عُدد من سَقَطِ المتاع (٢)

وانتهى أمر ابن الزبير ، وألقى على عاتق الحجاج وعبد الله
حرب الخوارج ، فأقرا المهلب ليستمر في نضاله ضد الأزارقة ، وضما له
عبد الرحمن بن مخنف ، ولكن الخوارج باغتوا جيش ابن مخنف ليلاً
فأوقعوا به هزيمة بالغة قتل فيها ابن مخنف نفسه ، واستمر المهلب
يحاربهم في شدة ممزوجة بالسياسة والفتنة مما كسب له النصر .

وحدث خلاف بين أتباع قطري فانقسموا قسمين ، بايع أكثرهم
عبد ربه الكبير وبقي أقلهم مع قطري ، وحارب بعضهم بعضاً حرب
فناء فاضطخوا ، وكان من سياسة المهلب أن يتركهم يتفنى بعضهم البعض

(١) انظر تفاصيل حروب المهلب مع الخوارج في الطبرى ج ٤ ص ٢٧٨
وما بعدها واليعقوبى ج ٣ ص ١ ، والعقد الفريد ج ٢ من ٣٩١ .

(٢) الطبرى وترجمة حياة قطري في ابن خلكان وانظر العقد الفريد ج ١

وقد أذن ذلك بضعف الجمع فاستطاعت جيوش الأمويين قتل قطرى وعبيدة بن هلال وعبد ربه الكبير سنة ٧٧ هـ وهزيمة جيوشهم (١) .

شبيب بن يزيد :

ومن الخوارج الذين هددوا الحجاج وزلزلوا سلطانه ، البطل العظيم شبيب بن يزيد الشيباني الذي أثر عنه قوله : الليل يكفيك الجبان ونصف الشجاع ، وكان اذا أمس الليل قال لأصحابه : اتاكم المدد (٢) وقد خرج سنة ٧٦ هـ وهزم كثيراً من جيوش بنى أمية حتى دخل الكوفة وهدد قصر الحجاج نفسه ، وقد هب الحجاج لمحاربته ودارت بينه وبين الحجاج معارك طاحنة طالما هزمت فيها جيوش الحجاج ، وأخيراً ضعف شبيب وفر ودخل الأهواز ، فأرسل اليه الحجاج جيشاً بقيادة سفیان بن أبرد فطلبه سفیان حتى حاصره في البحر فأغرقه سنة ٧٨ هـ (٣) .

النجدات في الإمامة وسياسة القعود :

وينبغي أن نوضح أن نجدة وأصحابه ممن اتجهوا الى الإمامة كانوا يميلون الى القعود ، أى عدم الحرب ، ولذلك كان نشاطهم محدوداً في هذه البقاع ، وينبغي أن نوضح أيضاً أن الضربات الشديدة التي أوقعها بالخوارج عبد الملك والحجاج والمهلب أزالت خطرهم حتى عم الهدوء آخر عهد عبد الملك وشمل الى حد كبير عهدى الوليد وسليمان .

الخوارج وعمر بن عبد العزيز :

هب الخوارج من جديد في عهد عمر بن عبد العزيز ، وكان خروجهم بالعراق بالقرب من الحيرة ، وكان قائدهم رجلاً من بنى شيبان يسمى شوذب ، وقد أرسل عمر للخوارج جيشاً كبيراً أمر عليه

(١) الطبرى ج ٥ ص ١٢٦ .

(٢) المعتد الفريد ج ١ ص ١١٣

(٣) اليعقوبى ج ٢ ص ١٧ .

مسلمة بن عبد الملك وأمره ألا يحاربهم إلا إذا حاربوه أو أفسدوا في الأرض ، وأرسل في الوقت نفسه رسولا إلى شوذب يدعو لمناظرتهم ليرى أين يكون الحق ، فاستجاب له شوذب وأرسل رجلين من رجاله ، والتقىا بعمر ، ودارت بينهما هذه المناقشة :

عمر : ما الذى أخرجكم علينا ؟

أحد الرجلين : لا ننكر عليك عدلك ولا سيرتك ، ولكن هناك أمرا أخرجنا عليك ، وهو أن أهلك كانوا ظالمين وسميتهم أنت الظلمة ، وسميت أعمالهم مظالم فalcنهم ، فانك إن لعنتهم اتفقنا معك .

قال عمر : لقد حارب أبو بكر المرتدين وسبى نساءهم وذريعتهم ، فلما جاء عمر أعاد هؤلاء إلى ذويهم ، فهل لعن عمر أبا بكر ، وهل تلعنون أنتم أحدهما ؟

الرجل : لا

عمر : وهل كان فرعون ظالما يستحق اللعن ؟

الرجل : نعم

عمر : متى عهدك بلعنه ؟

الرجل : لا أذكر أنى لعنته

عمر : لا عهد لك بلعن فرعون وتريدنى أن العن أهلى ؟

الرجل : وموضوع آخر هو يزيد ، لماذا تقره خليفة من بعدك ؟

عمر : صيره غيرى .

الرجل : أفرايت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه أتراك كنت أدبت الأمانة ؟

عمر : أنظرنى ثلاثة أيام .

وانتهت هذه المناظرة باقتناع الرجلين بأن عمر على حق وأنه يحاول بكل جهده أن يعمل لخير الاسلام والمسلمين ، فبقى أحدهما مع عمر وغادر الآخر لينبئ شاذب بما جرى . ويقول الطبرى أن بنى أمية خافوا أن يعزل عمر يزيد ففسدوا له السم فمات بعد أيام (١) .

الخوارج في آخر الدولة الأموية :

نشطت حركات الشيعة مع مطلع القرن الهجرى الثانى ، واتجهت لهم الأنظار ، وبدءوا يحققون انتصارات سياسية ثم عسكرية ، وهذا أخفى نشاط الخوارج فلم يعد لهم كبير شأن ، وقد تجددت على العموم ثورة شاذب بعد موت عمر بن عبد العزيز ، وحقق بعض الانتصارات فى الكوفة وما حولها فتصدى له مسلمة بن عبد الملك وسعيد بن عمر الحرشى فقتلوا عليه على الرغم مما أبداه من بطولة فائقة وعبقرية حربية نذرة (٢) . وممن ثار فى عهد هشام البهلول بن عمير الشيبانى ، وكانت ثورته بالكوفة فتصدى له خالد بن عبد الله القسرى ، ثم رحل البهلول تجاه الموصل فتبعه جيش خالد حتى قتل ذلك الثائر هناك (٣) وآخر حركاتهم فى عهد الدولة الأموية تلك الحركة التى قام بها أبو حمزة الخارجى بمكة سنة ١٢٩ هـ وقد امتدت انتصاراته الى المدينة سنة ١٣٠ ولكن مروان بن محمد أرسل له جيشاً قضى عليه وعلى أتباعه (٤) .

وسقطت الدولة الأموية بعد أن ضعف شأن الخوارج وكلفت عزيبتهم ولم يبق منهم الا بقية ضئيلة سنرى مرة أخرى ثوراتها ونضالها عند الحديث عن الخلافة العباسية فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة ان شاء الله .

(١) اقرأ المناقشة كاملة فى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٣٠ — ١٢٣٤ وقرأ كتب عمر الى الخوارج ص ٨٣-٨٤ ، ٨٦ : ٨٩ — ٩٠ .
(٢) الطبرى ج ٥ ص ٣٢٦ — ٣٢٧ والعقد الفريد ج ٢ ص ٢ ، ٤ — ٤٠٢.

(٣) اليعقوبى ج ٣ ص ٥٤ .

(٤) المرجع السابق ص ٦٦ .

وقد واجه الخوارج ازهى انتصاراتهم فى عهد الدولة الأموية ، وكانوا عرباً الى البداوة أقرب ، كانوا قليلي الصلة بالثقافات الخارجية ، وهذه العوامل جعلت مذهب الخوارج قليل الفلسفة وجعلت أفكارهم قليلة العمق ، فهم لم يدرسوا بعمق من تلقاء أنفسهم ، ولم يفتحوا أبوابهم وقلوبهم لثقافات الخارج كما فعل الشيعة منذ عهدهم الباكر ، ولم يغمرهم طوفان الفلسفة الذى غمر العالم الاسلامى فى خلال الدولة العباسية ، لأن هذا الطوفان لم يكن قد بدأ ابان عنفوان الخوارج ، فلما بدأ طوفان الثقافة والفلسفة يعم العالم الاسلامى كان نجم الخوارج ، يؤذن بالزوال ، وسنرى فى دراستنا لمبادئهم كيف كانت آراؤهم ضحلة وأفكارهم قليلة العمق .

أفكار الخوارج :

حديثنا عن أفكار الخوارج سيشمل ثلاثة أبحاث :

- (أ) سبب حركات الخوارج .
 - (ب) ملامح الخوارج الغالبة .
 - (ج) فرق الخوارج وآراؤها فى السياسة والدين .
- وسنتكلم عنها واحداً واحداً .
- (أ) سبب حركات الخوارج :

لا يكاد الباحث يجد سبباً حقيقياً جديراً بأن يدفع الخوارج الى اراقة الدماء التى أراقوها وازهاق الأرواح التى أزهاقوها ، والسبب سلب أموال المسلمين وقتل نسائهم وأطفالهم ، وقد هزم الخوارج عدة مرات عندما نوقشت آراؤهم ، هزموا أمام على عندما رفضوا دخول الكوفة ، وهزموا أمام عبد الله بن العباس عندما أرسله على اليهم كما سبق القول ، وناقشهم عمر بن عبد العزيز فهزموا واستسلموا اليه ، ولذلك نقرر أنه لم تكن هناك أسباب حقيقية ذات شأن تدفعهم

لما ارتكبوا من اثم ، وما أراقوه من دماء وما شغلوا من جيوش المسلمين
وأضاعوا من جهد القادة والمجتهد .

تعلل بنا تبحت في ثنايا تاريخهم عن الأسباب التي دفعتهم لهذا
الحق الذي سبب لهم والمسلمين خسارة بالغة .

وأول ما تجده هو أنهم كانوا عرباً ، وليسوا كالشيعية يتحدر
أكثرهم من غير العرب ، وطبيعة العربي الثورة لأتفه الأسباب ، وإذا
درسنا أيام العرب وحروبهم لا نجد سبباً ذا بال يستحق أن تراق له
الدماء التي أريقَت ، وأن تشهر له السيوف والرماح التي شهت ،
وحسبك أن تتذكر أن حرب البسوس التي استمرت عدة سنوات وسقط
فيها عدد ضخم من الضحايا ، تسببت لأن كليب بن ربيعة سيد تغلب
الذي كان يخفى مواقع الحيا ، طعن يسهم ناقة لخاله جساس بن مرة
من بكر ، فلم يغرها جساس الأحق وقتله فيها مع أن أخت جساس
كانت زوجة لكليب ، وهيت الحروب بعد ذلك ولاقت الجزيرة العربية
منها الأهوال (١) .

ذلك فيها أعتقد سبب هام لثورات الخوارج ، انهم عرب يقاتلون
لأتفه الأسباب ، فلا تشغل نفسك بالسؤال : لماذا خرجوا ولماذا يقاتلون ؟
فانه يمكن القول ان القتال عندهم كان عملاً عادياً يوشك أن يكون
كالطعام والملثي ، ويقول ابن عبدربه (٢) في ذلك : وكانت الخوارج
تقاتل على القدح يؤخذ منها ، والسوط والعلق الحسيس (ما تتبلغ به
الملثية من الشجر) أشد قتال ، وسقط في بعض أيامهم رمح من
خارجي فقاتلوا عليه حتى كثرت الجراح والقتل ، وصاحب المرح
يرتجزز :

(١) اقرا أيام العرب في الأغنى واقرا أيام العرب في الجاهلية لجلد
السولي .

(٢) العقد الفريد ج ١ ص ٢٦٥ — ٢٦٦ .

الليل ليله فيه ويل ويل
وسل يقوم الثرة السيل
أن جتر للأعداء قينا قول

على أن هذا السبب أسلم لسبب آخر هو أيضاً من عادة العرب ،
ذلك هو الأخذ بالنار ، فقد حارب على الخوارج في النهروان وقتل
أكثرهم ، وهب الخوارج بعد ذلك يتذكرون ما حصل لآخوانهم في
النهروان ، ويعملون للأخذ بثأرهم ، ويقول الطبرى (١) : أنهم كانوا يأتون
مصارع آخوانهم في النهروان فيتوضئون ويصائون ويتذكرون إخوانهم
ويبكون ثم يهبطون للأخذ بثأرهم .

واعتمادى كذلك أن من الأسباب التى دعت الخوارج للثورة على
على ومحاربتة أن ولاءهم له لم يكن كاملاً ، ويبدو أن اتصالهم بالشيعة
ومدعى التشيع في جيش على نقل اليهم هذا الاتجاه ، وبخاصة أن
صلتهم بعلى كانت حديثة بدأت عندما انتقل على الى الكوفة ، وأن
علياً لم ينفق عليهم المال والهبات ، فلم تتوثق به صلة الكثيرين
الذين يجذبهم متاع الحياة الدنيا .

ويكن القول كذلك أن بعض من أثاروا الفتن في وجه على لم يكن
ولاؤهم للإسلام كاملاً ، وحسبنا أن نذكر الأشعث بن قيس الذى أصر
على إيقاف القتال وهدد علياً أن استمر على حرب معاوية ، ولعب دوراً
كبيراً جلب الهزيمة والفرقة الى جيش على .

من هو الأشعث بن قيس هذا ؟ وإلى أى حد كان ولاؤه للإسلام ؟
وجهه لاتجاهات هذا الدين ؟

يذكر لنا التاريخ أن الأشعث هذا ارتد عن الإسلام بعد وفاة الرسول
وحاربه أبو بكر ، فلما رأى الهزيمة أوشكت أن تحقيق به كتب الى أبى بكر

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٦١ .

يعلن عودته للإسلام ويطلب العفو ... وعفا عنه أبو بكر ولكن أغلب الظن أن الإسلام لم يتعمق في طيات قلبه (١) .

وللأسف هذا ابن اسمه محمد وهو الذي آمن مسلم بن عقيل وهتف به : انك لا تكذب ولا تتخذع ولا تتغمر ، ودنا محمد من مسلم وقال : لك الأمان . قال مسلم : آمن أنا ؟ قال محمد : نعم . سرعان ما أسلمه محمد الى حتفه ولم يبال بما قدمه له من الوعود (٢) .

وللأسف هذا حفيد اسمه عبد الرحمن وقد مر بنا أنه خرج بجيش الحجاج ، ثم استدار بالجيش يجارب الحجاج . تلك قصة أسرة أغلب الظن أنها لا تعرف الولاء للإسلام ولا لقادة الإسلام .

ويبدو كذلك أن من اسباب نشأة الخوارج أن يد معاوية لعبت فأحدثت الانقسام في جيش على وسببت ظهور الخوارج ، يقول اليعقوبي (٣) ، ان أهل الشام لما رفعوا المصاحف قال على : انها مكيدة وليسوا بأصحاب قرآن ، فاعترض الأشعث بن قيس الكندي وقد كان معاوية استماله وكتب اليه ودعاه الى نفسه ، فقال : قد دعانا القوم للحق والقرآن فلا تدعنا للسيف ... » ويذكر ابن قتيبة (٤) أيضا أن معاوية أرسل عتيبة بن أبي سفيان الى الأشعث وقال له : ألن الى الأشعث كلما فانه ان رضى بالصلح رضيت به العامة ، فناداه عتبة وكلمه .

وتاريخ معاوية وذكاؤه ودهاؤه تجعل من الأقرب أنه لم يكتف برفع

(١) النوى : تهذيب الاسماء القسم الاول ج ١ ص ٢٢٢ .

(٢) الطبري ج ٤ ص ٢٨٠ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٣٤ .

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٢ .

المصاحف، بل هياً في جيش علي من يقبل هذه الخدعة، ويؤكد المستشرقون أن الأُسُعت مثل دَوْرَ الخيانة في جيش علي* ، فقد ألقى فلهوزن Wellhausen وفيهـل Well ودوزي Dozy وبرنوف Brünnow ومـلر Müller عبء التهمة الرئيسي عليه ، فيقال ان أهل الشام قالوا له (للأُسُعت) قبل المعركة : اننا اذا شعرنا بخطر الهزيمة سنرفع المصاحف على أسنة الرماح فاعمل بحيث يوقف القتال * ووفقاً لهذه الخطة عمل الأُسُعت (١) *

وقد ذكرنا من قبل كيف تحمس الأُسُعت لوقف القتال ، وهدد علياً بـدله أو تسليحه لأهل الشام ، ولم يرد أن يعطى فرصة قصيرة للأُسُتر ليكمل برا انتساراته ، وكل هذا يوحى بثبوت التهمة ضد هذا المارق *

قد يقول قائل : ان هذا الادعاء لا يقبل لأن الخوارج عادوا معاوية وحاربوه ، فكيف نتهم يد معاوية بأنها لعبت أو أثارت الفتن في جيش علي ؟

والجواب على ذلك واضح فان يد معاوية عندما لعبت لم تلعب مع الجميع بطبيعة الحال ، وانما لعبت مع بعض القادة كالأُسُعت مثلاً وتنته الجماهير الحقاء ، واعتقادي أن هذه الجماهير لم تكن تعرف الخدعة بل كانت كراهيتها لمعاوية أكثر من كراهيتها لعلي ، ولذلك استمروا في حروبهم ضد معاوية كما استمروا في عدائهم لبنى أمية *

وامتدت حياة الخوارج وكان صراعهم مع بنى أمية عنيفاً قاسياً ، وأغلب الظن أن العصبية القبلية كانت أيضاً من دوافع هذه الحروب ، فقد تجددت هذه العصبية التي حاربها الاسلام ، ووجدت بعض القبائل أن من المشين أن تلقى عصا القيادة الى بنى أمية ، فهبوا في وجوههم *

وكانت البصرة والكوفة مركزا للخوارج ، وفيهما التقى الخوارج طويلا بالشيعية ومدعى التشيع ، وأغلب الظن أنهم أخذوا عنهم حبهم للثورات وميلهم للفتن والعصيان •

وأخيراً فمن أهم الأسباب لحركات الخوارج مبالغتهم في تقديرهم لرأيهم ، فانهم يرون الرأي فيصبح عندهم عقيدة ولا يحدون عنه ، وقد يكون ذلك الرأي خطير النتائج أو قاسياً عنيماً ولكنهم لا يهتمون بذلك ، لقد كانوا عبيداً مخلصين لآرائهم لا يقيمون وزناً لسواها ولا يتوانون في التضحية من أجلها ، فقد قالوا لعبيد الله بن خباب : ان القرآن الذي على صدرك يأمرنا بقتلك ، وهيهات أن يأمر القرآن بقتل مسلم لم يرتكب جريمة ، ولكن هكذا اعتقد الخوارج وهكذا نفذوا عقيدتهم ، ومما اعتقدوه كذلك على هذا النحو ما ورد أنهم كانوا يستحلون دم المسلم المخالف ولكنهم يحفظون دم الذمي ولا يريقونه ، ويقولون : احفظوا ذمة نبيكم ، ومما روى في ذلك أن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة كان يسير في رفقة من صحابة فأحسوا الحرورية فذعروا فقال واصل لأصحابه ، لا تكلموهم ودعوني وإياهم ، ثم سأله الخوارج ، ما أنت وما أصحابك ؟ قال : مشركون مستجرون ليسمعوا كلام الله • قال الخوارج قد أجرناكم • قال واصل : فعلمونا • فجعلوا يعلمونهم أحكامهم وجعل واصل يقول قد قبلنا ، فسر الخوارج منهم وقالوا لهم : امضوا مصاحبين ما عليكم من بأس • قال واصل : ليس ذلك لكم فان الله يقول : « وان أجد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » (١) ، فنظر الخوارج بعضهم لبعض وقالوا : هذا حق وأرسلوا منهم من أبلغهم مأمنهم (٢) •

وأما الآن وثيقتان هامتان لزعميين من زعماء الخوارج تبينان لنا كيف كوّن الخوارج آراءهم وبنوا معتقداتهم •

(١) سورة التوبة الآية السادسة •

(٢) المبرد : الكامل في اللغة والأدب ج ٢ ص ٢٥٤ •

الوثيقة الأولى كتبها نجدة الى نافع بن الأزرق لما بلغه استعراضه^(١) للناس وقتله الأطفال واستحلاله الأمانة ، ونص الوثيقة هو كما أوردها ابن عبد ربه^(٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد ، فان عهدى بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم ، وللضعيف كالأخ البر ، لا تأخذك في الله لومة لائم ولا معونة ظالم ، فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه ، وأصبت من الحق فصه تجرد لك الشيطان ، فلم يكن أحد أسهل وطأة عليك منك ومن أصحابك ، فاستمالك واستغواك ، غفويت ، وكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعدة المسلمين وضعافهم ، فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعد الصدق « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله »^(٣) ، ثم سماهم أحسن الأسماء فقال « ما على الحسين من سبيل »^(٤) ثم استحلت قتل الأطفال وقد نهى رسول الله عن قتلهم ، ويشملهم قوله جل ثناؤه « ولا تزر وازرة وزر أخرى »^(٥) وقال في القعدة خيرا ، وفضل الله من جاهد عليهم ولا تدفع منزلة أكثر الناس عملا منزلة من هم دونهم قال تعالى « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى »^(٦) فجعلهم الله من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين ، ورأيت من رأيك ألا تؤدي الأمانة الى من يخالفك والله يأمر أن تؤدي الأمانات الى أهلها فاتق الله .

(١) أى اعتراضه الناس وقتلهم دون أن يبالي أمسما قتل أم كافرا .

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٦ — ٣٩٧ .

(٣) سورة التوبة الآية ٩١ .

(٤) سورة التوبة الآية ٩١ .

(٥) سورة الانعام الآية ١٦٤ .

(٦) سورة النساء ٩٥ .

أما الوثيقة الثانية فجواب نافع بن الأزرق لنجدة ونصه كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكرني وتعيب علي ما دنت به من تكفير القعدة وقتل الأطفال واستحلال الأمانة ، سأفسر لك ذلك أن شاء الله . أما هؤلاء القعدة فليسوا كمن ذكرت ممن كان على عهد رسول الله ، لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ، ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا ، وهؤلاء قد فقهوا في الدين وقرءوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما يقول الله فيمن مثلهم اذ قال : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيه كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » (١) وقال : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » (٢) وقال : « وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم ، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله » (٣) : « سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم » (٤) فسماهم بالكفر .

وأما أمر الأطفال فان نبي الله نوحا كان أعرف بالله يا نجدة مني ومنك ، قال : « رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » (٥) فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف جاز ذلك في قوم نوح ولا يجوز في قومنا ؟

وأما استحلال الأمانات ممن خالفنا فان الله عز وجل أحل لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم ، فدماؤهم حلال طلق (طيب) وأموالهم فيء للمسلمين فاتق الله يا نجدقوراجع نفسك (٦)

(١) سورة النساء الآية ٩٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٨١ .

(٣) سورة التوبة الآية ٩٠ .

(٤) سورة التوبة الآية ٩٠ .

(٥) سورة نوح الآية ٢٦ — ٢٧ .

(٦) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٧ — ٣٩٨ .

وهكذا كان استدلال نافع ، ومن الواضح أنه استدلال واه ضعيف ، ولكن الازارقة كانوا يزونه سليماً كأنه التزليل ، وكانوا يدينون به ويعملون بمقتضاه ، وقد جلب عليهم هذا سخط الكثيرين حتى أعداء بنى أمية ، ولكنهم لم يباؤا بسخط أحد أو رضاه ، وكان كل اهتمامهم أن يسيروا في الطريق الذى اعتقدوا أنه الحق مهما كانت نتائج سيرهم

(ب) ملامح الخوارج الغالبة :

امتاز الخوارج بلامح وصفات خاصة قل أن توجد فى سواهم ، وسنبرز فى الصفحات التالية خصائص الخوارج وأخلاقيهم وسنرى أنها خصائص عربية تختلف عن أخلاق الشيعة الذين كان طابعهم العام غير عربى ، سنرى أن أخلاق الخوارج عربية فى خيرها وشرها ، عربية فى البساطة وعدم العمق ، عربية فى الصراحة والوضوح ، عربية فى الشجاعة وحب الوغى ، عربية فى الفردية وضعف الروح الجماعية ، عربية فى الوفاء ، عربية فى عدم تقديس الزعماء • وفيما يلى تفصيل لهذا الاجمال :

وأول ما نبرزه من ملامح الخوارج هو البساطة والسطحية وعدم العمق فى فهم الامور ، وعدم الغور فى تقدير نتائج ما يقدمون عليه ، ولا شك أن من سطحيتهم وأخذهم بالظاهر الخاطيء ما أوردناه آنفا مما استدل به نافع بن الأزرق على صحة قتل الاطفال والنساء ، وما أوردناه ذلك من قتلهم عبد الله بن خباب متأولين حل قتله ، وقصة ذلك أن فى القرآن آية نصها « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (١) » وآية أخرى نصها « ان الحكم الا(٢) لله » وعلى « حكّم الرجال وعلى هذا حكموا بكفره ، فلما قدم عليهم عبد الله بن خباب وسأله رأيه فى على « أثنى عليه ومدحه ، قالوا له : ان القرآن الذى فى رقبتهك يأمرنا بقتلك • لأن عبد الله يتولى علماً وعلى « فى نظرهم كافر (٣) •

(١) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٢) سورة الانعام الآية ١٥٧ .

(٣) اقرأ قصة عبد الله مع الخوارج فى العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠ .

والعجيب أنهم في الوقت الذي قتلوا فيه عبد الله يأنفون أن يقبلوا هبة صغيرة من نصراني وأصروا على دفع ثمنها له ، فدهش النصراني وقال : تقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون من جنى نخله الا بثمان (١) .

ومن بساطتهم وعدم تعمقهم أنهم يقدمون على ابن الزبير ويحاربون معه وينصرونه حتى تنجلي جيوش الأمويين عن مكة ، وحينئذ فقط يطلبون معرفة كنهه ، وهل يعترف بكفر عثمان وعلى وكفر أبيه الزبير وخالته عائشة ... ومن الطبيعي أن يرفض عبد الله هذا الحق ، وحينئذ ينفضون عنه ويهاجمونه ويشعلون الحروب في المناطق التابعة له (٢) .

ومن ملامح الخوارج الغالبة تشددهم في العبادة ومبالغتهم فيها ، فقد روى أن ابن عباس عندما ذهب اليهم رسولا من على رأى منهم جباها قرحة لطول السجود ، وأيدياً كثفناً الابل (أى ما يمس الأرض عندما يبرك البعير لغلظ أيديهم من كثرة السجود) وهم مشمرون للعبادة (٣) ، ومما يذكر عن مبالغتهم في العبادة ما روى أن زياد بن أبيه قتل أحد الخوارج ثم دعا مولاة فقال له : صف لى أمره واصدق : قال المولى : أأظن أم أختصر ؟ فأجابه زياد : بل اختصر . قال المولى : ما أتيت به بطعام في نهار قط ، ولا فرشت له فراشا بليل قط (٤) .

ويصف أبو حمزة الخارجي أتباعه بقوله في خطبة ألقاها بمكة : يا أهل مكة تميروني بأصحابي ، ترعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله إلا شباباً ، شباب والله مكتهلون في شبابهم ، غصيبة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة ، وأطلاح سهر (بهم نكافة من

(١) المرجع السابق .

(٢) الطبري ج ٤ ص ٣٧ واقرا المراسلات والمناقشات بين ابن الزبير وبين نافع من الأزرق في العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩١ وما بعدها .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٣٨٩ .

(٤) الشهرستاني : الملوك والنحل القسم الاول ص ١٠٨ .

شدة السر) نظر الله اليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا اليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شهق كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم كلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم واستقلوا ذلك في جنب الله ، حتى إذا رأوا السهام قد فوقت ، والرماح قد اشرعت ، والسيوف قد انتضيت ، ورعدت الكتية بصواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتية لوعيد الله ، ومضى منهم الشباب قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فأسرعت اليه سباع الأرض ، وانحطت اليه طير السماء ، فكم من عين في منقار طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله .

وجماعة فيهم هذا الورع وهذه التقى لا يتهمون في ايمانهم ، ولا يقال عنهم ما قلناه من قبل في مدعى التشيع من أنهم تظاهروا بدخول الاسلام ليكيدوا له وليخضدوا شوكته ، فالخوارج مسلمون حقيقة ، يسعون لخير الاسلام ومجده ، ولكنهم في سعيهم ضلوا الطريق دون أن يدركوا أنهم ضلوا ، فواصلوا السير في طريق الضلال وأوغلوا فيه ، ولقد وصفهم عمر بن عبد العزيز أبلغ وصف حين قال لهم : انكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها (١) .

ويقول Wellhausen ان الخوارج لم يكونوا بذرة فاسدة بذرها اليهودي ابن سبأ سرا ، بل كانوا نبتة اسلامية حقيقية . . . ولم يكونوا فرقة تعيش في الظلام بل كانوا ظاهرين علنا على أوسع أساس (٢) .

على أن الخوارج اذا لم يكونوا أعداء للاسلام والمسلمين بطريق

(١) ابن عبد الحكم : منيرة عمر بن عبد العزيز ص ١٢١ .

(٢) الخوارج والشيعة ص ٢٥ - ٢٦ .

مباشرة فقد آل أمرهم ليتصبحوا أعداء خطرين على الاسلام والمسلمين ،
فقد ابتدعوا في الاسلام ما ليس منه ، وأسرفوا في التنكيل بالمسلمين ،
وأزهقوا آلاف الأرواح وقضوا باليتم والترمل والشكل على آلاف الأطفال
والزوجات والأمهات ثم شغلوا جيوش الدولة فأوقفوا نشاطها وأتاحوا
لجيوش الأعداء أن تهدد العالم الاسلامي وأن تزحف على أطرافه .

وليس معنى دفاعنا عن اسلام الخوارج أنهم كانوا جميعا موالين
للإسلام ، لا ، فان من فرقهم العجاردة الذين أنكروا كون سورة يوسف
من القرآن وزعموا أنها قصة من القصص (١) ، ومنهم اليزيدية الذين
زعموا أن الله تعالى سيعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا قد كتب في
السماء (٢) ، وقد كفر الفريقان بهذا التفكير السقيم .

ومن الملامح البارزة في الخوارج الشجاعة وحب الوغى والاستهانة
بالدنيا دفاعا عن رأي يعتقدونه أو مبدأ يدينون به ، ويحكي الطبري أن
جماعة من الخوارج كسروا سجن الكوفة وخرجوا منه عقب وفاة المغيرة
ابن شعبة ثم اجتمع هؤلاء ليتدبروا أمرهم ويتدارسوا شئونهم فخطبهم
زعيمهم حيان بن ظبيان وحبب اليهم الموت في سبيل المبدأ ، وذكر أن
لا أمل في النصر لقلة العدد والعدة ولكنه قال ان حربنا للظلمة يخرجنا من
الاثم ، وهتف فيهم : تعالوا الى الموت ، أخرجوا أنفسكم من الفتن ،
هلموا الى جنة الخلد ، فأطاعوه ، وأشعلوا ثورة كانوا جميعا ضحية لها
وكانوا يعتقدون أنهم سيكونون ضحية (٣) .

وقيل للمهلب بن أبي صفرة : ما أعجب ما رأيت في حرب الازارقة ؟
فقال : فتى كان يخرج الينا منهم في كل غداة فينشد :

(١) الشهرستاني : الملل والنحل القسم الأول من ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢ .

(٣) الطبري ج ٤ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

وسائلة بالغيب عنى ولبو دبرت
مقارعتى الابطال طال نحييها

إذا ما التقينا كنت أول فارس
يجود بنفس أنقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شيء الا أقعده ، فإذا كان من الغد عاد لمثل ذلك (١) .

والمهلب بطل مغوار يرجع اليه الفضل في تحطيم صخرة الخوارج وهز سلطانهم ، ومع هذا فالمهلب قاسى منهم كثيرا وعانى من صمودهم له وثباتهم أمام حملاته ، يذكر الطبرى (٢) وابن عبد ربه (٣) أن عبيد الملك بن مروان أعطى للمهلب خراج بلاد فارس وخراج كثير من الكور الأخرى المجاورة ليستعين بها على حرب الخوارج ويبدو أن الحجاج نفس على المهلب ذلك وظن أنه يتهاون في حرب الخوارج ليبقى له هذا الجاه والغنى ، فكتب له يستعجله حربهم فأجاب المهلب : ان من البلية أن يكون رأى بيد من يملكه دون من ييمره (٤) ، ولكن الحجاج لم يسكت عنه ، وأرسل اليه البراء بن قبيصة مع خطاب يقول فيه : « لقد اصطلمت هذه الخارجة وأنت تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حولك ، فانهض لهم وجاهدهم وإياك والعلل والأباطيل » فأخرج المهلب بنييه في الكتائب ، وخرج هو يدير المعركة العظمى وأخرج البراء ليشهد ، فرأى البراء قتالا أشد ما يكون القتال ، ورأى الرجال تحمل على الرجال في حرب شعواء ، وتكرر ذلك المنظر في عدة أيام ، فقال البراء للمهلب : ما رأيت كبنيك فرسانا قط ، ولا كفرسانك من العرب فرسانا ، ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط أصبر

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ١٢١ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٢٠ وما بعدها .

(٣) العقد الفريد ج ١ ص ١٤٥ والكامل للمبرد ج ٢ ص ١٧٢ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١ : ١٤٥ .

ولا أباس ، ووالله ما يعينك عليهم الا الله ، وأنت بهم معذور ، وعاد البراء
ليخبر الحجاج بذلك •

وخرج مرداس أبو بلال في أربعين رجلا أيام عبيد الله بن زياد ،
فأرسل لهم هذا أسلم بن زرعة الكيلاني في ألفين ، ودارت معركة بين
الفريقين في مكان يقال له آسك ، والعجيب أن تدور الدائرة على أسلم
وأصحابه ، فقال أحد شعراء الخوارج في ذلك :

ألفاً مؤمن منكم زعمتم
ويقتلهم بأسك أربعوناً

كذبتهم ليس ذاك كما زعمتم
ولكن الخوارج مؤمنوناً

هم الفئة القليلة قد علمتم
على الفئة الكثيرة ينصرون (١)

وتروى عن الخوارج مجموعة ضخمة من المواقف يستعذبون فيها
الموت حباً للقاء الله ، فمن ذلك أن عليّ بن أبي طالب حمل على خارجي
وضربه بسيفه ضربة قاتلة ، فلما أحس الخارجي بالموت قال : حبذا
الروحة الى الجنة • وهناك خارجي آخر طعن برمح ، فجعل يندفع نحو
قاتله ويقول : وعجلت اليك ربي لترضى (٢) •

ولما خرج حوثة الأقطع يقود جماعة من الخوارج في عهد معاوية
استعان معاوية بأبى حوثة ليرد ابنه ، فجاء الأب يطلب من الابن الكف عن
الثورة فلم يجبه ، فقال الأب لحوثة : أجيئك بابنك لعلك تراه فتحن اليه ؟

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٣٢ وابن عبد ربه ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٦ .

فقال حوثره : يا أبت • أنا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب
الرمح اشوق منى الى ابنى (١) •

ومما قال مرداس أبو بلال بعد أن قتل بعض أصحابه يتعجل الموت
للحاق بهم :

أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقوى
ومن خاض فى تلك الحرب المهلكا

أحب بقاء أو أرجى سلامة
وقد قتلوا زيد بن حصن ومالك ؟

فيسارب سلم نيتى وبصيرتى
وهب لى التقى حتى الاقى أولئك (٢)

وكان بين صفوف الخوارج مجموعات كبيرة من النساء ، ولم يكن
هؤلاء أقل من الرجال شجاعة واستعدادا للموت ، ومن هؤلاء أم حكم
زوجة قطرى بن الفجاءة ، وكانت تشترك فى الحروب بشجاعة فائقة
وايمان بالغ ، ومن رجزها وهى تحمل على صفوف الأعداء :

أحمل رأسا قد سئمت حمله
وقد مللت دهنه وغسله
الافتى يحمل عنى ثقله (٣)

وكان شعيب بن يزيد الشيبانى يخوض حروبه الطاحنة الطويلة
ضد جيوش الحجاج ومعه مجموعة من النساء اللاتى لم يكن أقل من الرجال

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٣ والكامل للمبرد ج ٢ ص

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٣) الاغانى ج ٦ ص ٦ - ٧ .

حماسة وبطولة ، ومن هؤلاء زوجته غزالة وأمه جهيزة ، وقد ماتت زوجته في ساحة الوغى بين صليل السيوف وطعن الرماح (١).

ومن ملامح الخوارج الوفاء ، يذكر الطبرى (٢) أن عبيد الله بن زياد قبض على مرادس أبى بلال الذى تحدثنا عنه من قبل وأودعه السجن ، ولكن السجن رأى عبادة مرداس وصلاحه ، فكان يأذن له في مطلع الليل فينصرف الى داره ويعود الى السجن في مطلع الفجر دون أن يعلم ذلك أحد ، وكان لعبيد الله بن زياد جليس على صلة صداقة بأسرة مرداس ، فسمع هذا الجليس من ابن زياد ذات ليلة أنه ينوى قتل مسجونى الخوارج اذا أصبح ، وصدرت الأوامر للسجان بتقديمهم صباحا الى المقصلة ، فعرف مرداس وهو في بيته ذلك الخبر من جليس ابن زياد ، وقيل لمرداس : انج بدمك ولا تعد الى السجن . قال مرداس : انى أكره أن أواجه ربى وأنا خائن . وعزم على أن يعود في مطلع الفجر كعادته . أما السجن فأمضى ليلة سوء اشفاقا من أن يعلم مرداس الخبر فلا يرجع فلما جاء الوقت الذى يرجع فيه اذا به يعود . فقال له السجان بعد أن شمله السجن : هل بلغك ما عزم عليه الأمير ؟ قال : نعم . قال : ثم غدوت ؟ قال : نعم ولم يكن لى أن أخون ولا أن أقابل احسانك لى بفرار تعاقب أنت بسببه . وفي الصباح جلس ابن زياد وقدم الخوارج للموت حتى جاء دور مرداس فوثب السجنان — وكان ظئرا لابن زياد — وأخذ بقدمه وقال : هب لى هذا وقص قصته فوهبه له وأطلقه .

ومن الملامح شديدة الوضوح في الخوارج ما يمكن أن نسميه « الغوضى » والاضطراب وعدم الخضوع للنظام ، ولولا ذلك لكافت قوتهم غالبية ، ولكان من العسير القضاء عليهم ، ومن فوضاهم أنهم عادوا الناس جميعا ، وأعلنوا الحرب على كل من لم يكن من جماعتهم ،

(١) انظر البعقوبى ج ٣ ص ١٧ والطبرى ج ٥ ص ٩٥ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٣٣٢ .

ومن فوضاهم أنهم كانوا كثيرى الفرقة • يخرج بعضهم على بعض لأوهى الأسباب ، ويعتبرون الصديق عدوا دون جريرة تذكر ، وكان خروجهم على على نموذجاً يحتذوه فى جميع تاريخهم فاستسهلوا الخروج على الزعماء فى كثير فى الاحايين وكفروا الرؤساء واستطوا دماءهم ، والأمثلة على ذلك تزدهم بها كل المراجع التى بين أيدينا وقد مر منها نماذج عديدة ، ومن فوضاهم البالغة أنهم كانوا يحكمون بتكفير الناس لأتفه الاسباب أو بدون سبب ، حتى قال بعضهم ان الامام اذا كفر كفرت الرعية (١) ، وليت شعري كيف يزول اعتقاد المؤمنين اذا ضل امامهم ؟ ومن فوضاهم مثال أورده الشهرستانى (٢) يدعو للسخرية والضحك ، فقد نقم أصحاب نجدة بن عامر عليه بعض تصرفاته فاستتابوه فتاب ، ثم ندموا على استتابته وقالوا : أخطأنا وما كان لنا أن نستتيب الامام ، وما كان له أن يتوب باستتابتنا اياه ، فتابوا من ذلك وطلبوا منه أن يتوب من توبته والا نابذوه فتاب من توبته ، ولكن ذلك لم يكفهم أيضا فقال بعضهم ان هذا اقرار منه بصحة أحد الذنبيين : صحة ذنب تاب منه أولا أو صحة توبة من غير ذنب ، فكفروا ووثبوا عليه وقتلوه •

تلك هى صور من ملامح الخوارج فيها خير وفيها شر ، وذلك لأنه لم تكن لهذه الجماعة مبادئ ثابتة مبنية على دراسات عميقة ، فما أبعدهم عن الدراسات ، وما أبعدهم عن العمق فيها •

(ج) فرق الخوارج وآراؤها فى السياسة والدين :

قلنا فيما سبق إن من ملامح الخوارج حب الفرقة والانقسام وعدم احترام الزعماء ، وقد ظهر لنا ذلك فى عهودهم المبكرة ، فهم يخرجون على على ثم يدعوهم فيعود أكثرهم اليه ، ويخرجون مرة أخرى فيرسل اليهم

(١) الشهرستانى : الملل والنحل القسم الاول ص ١١٤ •

(٢) المرجع السابق ص ١١١ - ١١٢ •

عبد الله بن عباس فيشظرون ويعود شظرم ويبقى الآخر ، ويحارب بعضهم علماً ويعترله آخرون دون حرب ، ولكنهم بعد موت على أجمعوا أمرهم على كراهية معاوية وعلى حربه وهتف فيهم زعيمهم فروه بن نوفل الاتسجعي قتلًا : قد جاء الآن ما لا شك فيه فسيروا الى معاوية فجاهدوه ... (١) وهكذا التقى الخوارج وزال ترددهم وشكهم ، فتكونت منهم قوة جبارة .

ووضع الخوارج برنامجهم ودعوتوا اتباعهم في تلك الفترة الاولى من حياتهم ، وكان برنامجا سياسيا جل الحديث فيه عن الخلافة ، فقالوا ان الامامة غير ضرورية ، وعلى الناس ان يتناصفوا فيما بينهم (٢) ، ويجوز لهم ان ينصيوا اماما ، ويلزم ان يختاره المسلمون اختيارا حرا ، ولا يشترط فيه ان يكون من قريش ، ويجوز ان يكون حرا أو عبدا أو نبطيا ، وتلزم طاعته ما أطاع الله ورسوله ، فان لم يطع الله وجبت الثورة عليه وعزله ويطبق الخوارج هذه النظرية وقد عبر عروة بن أذينة أصدق تعبير عن وجهة نظر الخوارج في تطبيق هذه النظرية ، فقد سأله زياد بن أبيه عن أبي بكر وعمر فقال قبيحا خيرا ، وسأله عن عثمان ، فقال : كنت أوالى عثمان على أحواله في خلافته ست سنين ثم تيرأت منه بعد ذلك للأحداث التي أحدثها ، وشهد عليه بالكفر ، وسأله عن علي فقال : كنت أتولاه الى أن حكم الحكمين ثم تيرأت منه بعد ذلك وشهد عليه بالكفر ، وسأله عن معاوية فسببه سببا قبيحا (٣) .

وهكذا كان الخوارج حتى عهد معاوية قوة واحدة تقريبا ، وحديثهم كله عن نظرية الخلافة سائلة الفكر . وبناء على هذه النظرية يعد معاوية غاصيا ، لأنه لم يتم اختياره بطريقة حرة ، ثم هو بعيد عن العدالة ، فيصري الظاهر ومن ثم كان واجبا عليهم الخروج عليه ففعلوا ، واذا كان

(١) الطبري ج ٤ ص ١٢٦ .

(٢) الشير مستثنى : المال والنحل : القسم الاول ص ١٠٧ ، ١١٢ .

(٣) المال والنحل ص ١٠٨ .

هناك تردد في عدائهم لعلی فقد جاء في عهد معاوية مالا شك فيه من الامر،
كما ورد في عبارة فروة السالفة الذكر •

خلافاتهم بعد مساعدتهم عبد الله بن الزبير :

ومضى معاوية وتولى الخلافة بعده ابنه يزيد ، ولم يتولها بانتخاب ،
ولا كان في نظرهم صالحا لها ، ولذلك هبوا في وجهه كما هبوا في وجه أبيه،
ورأوا عبد الله بن الزبير يحاربه ويخرج عليه فأحبوه لخروجه على الامام
الجائر ، ولوقوفه للدفاع عن البيت الحرام الذي كانت جيوش الأمويين
تسمى لدكه بعد أن هدمت المدينة المنورة وقتلت صناديدها فقالوا : يجب
علينا أن نمنع حرم الله منهم ، ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا
بايعناه ، فلما صاروا اليه عرفوه أنفسهم وما قدموا له ، فأظهر لهم أنه
على رأيهم • فساعدوه حتى عادت جيوش الشام ، ثم أقبلوا يلوم بعضهم
بعضا ، وقالوا : كيف ننصر هذا الرجل دون أن نعرف كنهه ، تعالوا بنا
ندخل على هذا الرجل فننظر ما عنده ، فان قدم أبا بكر وعمر وبريء من
عثمان وعلى وكفّر أباه وطلحة بايعناه ، وإن كانت الأخرى انشغلنا بما
يجدى علينا • ولم يوافقهم ابن الزبير على رأيهم ، فخرجوا من مكة ،
ولكنهم انقسموا جماعتين كبيرتين لكل منهما رأى واتجاه ، وأخذوا يتكلمون
في اللاهوت فشملت أبحاثهم الجديدة السياسة والدين ، وكانوا من قبل
يتكلمون في السياسة لا يتعدونها • واتجهت الجماعة الاولى الى البصرة
وكان على رأسها نافع بن الازرق فسميت الازارقة ، وكان من أصحاب
نافع عبد الله بن الصفار وعبد الله بن اباض وحنظلة بن بيهس ، واتجهت
الجماعة الثانية الى اليمامة ، وكان من زعمائها عبد الله بن ثور فديك
وعطية بن الأسود واليشكري وأبو طالوت ، ثم اتفقت هذه الطائفة على
اختيار نجده بن عامر رئيسا لها فسميت النجدات (١) ، وكان مصدر

(١) الطبرى ج ٤ ص ٢٣٦ وما بعدها — العقيد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠
وما بعدها .

الانقسام هو بدوهم الكلام في اللاهوت واختلافهم في الرأي ، وقد كان هذا الانقسام نذير انقسامات أخرى كثيرة حدثت لأوهى الأسباب •

ويجدر بنا هنا أن نثبت وثيقة تبين لنا مطلع التفكير الديني عند الخوارج وأسلوبه وكيف كان ذلك التفكير سببا في انقسامهم الى فرق وشيع •

يقول الطبري (١) ان اتباع نافع دخلوا البصرة بعد عودتهم من مكة ، ووجدوا في البصرة تلك الخلافات والاضطرابات التي أعقبت وفاة يزيد فانتهاز نافع هذه الفرصة وأعلن الخروج والثورة ، وتبعه أغلب الخوارج ، وتخلف عنه قليل منهم عبد الله بن الصفار وعبد الله بن اباض ورجال معهما لم يروا الخروج ، ونظر نافع بن الأزرق ورأى أن ولاية من تخلف عنه لا تنبئ ، وأن من تخلف عنه لا نجاة له ، فقال لأصحابه : ان الله قد أكرمكم بمخرجكم وبصركم بما عمى عنه غيركم ، ألستم تعلمون أنكم انما خرجتم تطلبون شريعته وأمره ، فأمره لكم قائد ، والكتاب لكم امام ، وانما تتبعون سنته وأثره فقالوا : بلى • فقال : أليس حكمكم في وليكم حكم النبي صلى الله عليه وسلم في وليه ، وحكمكم في عدوكم حكم النبي صلى الله عليه وسلم في عدوه ، وعدوكم اليوم عدو الله وعدو النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أن عدو النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ هو عدو الله وعدوكم اليوم ؟ فقالوا : بلى • قال : فقد أنزل الله تبارك وتعالى « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » (٢) وقال « ولا تتكفروا المشركات حتى يؤمن » (٣) فقد حرم الله ولايتهم ، والمقام بين أظهرهم ، واجازة شهادتهم وأكل ذبائحهم ، وقبول علم الدين منهم ، ومناكحتهم ومواريتهم ، وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا ، وحق علينا أن نعلم هذا الدين ولا نختتم ما أنزل الله ، والله عز وجل يقول : « ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٢) سورة براءة الآية الاولى .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢١ .

أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، (١) فاستجاب له الى هذا الرأي جميع أصحابه ، فكتب به الى عبد الله بن الصفار وعبد الله بن ابلض ومن قبلهما من الناس ، فلما قرأ عبد الله بن الصفار الكتاب وضعه خلفه ، فقال له ابن ابلض : مالك !! لله أبوك ؟ فدفع الكتاب اليه ، فقرأه وقال : أى رأى ؟ صدق نافع لو كان القوم مشركين ، ولكنه كذّابٌ وكذّابنا فيما يقول ، وان القوم كفار بالنعم وهم براء من الشرك . فقال ابن الصفار : برىء الله منك فقد قصرت ، وبرىء الله من الازرق فقد غلا ، برىء الله منكما جميعا . وقال آخر : فبرىء الله منك ومنه وتفرق القوم .

ذلك هو أسلوب تفكيرهم ومطلع خلافتهم ، وقد انشعب الازارقة بهذا الى ثلاث فرق هي : الازارقة أتباع ابن الازرق ، والاباضية أتباع ابن ابلض ، والصفورية أتباع ابن الصفار (٢) ، ويضاف اليهم النجدات سالفة الذكر ، وبهذا تتكون الفرق الاربعة الاولى من فرق الخوارج ، وقد توالى بعد ذلك انقساماتها وتشيعها الى شيع وأحزاب ، وسنتكلم فيما يلي بايجاز عن أهم فرق الخوارج ، ثم نتكلم عن آرائهم في المشكلات الدينية التي بحثوها .

الازارقة :

أصاب أبى راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز فغلبوا عليها وعلى فارس وكرمان ، وكان مع نافع من زعماء الخوارج عطية بن الاسود (٣) ، وقطرى بن الفجاءة وعبيد ابن هلال اليشكرى وصخر بن حبيب وصالح بن مخراق وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير ، والازارقة أعظم فرق الخوارج ، وأكثرهم خطرا ،

(١) سورة البقرة الآية ١٥٩ .

(٢) انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩١ ، أما الشهر ستانى فيذكر الصفورية وينسبهم الى زياد ابن الاصفر سيأتى الحديث عنهم (انظر الملل والنحل القسم الاول ١٢٣) .

(٣) انشق عنه وعاد الى اليمامة فكان من زعماء النجدات كما سبق القول .

وأبعدهم انتصارات ، وقد هزموهم كثيرا من جيوش المسلمين ، وتصدى لهم المهلب بن أبي صفرة ، اختاره أهل البصرة ليزود عنهم وعن حرمهم ، ثم أقره ابن الزبير على حربهم ، وبعد ابن الزبير أقره عبد الملك بن مروان والحجاج ، وقد استمرت الحرب بين المهلب والازارقة تسعة عشر عاما ، ونولا بطولة المهلب وانقسام الازارقة لامتدت هذه الحروب أكثر مما امتدت ، ومن أعظم قادتهم بعد نافع قطرى بن الفجاءة وقد تحدثنا من قبل عن اتجاهات الازارقة الدينية ، ويقول الشهرستاني (١) أن أهم بدعهم هي :

- ١ — تكفير من سواهم من المسلمين وتخليدهم في النار وإباحة قتلهم •
- ٢ — تكفير القعدة •
- ٣ — إباحة قتل أطفال المخالفين ونسائهم •
- ٤ — إسقاط الرجم عن الزانى اذ ليس في القرآن ذكره •
- ٥ — الحكم بأن أطفال المشركين في النار مع آبائهم •
- ٦ — التقية غير جائزة في قول ولا عمل •
- ٧ — تكفير من ارتكب الكبيرة •

النجدة العائرية :

أتباع نجدة بن عامر ، وكان قد ذهب الى اليمامة بعد خروجه من مكة كما سبق القول • ثم أراد العودة للوحدة مع نافع وتقريب وجهات النظر فسار بعسكره تجاه البصرة فقابلته أبو فديك وعطية بن الاسود مع اتباع لهما عائدين من معسكر نافع ، وذكروا لنجدة بدع نافع ، وأعادوه وباعوه رئيسا لهم ، ونجدة متساهل جدا اذا قيس بالازارقة • فهو لا يكفر القعدة ويبيح التقية ويعذر بالجهالات ، ويرى أن الدين أمران : أحدهما معرفة

(١). الملل والنحل : القسم الاول ص ٤٠٩ — ٤١٠ .

الله ومعروفة رسوله والاقرار بها جاء من عند الله جملة وهذا واجب على جميع المسلمين ، والأمر الثاني هو ما سوى ذلك والناس معذورون أن جهلوه ، ولذلك سمى هؤلاء العاذرية ، ويرى أن من كذب كذبة صغيرة أو كبيرة وأصر عليها أشرك ، ومن زنى وشرب وسرق دون اصرار لا يشرك^(١) .

الإباضية :

أتباع عبد الله بن أباض ويرون صحة مناكحة المخالفين من المسلمين، والتوارث معهم ، وأن دار مخالفهم من أهل الاسلام دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغى ، ويقبلون شهادة مخالفهم وقالوا ان أفعال العباد مخلوقة لله احداثا وابداعا ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازا ، ولا يسمون امامهم « أمير المؤمنين » ولا يسمون « مهاجرين » ولا يجيزون قتال مخالفهم الا بعد دعوتهم ، ولم يبق من الخوارج الا طائفة من الاباضية تقيم في عمان وفي جهات قليلة بشمالى افريقية^(٢) . ويكره اباضية عمان أن يسموا خوارج .

العجاردة :

أتباع عبد الكريم بن عجرد ، وهو من تلاميذ عطية بن الاسود من النجدات ، وقيل انه من تلاميذ ابن بيهس ، ولا مانع أن يكون قد تنقل بين هذا وذاك ، ويتوقف العجاردة في أمر أطفال المسلمين حتى البلوغ فيدعون للاسلام ، أما اطفال المشركين ففي النار مع آبائهم ، ويتولون القعدة ، ويرون الهجرة فضيلة لا فريضة ويكفرون بالكبائر ، ويتضح في العجاردة الميل للانقسام ، ويذكر الشهر ستانى من أقسام العجاردة سبعة هم : الصلتية والميمونية والحمزية والخلفية والاطرافية والسبعية والحازمية^(٣) .

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى والفصل في الاهواء والنحل لابن حزم والملل والنحل للشهر ستانى .

(٢) المراجع السابقة .

(٣) المراجع السابقة ايضا .

المصغرية :

يختلفون في نسبة هذه الفرقة من الخوارج فينسبها بعضهم الى زياد بن الاصفر ، وينسبها آخر الى عبد الله بن الصفار ، وتنسب كذلك الى الصفرة لأن أصحابها اصفرت وجوههم من طول العبادة وكثرة الصوم وهى بهذا المعنى تبدأ بصالح بن مسرح الذى كان — كما يقول الطبرى (١) — ناسكا مخبئا مصفر الوجه صاحب عبادة ، ثم خرج يقود فريقا من الخوارج ، ومن أهم رجاله شبيب بن يزيد الشيباني الذى تنسب له طائفة الشيبية ، وقد تولى شبيب قيادة الفرقة بعد موت صالح ، ويوضع شبيب في عالم البطولة مع نافع بن الازرق وقطرى بن الفجاءة ، وقد دوخ شبيب جيوش الحجاج ، وقتل أربعة وعشرين من أمراء هذه الجيوش ، وسجل انتصارات باهرة ، واستطاع أن يدخل الكوفة مرتين ويزعج الحجاج ، ويث الذعر في نفوس بنى أمية ، ولكن الحجاج صمد له وأرسل اليه الجيش بعد الجيش حتى استطاع سفيان بن أبرد الكلبى أن يحاصره وهو يعبر نهر دجيل ، وهاجم سفيان السفن واضطرب شبيب وغرق سنة ٥٧٧ أو ٧٨ كما سبق القول .

ومبادئ الشيبية هى المبادئ العامة للخوارج ، ويحكى أن الاسرى من أصحاب شبيب لما وقفوا بين يدى الحجاج أخذ يضرب رءوسهم واحدا واحدا ، حتى جاء دور واحد منهم فقال : أمهلنى حتى أقول كلمة وأنشد :
أبرأ الى الله من عمرو وشيعته

ومن على ومن أصحاب صفين
ومن معاوية الطاغى وشيعته

لا بارك الله في القوم الملاعين
وهو بذلك يسجل مبادئ جماعته (٢) .

(١) الطبرى ج ٥ ص ٥٠ .

(٢) انظر الطبرى واليعقوبى وكتب الفرق السابقة .

والمشكلة الدينية الوحيدة التي أجمع عليها الخوارج هي اعتقادهم بأن العمل جزء من الإيمان ، فليس الإيمان هو فقط الاعتقاد والنطق بالشهادتين وإنما يلزم — أن يتم مع ذلك — العمل بأوامر الدين كالصلاة والصوم والحج والعدل والصدق •

وفيما سوى هذا المبدأ (العمل جزء من الإيمان) نجد الخوارج يختلفون فرقا وثيقا كما مر ، وفيما يلي جدول بموجز آرائهم في المشكلات التي تعرضوا لها :

| التقية | الغفود | اعمال المخالفين | مرتكب الكبير |
|---|--|--|---|
| <p>الأزارقة : لا تخموز التقية في قول ولا عمل ، ولم يستطع مروة بن أبيه أن يقول بالتقية لينجو من القتل ، فقد سأل زباد بن أبيه قتلا ؟ ما رأيك في ؟ فأجلب : أن أولئك أريية ، وأفسرك استطعن وأنت ليها بطنها حاص ربك النجيدات : التقية جبارا مطلقا المسيرة : التقية جبارة في القول معقول المسمل</p> | <p>الأزارقة : يكثر التمعة ومن لم يهاجروا مع فاسح النجيدات : العمود جبار والخروج المسمل المسيرة : العمود جبار</p> | <p>الأزارقة : يجوز قتل اطفال المخالفين ونسائهم النجيدات : لا يجوز قتلهم المجبرة : يوقف الحكم عليهم حتى البلوغ الاباحية : الوقوف ولكن يجوز تعذيبهم على سبيل الانقاع</p> | <p>الأزارقة : كان كثر ملة يخرج بذلك من الاسلام الاباحية : كان كثر نعمة فلا يخرج من الاسلام المسيرة : ما كان من الامسال له هدي في القرآن سمي مرتكبه بالسيه ، لمن ارتكب الزنى سمي زانيا ومن سرق سمي سارقا ، ولا يسمى كائرا ، أما الكبار التي لم يحدد القرآن عقوبتها فيكون بها بركاتها كركب الصلوة والحرار من الرفض الاباحية : ما فيه هدي بعد صاحبه ، ويسمى باسمه ، وما لا هدي فيه فهو مملور</p> |

المعتزلة

والمرجئة والجبرية

المعتزلة لون آخر من الحركات التي قامت ابان عهد الدولة الأموية ولها طابع يختلف عن طابع الحركات التي سبق الحديث عنها ، فهي حركة فكرية محضة ، لم تكون جيشا ولم تشهر سيفا ، وما روى عن اشتراك بعض قادتها كعمرو بن عبيد في الهجوم الذي شنّه يزيد بن الوليد وسقط به الوليد بن يزيد ، لا يجعلها فرقة ذات مبادئ عسكرية ، لان الثورة ضد الوليد لم تكن ثورة المعتزلة ، وانما كانت ثورة بعيدة الجذور تنصل بكفاءة الخليفة وأخلاقه كما سبق أن شرحنا ، فاشتراك بعض المعتزلة فيها انما هو اشتراك فردي يدخل في حدود المبادئ العامة التي تثير الناس على حاكم باغ أو حاكم مستهتر .

واذا كانت حركة المعتزلة فكرية دينية ، واذا كانت لم تكون جيشا ، ولم تشهر سيفا ، فانها عندما قويت لم تأنف أن تستعمل الضغط ضد مخالفيها كما شرحنا ذلك عند الكلام عن مشكلة خلق القرآن في الجزء الثالث من هذه الموسوعة (١) ، يوم أرغم الخليفة المأمون العلماء على اتباع رأى المعتزلة في القول بأن القرآن مخلوق ، واقتضت فلسفته أن يعد فاسقا وخارجا على الدين من يقول بأن القرآن ليس مخلوقا (٢) ، وقد عد استعمال الضغط من مواقف المعتزلة الميية ، وكان هذا الضغط من أهم الاسباب التي قضت على هذا المذهب .

ذلك هو لون حركة المعتزلة ، حركة فكرية ، بحثت كثيرا من المبادئ الدينية وبحثت كذلك بعض الاحداث السياسية بحثا فكريا كما سنيتي

(١) انظر موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ج ٢ ص

١٢٩ — ١٣٤ .

(٢) انظر كتابه الى نائبه ببغداد اسحق بن ابراهيم في جمهرة رسائل العرب للأستاذ صفوت ج ٢ ص ٥٤٠ — ٥٤٧ .

ايضاحه ، وكان سلاحها فلسفيا عقليا ، فلما اعتنق المأمون بعض مبادئها دافع عن عقيدته بالقوة والضغط ، واذا كان هذا قد عيب على المعتزلة ، فانه يمكن الدفاع عنهم بأن هذا كان تصرف الحاكم لا تصرف المعتزلة ، أما هم فقد ظلوا في حركاتهم الفكرية والفلسفية دون أن يحملوا سلاحا أو يثيروا فتنا عسكرية ، وبهذا ظل طابعهم بعيدا عن طابع الشيعة أو طابع الخوارج .

والحديث عن المعتزلة سيقتضينا الكلام ولو بإيجاز عن فرق أخرى لها صلة بالموضوعات التي تكلم فيها المعتزلة وذلك كالجبرية والمرجئة وأهل السنة .

ومذهب المعتزلة يرتبط ارتباطا كبيرا بمذهب الخوارج الذين سبق أن تحدثنا عنه ، أو قل ان مذهب الخوارج أثار مشكلة كانت سببا لا في قيام المعتزلة فحسب بل في قيام المرجئة والجبرية أيضا . وهذه المشكلة هي مشكلة مرتكب الكبيرة فقد سبق أن ذكرنا أن الأزارقة أكبر فرق الخوارج وأهمها قالت بكفر مرتكب الكبيرة كفر ملة أى خروجه من الاسلام وخلوده في النار ، وهذا القول أثار بحث المفكرين حول حقيقة الايمان ، وهل تأدية الفرائض والابتعاد عن الكبائر جزء منه أو ليست جزءا ، وما مكانة من آمن بالله ورسوله ثم قصر في تأدية الفرائض أو ارتكب الكبائر وذلك هو ما يدخل ضمن المشكلة المعروفة في اصطلاح المتكلمين باسم « خلق أفعال العباد » وفي هذا البحث ظهرت اتجاهات ثلاثة تكونت حولها مذاهب المرجئة والجبرية والمعتزلة :

رأى المرجئة :

قالت المرجئة : ان الايمان هو الاقرار بوحدانية الله وبرساله محمد اقرارا قلبيا . فمن أقر بذلك عن اعتقاد فهو مؤمن سواء أدى الفرائض أو لم يؤدها ، بعد عن الكبائر أو ارتكبها ، ويقول شاعرهم :

ولا أرى أن ذنبنا بالغ أحدا م الناس شركا إذا ما وحدوا الصمدا

أما من قصر في أداء الفرائض أو من ارتكب الكبائر فيرى بعض المرجئة عدم الحكم عليه في الدنيا وارجاء الحكم الى الله يوم القيامة (١) ، ومن هذا المذهب اتخذت كلمة « المرجئة » من الارجاء أى التأخير . ويرى اليونسية أصحاب يونس بن عون النيمري أن الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن ، وما سوى ذلك من الطاعة ليس من الايمان ولا يضر تركها حقيقة الايمان ولا يعذب على ذلك اذا كان الايمان خالصا واليقين صادقا (٢) . ويقال ان كلمة « المرجئة » اتخذت من هذا المذهب من أرجأ أى أعطى الرجاء في العفو ، وعلى هذا المذهب ما روى من قولهم : لا تضر مع الايمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وما قاله عبيد المكتئب من أن العبد اذا مات على توحيده لا يضره ما اقتترف من الآثام واجترح من السيئات (٣) .

وقال غسان الكوفي أحد زعماء المرجئة ، ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى وبرسوله ، والاقرار بما أنزل وبما جاء به الرسول ، والايمان لذلك لا يزيد ولا ينقص (٤) . وهذا الرأي يخالف رأى أهل الحديث والسنة ، فانهم يرون أن الايمان يزيد وينقص بزيادة الطاعات أو نقصها لقوله تعالى : « واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا (٥) » والذي يقبل الزيادة يقبل النقصان ، ولما سئل صلى الله عليه وسلم : هل يزيد الايمان وينقص

(١) الشهرستاني : الملك والنحل ج ١ ص ١٢٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق والفصل لابن حزم والفرق بين البغدادى ومقالات الاسلاميين للأشعرى وانظر كذلك
Nicholson : A Literary History of the Arabs p. 28'.

(٤) المراجع السابقة

(٥) 'الأنفال : الآية الثانية .

أجاب : نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتى يدخل صاحبه النار ، ويوافق أبو حنيفة على رأى غسان الكوفي وله تأويلات فى الأدلة السابقة (١) .

رأى الجبرية :

وقالت الجبرية : ان الأفعال التى يأتى بها الإنسان ، محامد كانت أو رذائل ، ليست من عمله ، وانما هى من خلق الله أجراها على يد الإنسان فالعبد ليس له فعل ولا قدرة على فعل ، ومن ثمّ فالؤمن لا يكفر بما يرتكبه من كبائر لانه مجبر على ارتكابها ، وهو كالريشة المعلقة فى الهواء تتحرك كيفما يحركها الريح . ومن كلام جهنم بن صفوان زعيم الجبرية الذى سميت باسمه هذه الفرقة أحيانا ف قيل « الجهمية » ما يلى : ان الإنسان لا يقدر على شئ ، ولا يوصف بالاستطاعة ، وانما هو مجبور فى أفعاله ، لا قدرة له ولا اختيار ، وانما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق فى سائر الجمادات ، وتنسب اليه الأفعال مجازا كما تنسب الى سائر الجمادات ، كما يقال : أثمرت الشجرة وجرى الماء ، وتحرك الحجر ، وطلعت الشمس وغربت ، وتغييمت السماء وأمطرت ، واهتزت الأرض وأنبتت . . الى غير ذلك ، والثواب والعقاب جبر ، كما أن الأفعال جبر قال : واذا ثبت الجبر فالتكليف أيضا كان جبرا (٢) .

ويدعم جهنم وأصحابه رأيهم فى القول بالجبر بآيات يرونها تؤيد ذلك ، مثل قوله تعالى « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » (٣) وقوله «ولو شاء ربك لآمن من الأرض كلهم جميعا » (٤) وقوله « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » (٥)

(١) انظر محمود البشيرى : الفرق الإسلامية ص ١٦ .

(٢) الشهر ستانى : الملل والنحل ج ١ ص ٨٠ ومثل هذا ما ورد فى كتب الفرق السابقة .

(٣) سورة القصص الآية ٥٦ .

(٤) سورة يونس الآية ٩٩ .

(٥) سورة البقرة الآية ٧ .

وقوله « ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم (١) » .

رأى جمهور المسلمين (اهل السنة) :

وقد تصدى القرآن الكريم وجمهور المسلمين للرد على هذا المذهب الخطير ، الذى يدعو للكسل والتوانى ويلغى المسئولية ، واعتمدوا على آيات كريمة من القرآن الكريم ، قال تعالى :

— سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء • كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ ان تتبعون الا الظن ، وان أنتم الا تخرصون • قل : قلله الحجة البالغة (٢) » .

— وقال الذين أشركوا : لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء • كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين (٣) » .

— واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا فى ضلال مبين (٤) » .

— وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم • ما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يخرصون (٥) » .

وقال تعالى مثبتا أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت :

-
- (١) سورة هود الآية ٣٤ .
 - (٢) سورة الأنعام الآية ١٤٨ .
 - (٣) سورة النمل الآية ٣٥ .
 - (٤) سورة يسن الآية ٤٧ .
 - (٥) سورة الزخرف الآية ٢٠ .

- لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (١) .
- فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٢) .
- وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى (٣) .

ويقول الامام جعفر الصادق في هذا الموضوع : ان الله تعالى أراد بنا شيئا ، وأراد منا شيئا ، فما أرادنا بنا طواه عنا ، وما أرادنا منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أرادنا بنا عما أرادنا منا ، وما بالنا نشتغل بالباطن عن الظاهر ؟ (٤) .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شارحا للرأى الصواب في اختيار الانسان وجبره ما يلي :

نعم ، يعلم الله — بشمول علمه — ما سيكون عليه الانسان باختياره من هدى أو ضلال ، خير أو شر ، وليس في علم الله بذلك شيء من معاني القهر والالزام ، وانما هو مجرد انكشاف ما وقع وما سيقع على السنة الدائمة التي رسمها الله ، وهي سنة الاختيار التي بنى عليها التكليف والثواب والعقاب (٥) .

ولعل أستاذنا الامام محمد عبده هو أكثر من كتب في هذا الموضوع توثيقا واحكاما ، ونحن هنا نقتبس بعض ما كتبه ، ففيه — فيما نعتقد — القول الفصل . قال رحمه الله عن أفعال العباد (٦) :

« كما يشهد سليم العقل والحواس من نفسه أنه موجود ولا يحتاج

(١) سورة البقرة الآية ٢٢٨ .

(٢) سورة الزلزال الايتان ٧ — ٨ .

(٣) سورة النجم الآية ٣٩ .

(٤) الشهرستاني : الملوك والنحل : القسم الأول ص ١٤٧ .

(٥) الاسلام عقيدة وشريعة ص ٤٧ .

(٦) رسالة التوحيد ٥٧ — ٦٢ باختصار .

في ذلك الى دليل يهديه ولا معلم يرشده ، كذلك يشهد أنه مدرك لأعماله الاختيارية ، يزن نتائجها بعقله ، ويقدم عليها بأرادته ، ويقدرها بقدرته ما فيه من حس • ويعد انكار شيء من ذلك مساويا لانكار وجوده في مجافاته لبداهة العقل •

« وكما يشهد ذلك في نفسه يشهده أيضا في بنى نوعه كافة متى كانوا مثله في سلامة العقل والحواس ، ومع ذلك فقد يريد ارضاء خليل فيغضبه ، وقد يطلب نيل رزقه فيفوته ، وربما سعى الى منجاة فسقط في مهلكة ، فيعود باللائمة على نفسه أن لم يحكم النظر في تقدير فعله ، ويتخذ من خيبته أول مرة مرشدا له في الاخرى ، فيعاود العمل من طريق أقوم ، وبوسائل احكم ، ويتقد غيظه على من حال بينه وبين ما يشتهي أن كان سبب الاخفاق في المسعى منازعة منافس له في مطلبه فينبري لمناصلته ، وتارة يتجه الى أمر أسمى من ذلك ان لم يكن لتقصيره أو لمنافسة غيره دخل فيما لقي من مصير عمله ، كأن هبت ريح فأغرقت بضاعة ، أو نزلت صاعقة فأحرقت ممتلكات له ، أو علق أمسه بمعين فمات ، أو بذى منصب فعزل ، يتجه من ذلك الى أن في الكون قوى أسمى من أن تحيط بها قدرته فيخضع ويخضع ، ولكنه يحاول مرة أخرى •

« أما البحث فيما وراء ذلك من التوفيق بين ما قام عليه الدليل من احاطة علم الله وأرادته ، وبين ما تشهد به البداهة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار فهو من طلب سر القدر الذي نهينا عن الخوض فيه ، واشتغال بما لا تكاد تصل العقول اليه •

« ودعوى أن الاعتقاد بكسب العبد لأفعاله يؤدي الى الاشراك بالله ، دعوى من لم يلتفت الى معنى الاشراك على ما جاء به الكتاب والسنة ، فالاشراك اعتقاد أن لغير الله أثرا فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة ، وأن لشيء من الاشیاء سلطانا على ما خرج من قدرة المخلوقين ، وهو اعتقاد من يعظم سوى الله ، مستعينا به فيما لا يقدر العبد عليه ،

كالاستنصار في الحروب بغير قوة الجيوش ، والاستشفاء من الامراض بغير قوة الادوية التى هدانا الله اليها ، والاستعانة على السعادة الاخرية او الدنيوية بغير الطرق والسنن التى شرعها الله لنا •

« هذا هو الشرك الذى عليه الدنيويون ومن مائلهم ، فجاءت الشريعة الاسلامية بمحوه ، ورد الامر فوق القدرة البشرية والاسباب الكونية الى الله وحده ، وتقدير أمرين عظيمين ، هما ركنا السعادة وقوام الاعمال البشرية •

الأول — أن العبد يكسب بارادته وقدرته ما هو وسيلة لسعادته •
الثانى — أن قدرة الله هى مرجع لجميع الكائنات ، وأن لا شئ سوى الله يمكن له أن يمد العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه •

« وواهب الوجود يهب الانواع والاشخاص وجودها ، ويهب لها توابع الوجود ، ومن تابع الوجود فى الانسان أن يكون مفكرا مختارا فى عمله على مقتضى فكره ، فأعمال الانسان حاصلة عن الكسب والاختيار وعلم الله بها ليس بسالب للتخير فى الكسب » •

ونضيف ان ما هو مكتوب علينا ليس الا تسجيلا لما سيحدث وليس أمرا به فاذا كان المؤرخ يدون الماضى فان قدرة الله تحيط بالحاضر والمستقبل احاطتها بالماضى ولذلك سجل على كل انسان ما سيحدث منه دون أن أكون ذلك أمرا باحداثه •

رأى المعتزلة :

وقال المعتزلة : ان الشخص هو الذى يخلق أفعاله بنفسه ، وهو بذلك مستحق للمثواب فيما يعمل من خير ، ومستحق للعقاب فيما يرتكبه من آثام ، واستدل المعتزلة على رأيهم بآيات من القرآن الكريم منها •

- كل نفس بما كسبت رهينة (١) •
- فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (٢) •
- انا هديناه السبيل اما شاكرًا وأما كفورًا (٣) •
- ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا (٤) •
- ان عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد (٥) •
- وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى (٦) •
- ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه (٧) •
- واذا كان الانسان هو الذى يخلق افعال نفسه وهو لذلك مسئول عنها مسئولية كاملة يثاب على الخير ويعاقب على الشر ، فما مكانة مكسب الكبيرة عند المعتزلة ؟

الجواب عن هذا السؤال يرويه لنا الشهرستاني (٨) بقوله :

دخل رجل على الحسن البصرى فقال : يا امام الدين ، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به مرتكبها عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ،

-
- (١) سورة المدثر الآية ٣٨ •
 - (٢) سورة الكهف الآية ٢٩ •
 - (٣) سورة الدهر الآية ٣ •
 - (٤) سورة المزمل الآية ١٩ •
 - (٥) سورة فصلت الآية ٤٦ •
 - (٦) سورة النجم الآية ٣٩ — ٤١ •
 - (٧) سورة النساء الآية ١٠ •
 - (٨) الملل والنحل ١ : ٥٢ •

والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ، بل العمل على مذهبهم ليس رندا من الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الفكر طاعة ، وهم مرجئة الامة ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا ؟

فتفكر الحسن في ذلك ، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء ، أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا . بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر .

ويقول الشهرستاني ان واصلًا قام من حلقة الحسن ، واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن . فقال الحسن : اعتزل عنا واصل . فسمى هو وأصحابه معتزلة ، ويورد الشهرستاني الايضاح الذي أدلى به واصل لتأييد اتجاهه وهو : أن الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمي المرء مؤمنا وهو اسم مدح ، ومرتكب الكبيرة لم يستجمع خصال الخير ، ولا استحق اسم المدح ، فلا يسمى مؤمنا ، وليس هو بكافر مطلقا ، لان الشهادة وأعمال خير أخرى موجودة فيه لا وجه لانكارها ، لكنه اذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة ، فهو من أهل النار خالدا فيها اذ ليس في الآخرة الا فريقان « فريق في الجنة وفريق في العسير » لكن عذابه أخف من عذاب الكفار (١) .

وهكذا كان موضوع « مرتكب الكبيرة » سببا في الانقسام الذي حصل في حلقة الحسن البصري وبالتالي سببا في قيام المعتزلة ، ولسكن الباحث المدقق يدرك أن الخلاف بين الحسن وتلميذه واصل كان قد بدأ قبل بحث موضوع مرتكب الكبيرة ، وفي « الملل والنحل للشهرستاني » ما يؤكد اتجاه واصل وصديقه عمرو بن عبيد الى القول بأن الانسان هو الذي يخلق أفعال نفسه وهو موضوع أوسع من موضوع مرتكب الكبيرة ، وكذلك الى القول بنفى صفات الله ، وكان رأي واصل وعمرو بن عبيد

مخالفا لرأى الحسن في هذين الموضوعين (خلق الأعمال ونفى الصفات) ، ولكن واصلا وزميله ظلا في حلقة الحسن مع اختلاف الرأى ، فلما جاءت مسألة « مرتكب الكبيرة » وسعت شقة الخلاف وسببت الاعتزال ، يقول الشهرستاني بعد تقريره : اعتزل واصل وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد أن كان موافقا له في القدر وانكار الصفات (١) .

ومن الملاحظ أن واصل لم ينتظر اجابة الحسن عندما عرض السؤال عن مرتكب الكبيرة ، لأن واصل كان يعرف اجابة أستاذه ، فالحسن كان من أهل الحديث فى القول بالقضاء والقدر أى بأن الله هو الذى يخلق أفعال العبد ، وليس للعبد فيها الا الاختيار والميل وهو مايسمونه بالكسب ، كما كان واصل يدرك اتجاه أهل الحديث الى أن أفعال العبد ليست جزءا من الايمان ، وعلى هذا فقد أدرك واصل أن رأى الحسن سيجعل مرتكب الكبيرة مؤمنا عاصيا . فسارع واصل وأعلن رأيه .

ونشأ بذلك مذهب المعتزلة على كل حال ، وأميل الى الاقتناع بما أوردناه أنفا عن الشهرستاني وهو ما ذكرته كل كتب الفرق التى بين أيدينا من أن تسمية المعتزلة جاءت من اعتزال واصل حلقة الحسن وقول الحسن « اعتزلنا واصل » وقد أورد الأستاذ المرحوم أحمد أمين وجوها أخرى للتسمية ، وضعف هذا الرأى الشهير ، واعتقادي أن ما أورده الأستاذ لم يضعف هذا الرأى الشهير ، وما اقترحه من أسباب أخرى لهذه التسمية لا يرجح أيضا هذا الرأى (٢) .

وهكذا بدأت المعتزلة ، وكان بدؤها مرتبطا بمعارضة رأى الخوارج فى مرتكب الكبيرة كما قلنا ، ولكنها - كما قلنا أيضا - كانت لها آراء أخرى غير الكلام فى مرتكب الكبيرة ، ولما تم استقلال هذه الطائفة بدأ شيوخها يعلنون آرائهم ويقررون اتجاههم ، وكان ذلك فى مطلع القرن

(١) انظر المال والنحل الفصل والفرق بين الفرق ومقالات الاسلاميين .

(٢) نجر الاسلام من ٢٨٨ - ٢٨٩ .

الهجرى الثانى ، واعتمد المعتزلة على العقل فى تقرير مبادئهم ، ولذلك عنوا بالعقل وأحلوه مكانا ساميا ، ثم اعتمدوا على الفلسفة وبخاصة عندما ظهرت النهضة العلمية فى العالم الاسلامى ، وترجمت فلسفات أمم متعددة الى اللغة العربية ، وكانت الفلسفة سلاح أعداء الاسلام يهاجمونه بها ، فاتخذ المعتزلة هذا السلاح سلاحا لهم ، وتصدوا للدفاع عن الاسلام به ضد كل من يناوىء الاسلام أو يتخطاه ، ويقول الشهرستانى عن نفى المعتزلة لصفات البارى ما يلى : وكانت هذه المقالة فى بدئها غير ناضجة وكان واصل بن عطاء يسير فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود الهين قديمين أزليين ، قال « ومن أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت الهين » ولما طالع أصحابه كتب الفلاسفة انتهت نظرهم فيها الى رد جميع الصفات الى كونه عالما قادرا ، ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة كما قال الجبائى أو حالان كما قال أبو هاشم وميل أبى الحسن البصرى نحو ردهما الى صفة واحدة وهى العالمية هو عين مذهب الفلاسفة (١) .

ويقول الأستاذ أحمد أمين (٢) : والحق أن المعتزلة هم الذين خلقوا علم الكلام فى الاسلام ، وأنهم أول من تسلح من المسلمين بسلاح خصومهم فى الدين ، ذلك أنه فى أوائل القرن الثانى الهجرى ظهر أثر من دخل فى الاسلام من اليهود والنصارى والمجوس والدهرية ، فكثير من هؤلاء أسلموا ورءوسهم مملوءة بأديانهم القديمة ، ولم يزد عليهم الا النطق بالشهادتين ، فسرعان ما أثاروا فى الاسلام المسائل التى كانت تثار فى أديانهم ، وكانت هذه الاديان التى ذكرناها قد تسلحت من قبل بالفلسفة اليونانية والمنطق اليونانى ، ونظمت طريق بحثها وتعمقت فى ذلك فواجهوا الاسلام وهو الدين الذى يمتاز ببساطة عقيدته فأثاروا حوله الشكوك وليس هؤلاء الذين أسلموا هم الذين فعلوا ذلك فقط ، بل كانت

(١) الملل والنحل ١ : ٥١ .

(٢) فجر الاسلام ٢٩٩ — ٣٠٠ .

البلاد الاسلامية مملوءة بذوى الأديان المختلفة الذين ظلوا على أديانهم وكان منهم كثيرون في بلاد الدولة الاموية يشغلون مناصب خطيرة ، هؤلاء وهؤلاء أثاروا مسألة القدر على هذا النمط الفلسفى ، وكانت معروفة في دينهم ، وأثاروا مسألة صفات الله وخلق القرآن ولها نظير في النصرانية وأثار الزرادشتيون كثيرا من مسائلهم ، وكل ذلك دعا المعتزلة أن يتسلحوا بسلاح عدوهم فجادلوهم علميا ، وردوا هجمات القائلين بالجبر والمنكرين لله ، كما ردوا ما أثاره اليهود والنصارى والمجوس من شكوك ، ونشطوا لهذا العمل نشاطا بديعا .

مبادئ المعتزلة :

والاعتقادات التى ينضوى تحتها مذهب المعتزلة هي :

١ — العدل : يطلق المعتزلة « العدل » على ما سبق أن شرحناه من أن الانسان يخلق أفعال نفسه خيرا وشرها ، ويستحق — بناء على ذلك — الثواب والعقاب ، والرب منزّه عن أن يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ، وانفقوا على أن الله تعالى لا يفعل الا الصلاح والخير ، ومن أجل هذا المبدأ يطلق على المعتزلة « العدلية » أى الذين كقولون بالعدل ، كما يطلق عليهم من أجله أيضا « القدرية » ، أى الذين يعارضون القضاء والقدر ، ولا يقولون بهما ، وهذا اللقب يكرهه المعتزلة ، ولا يرضون به اسما لهم ويرون أن الأولى أن يطلق هذا اللقب على من يقول بالقدر لاعلى من ينفى القول به ، والسبب في كراهيتهم لهذا اللقب أنه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (القدرية مجوس هذه الامة) ، وقوله : (القدرية خصماء الله في القدر) ولهذا السبب نجد القائلين بالقدر يلصقونه بالمعتزلة ، والمعتزلة يلصقونه بالقائلين بالقدر (١) .

(١) الملل والنحل والفصل والفرق ومقالات الاسلاميين في أماكن متعددة .

وهذه الأحاديث تفيدنا أن القول في القدر بدأ منذ عهد الرسول ، وأنه موضوع قديم كثر الحديث فيه ، وينسب دخوله للعالم الاسلامى الى رجل نصرانى أسلم ، وتلقاه عنه معبد الجهنى وغيلان الدمشقى ، وكان هذا الموضوع يطرأ في المجالس الاسلامية من حين الى آخر ، فلما جاء المعتزلة وقالوا به أكسبوه صبغة علمية وجعلوه أكثر دقة واتقاناً .

٢ — التوحيد : يطلق المعتزلة « التوحيد » على ما سبقت الإشارة اليه من نفي المعتزلة لصفات الله ، فانهم قالوا « بنفى الصفات القديمة » أصلاً لأنه لو كانت هناك صفات قديمة لتعدد القدماء ، وهذا شرك ، وقالوا ان الله عالم بذاته ، وقادر وحى بذاته ، ومتكلم بذاته ، وبناء على ذلك قالوا بخلق القرآن لأنه ليس هناك قديم الا الله .

ومن أجل هذا المبدأ يطلق أعداء المعتزلة عليهم لقب « المعطلة » لأنهم عطلوا صفات الله وألغوها ، ومن أجل هذا المبدأ كذلك يطلق على من يقول باثبات صفات الله تعالى « الصفاتية » ، ومن أجل المبدأين السابقين يطلق المعتزلة على أنفسهم « أهل العدل والتوحيد » (١) .

٣ — الوعد والوعيد : اتفق المعتزلة على أن المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، والتفضل معنى آخر وراء الثواب ، واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار . وسموا هذا « الوعد والوعيد » (٢) .

٥ — الحسن والقبح العقليان : اتفق المعتزلة على أن العقل يستطيع أن يميز الحسن من القبيح ، فطبيعة كل من الحسن والقبح معروفة ، وعلى الانسان أن يعتنق الحسن ويتجنب القبيح ، ولا يلزم لذلك ارسال الرسل ، وان قصر الانسان في المعرفة استوجب العقوبة ، ويستوجبها كذلك اذا عرف الحسن ولم يتبعه ، أو عرف القبيح ولم يتجنبه ، وأما

إرسال الرسل فكان مزيـد عون من الله تعالى « ليهلك من هلك عن سنة ويحيا من حي عن بينة (١) » .

٦ — وهناك اتجاه لواصل بن عطاء زعيم المعتزلة يبدى به رأيه في أصحاب الجمل وأصحاب صفين ، فقال أن أحد الفريقين فاسق لا محالة ، لكنه لا يعينه ، وقد عد الشهرستاني ذلك الاتجاه قاعدة عند المعتزلة (٢) . ولست أراه قاعدة لأنه كلام عن حادثة معينة . والقاعدة أو المبدأ يجب أن يكون شيئا عاما يطبق على الاحداث الفردية ، الا اذا قصد الشهرستاني أن واصلا أراد أن أى خلاف أو حرب بين المسلمين يكون أحد الفريقين فيه فاسقا لا بعينه ، بيد أنا لا نعتقد أن واصلا يقول ذلك ، فقد يكون أحد الفريقين معتديا فيعتبر فاسقا بعينه .

تلك خلاصة المبادئ التى قال بها المعتزلة ، وقد بدأت كما قلنا من قبل سهلة يسيرة كما يتضح من سردها آنفا ، ولكنها في العصر العباسي تعقدت ودخلتها الفروض والتعريفات والشذوذ أحيانا حتى مرقت في بعض تصرفاتها عن طبيعة الدين الاسلامي ، ونحب هنا قبل أن نطوى صفحة المعتزلة أن نثبت ما أخذ على هذه الفرقة من زلات واخطاء :

فأولا : بالغ المعتزلة في احترام العقل وتقديره ، والعقول كثيرا ماترلة وتخطيء ، وقد حملَ العقل بعضهم الى القول بأن حركات الخلد تنقطع ، وتصير الجنة والنار ومن فيهما الى سكون دائم خمودا ، وتجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة ، وتجتمع الآلام في ذلك لاهل النار . وسبب ذلك القول هو أن العقل هيا لهم أن ما له أول له آخر والجنة والنار لهما أول فلا بد أن يكون لهما نهاية وآخر (٣) .

وثانيا : يمتاز الاسلام بسهولته ويسره ، ولكن المعتزلة عقدوا هذه

(١) المراجع السابقة في عدة امكنة والآية رقم ٤٢ من سورة الانفال .

(٢) الملل والنحل ١ : ٥٢ — ٥٤ .

(٣) الملل والنحل ١ : ٥٤ .

العقيدة السمحة بما أدخلوه عليها من فلسفات ودراسات لاهوتية ، وكونية لم تشرح الاسلام بمقدار ما أضفت عليه من غموض •

ثالثا : نزل المعتزلة محيط الفلسفة ليدافعوا بها عن الاسلام ، ولكن كثيرا منهم طعن نفسه بالسلاح الذي بيده ، أو بعبارة أخرى غرق بعضهم في هذا المحيط الفلسفى وتخطبوا فيه وضلوا ، حتى قال بعضهم بالتناسخ وبقدرة الله (جلا وعلا) على الكذب والظلم ، ولو كذب أو ظلم كان كاذبا أو ظالما (١) (تعالى الله عن ذلك) •

رابعا : عندما بحث المعتزلة موضوع الفتن التى وقعت فى صدر الاسلام جوز أكثرهم الطعن فى الصحابة ونالوا منهم وهاجموهم هجوما عنيفا لا يناسب ما لهؤلاء من تاريخ حافل بالخير لنشر الاسلام وتأيد الرسول ، ووصل الهجوم الى التشكيك والتفسيق أحيانا (٢) •

كل هذه الأسباب بالاضافة الى تأييدهم استعمال الضغط ضد من لم يقل بخلق القرآن كانت سببا فى انفضاض الناس من حول المعتزلة ، ثم فى تدهور مذهبهم واضمحلال أمره •

وبعد ، ذلك هو العصر الأموى ، عصر حافل بالحركات السياسية والحركات الفكرية ، ولا نزاع أنه لا ينافسه عصر آخر فيما خلد من فتوح وما جذب للإسلام من جموع ، وما نشأت به من أفكار ، ولم تكن الآراء اتى ظهرت فى العصر العباسى الا ذات جذور أموية ، فالعصر الأموى لك عصر فريد بين عصور التاريخ الاسلامى ، وهو جدير بأن يكون رة للمسلمين فى جميع البقاع حتى العهد الحاضر •

(١) الملل والنحل ص ٦١ ، ٦٧ •

(٢) المرجع السابق ص ٥٩ •

كلمة ختام

الاسلام والفرق

وبعد ، أيها القارئ الكريم ، لقد عشنا ممّا جولة طويلة حول ما يسمى « الفرق الإسلامية » ، فهل هذه الفرق هي فعلاً فرق إسلامية ؟ ذلك سؤال مهم نطرحه لأول مرة للمناقشة والنظر .

إن الباحث في مقارنة الأديان يجد فرقاً كثيرة في اليهودية والمسيحية والجينية وفي غيرها من الأديان السماوية والوضعية ، ويتضح للباحث أن هذه الفرق لها جذور في الأديان نفسها ، فكل منها فهم خاص للقضايا الدينية الكبرى ، أو لقضية منها على الأقل ، ولنضرب لذلك بضعة أمثلة لتوضيح هذه النقطة :

ففي اليهودية يوجد الفرّيسيون والصدّوثقيون والقراءءون ، ولكل من هؤلاء فهم خاص لبعض العقائد اليهودية ، فالفرّيسيون يعتقدون في البعث وقيامه الأموات وفي وجود الملائكة والعالم الآخر ، كما يعتقدون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة التي تشرح اليهودية ، ولكن هناك بجانبها روايات شفوية وشروح وتفسيرات تنقلها الحاخامات من جيل إلى جيل وتكون فيها التلمود ...

أما الصدّوثقيون فينكرون البعث والحياة الآخرة وينكرون التلمود ويعتمدون على التوراة فقط وينكرون وجود الملائكة ...

والقراءءون ينكرون التلمود ويقولون بالاجتهاد وضرورة تصحيح الأخطاء التي وقع فيها السابقون من اليهود في بعض صور التشريع كزواج بنت امرأة الأب .

فاذا جئنا للطوائف والفرق المسيحية وجدناها كذلك تفترق في المعالم الكبرى وينبع خلفها من فهم المصادر الأولى ، فالكنيسة الكاثوليكية

تقول إن روح القدس نشأ عن الله الأب والله الابن معا ، ولكن اسيسة الأرثوذكسية تقول إن روح القدس نشأ عن الله الأب وحده ، وقالت الكاثوليكية بالمساواة الكاملة بين الله الأب والله الابن ، وقالت الأرثوذكسية بأفضلية الله الأب عن الله الابن ...

وقال البروتستانت بأن فهم الكتاب المقدس متروك لكل قادر عليه ، ولكن الكاثوليك والأرثوذكس قالوا بأن فهم الكتاب المقدس وقف على رجال الكنيسة دون سواهم .

وفي الجينية وأديان الهند فروق كثيرة ترجع الى أصول العقائد ، وهذا واضح لمن يقرأ كتابنا « أديان الهند الكبرى » .

وبهذا يتضح أن الفرق والطوائف في الأديان نشأت مبكرة . وكانت نشأتها حول فهم الفكر الدينى ... ثم هى لذلك لاتزال تعيش حتى الآن .

فماذا نرى عندما نريد أن نطبق هذا التفكير على الفرق الاسلامية ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال توضح لنا أن الاسلام ليست به فرق على الإطلاق ، فهذه الفرق التى تدارسنا تاريخها يتضح انتمائها لأفكار غير اسلامية ، فالنشيع كما رأينا فكر دخيل ، وأفكار ألقى بها عبد الله بن سبأ ومن جاء بعده ، وليست لها جذور إسلامية ، حتى أن المفكرين المسلمين اصطلموا على تسميتها بالرافضة ، فهى ترفض كثيرا مما اتفق عليه المسلمون ، وهى أيضا مرفوضة من أكثر المسلمين ، وقد رفضها الإمام على نفسه واستنكر ما قاله زعمائها كما روينا ذلك فيما سبق .

والخوارج بدو لا فكر عندهم ، وقد ذكرنا أنهم حاربوا للرغبة في الحرب شأن البدو ، وأنهم بعد أن حاربوا تساءلوا : لماذا نصارب ؟ وقد حاربوا عليا وأعداء على ، وحاربوا الأمويين ، كما حاربوا أعداءهم العباسيين ، بل حارب بعضهم بعضا ، وأنكر بعضهم اتجاهات البعض .

والمعتزلة فكر فلسفى وافد من الخارج سرعان ما مات واختفى
فى عهد المتوكل سنة ٢٣٢ واختفى معه المرجئة والجبرية .

وبمناسبة الحديث عن اختفاء المعتزلة والجبرية والمرجئة نقرر
أن الخوارج اختفوا أيضا وانفض الناس عنهم تماما حتى أن أهل عمان
الذين تعيش الاباضية فى بلادهم ينكرون أنهم خوارج ويغضبون إن
سمّوا بذلك ، ويرون أنهم لا يرتبطون بالخوارج الذين خرجوا على
الإمام على وإنما يرتبطون بعبد الله بن إباض الذى خرج على
عبد الملك بن مروان وهم معتدلون جدا فى مذهبهم ويعتبرون أنفسهم
ورثة الفكر الإسلامى الأصيل (١) .

أما الشيعة فاذا أردنا بها التفكير الأساسى لها وهو حب آل البيت
فذلك ليس مذهباً ولا فرقة ، وهو اتجاه عادى يكثر فى مصر التى يحب
سكانها آل البيت دون أى تغيير فى المبادئ الإسلامية ، ودون أى تمسك
بما سمي الإمامة وما تفرع عنها .

أما الشيعة بمبادئهم فى الإمامة ، وحق آل البيت فيها ، وامتيازات
الإمام ، ... وغير ذلك مما شرحناه فى هذا الجزء فذلك شئ دخيل
على الاسلام ، وهى عقائد جلبها عبد الله بن سبأ وأتباعه واستنكرها
الإمام على نفسه واستنكرها أبناؤه وأحفاده كما ذكرنا ، ومن هنا فالذين
يعتقدون هذا المذهب لا يتبعون مذهباً إسلامياً .

ونصل بذلك الى حقيقة مهمة هى انه لا فرق فى الاسلام . وأن الفرق
التي ظهرت والتي تحدثنا عنها أننا كانت أولا ظواهر لانحرافات خاصة ،
وكانت ثانيا قصيرة العمر ، إذ انفض عنها كل المسلمين وكم نكون سعداء
يوم تتخلى الشيعة عن المبادئ الوافدة لتعود الوحدة التى ننشدها
للمسلمين جميعا .

(١) انظر ماكتبناه عنهم من الجزء السابع من هذه الموسوعة ص ٢٢٢
وما بعدها من الطبعة الثانية .

مرة أخرى ، إن الباحث في الديانات يجد أن الفرق تتوافر فيها
العوامل الآتية :

- ١ — قديمة النشأة إذ تظهر غالبا مع ظهور الدين •
 - ٢ — اتصالها بالمبادئ الأصلية في العقيدة •
 - ٣ — بقيت هذه الفرق على مر السنين والقرون •
- وهذه العوامل لا توجد فيما يسمى الفرق الإسلامية ؛ فهي :
- أولا : فرق طارئة تأخرت في الظهور •
 - ثانيا : مصدرها ثقافات أجنبية وافدة •
 - ثالثا : انفص المسلمون عنها من وقت مبكر •

ولم يبق من الفرق الإسلامية إلا الشيعة التي لا تزال مرتبطة بثقافة
وافدة ، وهي تحاول أن تربط نفسها بروابط إسلامية كبعض الأحاديث
النبوية ، ولكن جمهور المسلمين يردّون هذه الأحاديث •

لقد تحدث بعض المؤلفين الأوائل عن الفرق ، ثم اقتبست الأجيال
التالية هذا الحديث دون وقفة تمحيص ، ومن توفيق الله أننى وقفت أمحص
وأدرس ، فقادتنى الدراسة لهذه النتيجة الطيبة التي تحمى ديننا من شرور
الخلافت ، والتي تنسب ما عانته الأجيال السابقة من صراعات الى الثقافات
الوافدة التي كانت في أكثرها تَكْنِة الشر للإسلام •

ومن الواضح أننا لا ننكر وجود الخوارج والمعتزلة والمرجئة
والجبرية ، ولكننا ننكر أنها فرق إسلامية ، إن هؤلاء وأولئك تجمعات
تأثرت بثقافات أجنبية وظهرت في التاريخ مسالمة أو محاربة ، وفطن
المسلمون أن هؤلاء لا يمتنون بفكرهم الى الإسلام فانفضوا عنهم وسرعان
ما اختشوا من أفق التاريخ ، وقد ظهر على منوالهم سواهم كالبابية
والبهائية والقرامطة ، وليس من العلم في شيء أن نطلق على هذه الفرق
وأمثالها فرقا إسلامية •

والله أعلم

ثبت المراجع

ملاحظات:

١ — المصادر المذكورة هنا هي التي اعتمد عليها هذا الكتاب ووردت في ذيل صفحاته ، أما المراجع الأخرى التي أسهمت في هذا العمل بطريق غير مباشر فلم تذكر في هذه القائمة .

٢ — الطريقة التي اتبعت في تنظيم هذه القائمة بنيت على أساس عم اعتبار الملحقات (ابن — ال) .

١ — القرآن الكريم .

٢ — مجموعة من كتب التفسير .

٣ — كتب الأحاديث الستة .

٤ — مجموعة من كتب الفقه .

٥ — Encyclopoedia of Islam

٦ — بعض المجلات العلمية

٧ — ابن الأثير الكامل في التاريخ

٨ — أحمد أمين فجر الإسلام

٩ — أحمد أمين ضحى الإسلام

١٠ — أحمد أمين يوم الإسلام

١١ — أحمد زكي صفوت جبهة رسائل العرب

١٢ — دكتور أحمد السادات تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية

١٣ — دكتور أحمد شلبي تاريخ التربية الإسلامية

١٤ — دكتور أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي (بأجزائها المختلفة)

١٥ — دكتور أحمد شلبي اليهودية من سلسلة « مقارنة الأديان »

١٦ — دكتور أحمد شلبي السياسة في الفكر الإسلامي

١٧ — دكتور أحمد هيكل الأدب الأسباني

١٨ — الأزدي فتوح الشام

١٩ — الأزرقى أخبار مكة

٢٠ — الأشعري مقالات الإسلاميين

٢١ — الأصفهاني الأغاني

| | | |
|---|-------------------|------|
| A Literary History of persia | Browne | — ٢٢ |
| فتوح البلدان | البلاذرى | — ٢٣ |
| البغدادى (عبد القاهر) الفرق بين الفرق | | — ٢٤ |
| البغدادى (محمد امين) سبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب | | — ٢٥ |
| ديوان الامير تميم (مخطوط) | الامير تميم | — ٢٦ |
| The Caliphate | Thomas Arnold | — ٢٧ |
| The Preacting of Islam | Thomas Arnold | — ٢٨ |
| Muhammadanism | Gibb | — ٢٩ |
| The Arab Conquests in Central Asia | Gibb | — ٣٠ |
| The Traditions of Islam | Guilliaume | — ٣١ |
| تاريخ التمدن الاسلامى | جورجى زيدان | — ٣٢ |
| تفكرة خواص الامة | ابن الجوزى | — ٣٣ |
| كشف الظنون | حاجى خليفة | — ٣٤ |
| شرح نهج البلاغة | ابن ابي الحديد | — ٣٥ |
| الفصل فى الملل والنحل | ابن حزم | — ٣٦ |
| المحلى | ابن حزم | — ٣٧ |
| تاريخ الاسلام السياسى | دكتور حسن ابراهيم | — ٣٨ |
| الفاطميون فى مصر | دكتور حسن ابراهيم | — ٣٩ |
| ليبيا بين الماضى والحاضر | دكتور حسن سليمان | — ٤٠ |
| الامم الاسلامية | الخضرى | — ٤١ |
| المقدمة | ابن خلدون | — ٤٢ |
| العبر | ابن خلدون | — ٤٣ |
| وقيات الاعيان | ابن خلكان | — ٤٤ |
| The Muslims in Spain | Dozy | — ٤٥ |
| عقيدة الشيعة | دوايت دونلدش | — ٤٦ |
| تاريخ الاسلام | الذهبى | — ٤٧ |
| طبقات الشافعية | السبكي | — ٤٨ |
| تاريخ العرب العام (ترجمة عادل زعتر) | سيديو | — ٤٩ |

| | | |
|--|------------------------|------|
| The Arabs in Spain | Stanley Lane Poole | — ٥٠ |
| Muhammadan Dynasties | Lane - Poole | — ٥١ |
| الطبقات | ابن سعد | — ٥٢ |
| A Short History of the Saracens | Sayid Ameer Ali | — ٥٣ |
| أسرار القرآن | السيد ماضى أبو العزائم | — ٥٤ |
| خلاصة الأخبار | السيد محمد المهدي | — ٥٥ |
| تاريخ الخلفاء | السيوطي | — ٥٦ |
| ممالك ما وراء النهر | د. عبد الهادي شعيرة | — ٥٧ |
| قوات الوفيات | ابن شاعر الكتبي | — ٥٨ |
| الملل والنحل | الشهرستاني | — ٥٩ |
| خطط دمشق | صلاح الدين المنجد | — ٦٠ |
| الفخر في الآداب السلطانية والدول الإسلامية | ابن طباطبا | — ٦١ |
| تاريخ الأمم والملوك | الطبري | — ٦٢ |
| (ناشر) أربع رسائل اسماعيلية | عارف تامر | — ٦٣ |
| مبادئ الإسلام وأباطيل خصومه | عباس محمود العقاد | — ٦٤ |
| الصديقة بنت الصديق | عباس محمود العقاد | — ٦٥ |
| الحسين سيد الشهداء | عباس محمود العقاد | — ٦٦ |
| فتوح مصر | ابن عبد الحكم | — ٦٧ |
| سيرة عمر بن عبد العزيز | ابن عبد الحكم | — ٦٨ |
| المجمل في تاريخ الأندلس | عبد الحميد العبادي | — ٦٩ |
| العقد الفريد | ابن عبدريه | — ٧٠ |
| ال خليفة الزاهد | عبد العزيز سيد الأهل | — ٧١ |
| التاريخ السياسي للدول العربية | دكتور عبد المنعم ماجد | — ٧٢ |
| أحكام القرآن | ابن العربي | — ٧٣ |
| تاريخ مختصر الدول | ابن العبري | — ٧٤ |
| تاريخ دمشق | ابن عساکر | — ٧٥ |
| عقائد الاسماعيلية | على بن حنظلة | — ٧٦ |
| آل محمد في كربلاء | عمر أبو النصر | — ٧٧ |
| الاحياء | الغزالي | — ٧٨ |
| حضارة العرب | غوستاف لوبون | — ٧٩ |

- السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات
Medieval Moslm Rule in India
المختصر في أخبار البشر
History of the Arabs
عيون الأخبار
الامامة والسياسة
المعارف
آثار البلاد وأخبار الأعشى
صبح الأعشى
البداية والنهاية
اصول الكافي
موجز تاريخ الشرق الاوسط (ترجمة
عمر الاسكندري)
تاريخ الشعوب الاسلامية
The Origin of Ismaillism
الاحكام السلطانية
الكامل
تحفة الزائر
الشيعة
مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام
تاريخ المؤامرات السياسية
رسالة التوحيد
ايام العرب في الجاهلية
خطط الشام
الاسلام والحضارة العربية
١٠٤ — محمود شلتوت (الامام) الاسلام عقيدة وشريعة
١٠٥ — محمود الشيعي الفرق الاسلامية
١٠٦ — يحيى الدين بن العربي العواصم من القواصم
٨٠ — فان غلوتن
٨١ — Parasadi
٨٢ — أبو القدا
٨٣ — Philip Hitti
٨٤ — ابن قتيبة
٨٥ — ابن قتيبة
٨٦ — ابن قتيبة
٨٧ — القزويني
٨٨ — القلقشندي
٨٩ — ابن كثير
٩٠ — الكليني
٩١ — كيرك
٩٢ — كلارك بروكلمان
٩٣ — Lewis. Pernard
٩٤ — الماوردي
٩٥ — الميرد
٩٦ — المجلسي
٩٧ — محمد صادق الصدر
٩٨ — محمد عبد الله عتاق
٩٩ — محمد عبد الله عتاق
١٠٠ — محمد عيده (الامام)
١٠١ — محمد احمد جاد المولى
١٠٢ — محمد كرد علي
١٠٣ — محمد كرد علي
١٠٤ — محمود شلتوت (الامام) الاسلام عقيدة وشريعة
١٠٥ — محمود الشيعي الفرق الاسلامية
١٠٦ — يحيى الدين بن العربي العواصم من القواصم

| | |
|---------------------------------|-----------------------|
| مروج الذهب | ١٠٧ — المسمودي |
| اعجاز القرآن | ١٠٨ — مصطفى الرافعي |
| Muslim Theology | ١٠٩ — Macdonald |
| نفح الطيب | ١١٠ — المقرئ |
| الخطط | ١١١ — المقرئ |
| ديوان المؤيد في الدين | ١١٢ — المؤيد في الدين |
| المجالس المؤيدية | ١١٣ — المؤيد في الدين |
| (مخطوط) المجالس والمسائرات | ١١٤ — النعمان بن محمد |
| (مخطوط) دعائم الاسلام | ١١٥ — النعمان بن محمد |
| (مخطوط) تاويل دعائم الاسلام | ١١٦ — النعمان بن محمد |
| (مخطوط) اسباب التأويل الباطن | ١١٧ — النعمان بن محمد |
| تهذيب الاسماء | ١١٨ — النسوي |
| A Literary History of the arabs | ١١٩ — Nicholson |
| ديوان ابن هانيء | ١٢٠ — ابن هانيء |
| A Short History of the world | ١٢١ — Wells |
| Al Khawarig and Al Shiah | ١٢٢ — Wellhausen |
| The Arab Kingdom and its Fall | ١٢٣ — Wellhausen |
| ديوان ابن هانيء | ١٢٤ — الواقدي |
| معجم البلدان | ١٢٥ — ياقوت |
| تاريخ اليعقوبي | ١٢٦ — اليعقوبي |

فهرس الاعلام

ملاحظات :

- ١ — الطريقة التي اتبعت في تنظيم هذه الاعلام مبنية على عدم اعتبار الملحقات [ابن — ال] .
- ٢ — اذا تكرر الاسم في صفحة واحدة وضعنا رقم الصفحة وبعده حرف « م » اى مكرر .
- ٣ — لم نورد في فهرس الاعلام اسماء مؤلفى المراجع التى اعتمدنا عليها اكتفاء بورودها في ذيل صفحات الكتاب وذلك تحاشيا للاسهاب .

حرف الالف

اسامة بن زيد التنوخى ٨٧
 اسد بن عبد الله القسرى ٩٨ ، ١٣٧
 اسلم بن أبى زرة الكلابى ٢٦٧ م
 اسماء بنت أبى بكر ٢٢٢ ، ٢٣٣
 اسماعيل بن الأشعث ٦٧ ، ٦٨
 اسماعيل بن جعفر ١٦٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣
 الأشعث ٢٤١ ، ٢٤٢
 الأشعث بن قيس الكندى ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩
 اثرس بن عبد الله السلمى ٩٨
 الاصمعى ٧٦
 اغا خان ١٩٣ ، ١٩٤
 امية بن عبد شمس بن عبد مناف ٢٩
 ايوب بن سليمان بن عبد الملك ٨٠ ، ٨٢

حرب الباء

الباقر ١٥٤ ، ١٦١
 البراء بن أبى قبيصة ٢٦٨
 بكر بن ثعابة ٢٠٠

حرف الجيم

جابر بن عبد الله ١٤٦ ، ١٧٥
 ابو الجارود ١٥٥ ، ١٧٥

آدم عليه السلام ١٨٤
 ابان بن عثمان بن عفان ٣٩
 ابراهيم عليه السلام ١٨٣ ، ١٨٨
 ابراهيم بن الأشتر ٦٤ ، ٦٥ ، ٢١٦ م ، ٢١٧ م ، ٢١٨ م ، ٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .
 ابراهيم بن الوليد ١٠٤ ، ١٠٥
 ابو ايوب الأنصارى ١١٥ م
 ابن أبى الحديد ١٦٩
 ابو بكر ٣١ ، ٣٣ ، ١٠٠ ، ١٤٦ م ، ١٤٨ م ، ١٤٩ م ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٢٣ م ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٧٦
 ابو جهل ٢٩
 ابو حمزة الخارجى ٢٥٠ ، ٢٦٤
 ابو ذر الغفارى ١٤٦
 ابو طالوت ٢٤٧
 ابو منصور العجلى ١٥٤
 ابو المهاجر ١٢٢ م
 ابو سفیان ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ١٠٤ ، ١١٥
 ابو موسى الأشعرى ٢٤٣ ، ٢٤٥ م
 احمد بن حميد الكرمانى ١٨٥
 احمد بن شميظ ٢١٩
 احمد بن الكيالى ١٥٥

٥٣ ، ٥٤ م ، ١٦٥ ، ١٦٨ ،
١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
١٩٥ م ، ١٩٦ ، ١٩٧ م ،
١٩٨ م ، ١٩٩ م ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢٠٧ م ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ،
٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
٢٢٩ ، ٢٤٢ م

الحصين بن تميم ٢٠٠ ، ٢٠١
الحصين بن نمير ٦٤ ، ٧١ ، ٢١٤ ،
٢١٧ ، ٢٢١ م ، ٢٢٨ م
أم حكيم (زوجة قطري بن
الفجاءة) ٢٧٠

الحكم بن العاص بن أمية ٥٥
حمزة بن عبد الله بن الزبير ٦٥ ،
٢٣٢
حميد الدين عبد الله الكرمانى ١٩١
حنظلة بن بيهس ٥٥
حوثرة الأقطع ٥٠
حبان بن ظبيان ٢٤٩ .

حرف الخاء

خالد بن عبد الله القسرى ٩٨ م ،
٢٢٠ ، ٢٥٣
خالد بن يزيد بن معاوية ٥٧ ، ٥٩
خبیب بن عبد الله بن الزبير ٦٥ ،
٢٤٠

حرف الدال

درهم (غلام عمر بن عبد العزيز)
٨٥

حرف الراء

رتبيل (الملك) ٦٦
رجاء بن حيوة ٧٩ ، ٨٢ م ، ٩٢

جديع بن على الكرمانى ٩٨

جساس بن مرة ٢٥٥

جعفر الصادق ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ،

١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٣ ،

١٧٧ ، ١٨١ .

الجنيد بن عبد الرحمن ٩٨

جهم بن صفوان ٢٨٤

جهمزة (أم شبيب بن يزيد الشيباني)

٢٦٤

جوليان (الكونت) ١٢٦ ، ١٢٧

حرف الحاء

الدارث بن عبد الرحمن الثقفى ٨٧

الحاكم بأمر الله ١٩٠

حباة جارية يزيد بن عبد الملك ٩٤ م

أم حبيبة بنت أبى سفيان ٣٣

الحجاج بن يوسف الثقفى ٤٧ ، ٦١ ،

٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ م ، ٦٦ م ،

٦٨ م ، ٦٩ م ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ،

٨٠ ، ٨١ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ،

١٣٩ ، ١٤٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ،

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٠ م ،

٢٥١ م ، ٢٥٢ ، ٢٧٤ ،

٢٧٦ ، ٢٧٩

حنيفة بن اليمان ١٤٦

الحر بن يزيد التميمى ٢٠٠ ، ٢٠١

ابن حزم ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥

حسان بن مالك ٥٦

حسان بن النعمان الفسائى ١٢٣ م

الحسن بن على ٢١ ، ٢٥ ، ٣٦ ،

٣٨ ، ٤١ ، ٤٩ ، ١٦٨ ،

١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ م

الحسن البصرى ٢٨٩ ، ٣٠٠ م

الحسن بن الصباح ١٥٦ ، ١٨٨ ،

١٩٣

الحسين بن على ٢١ ، ٢٥ ، ٣٦ م ،

٢٨ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ م ،

سليمان بن سعد ٦٢
سليمان بن سرد ١٨٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣

سليمان بن هشام ١٠٦ ، ١٠٧
سليمان بن عبد العزيز ١٣٧ ، ٢٤٢
سليمان بن عبد الملك ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ م ، ٨٠ ، ٨١ م ، ٨٣ ، ٩٣ ، ١١٨ ، ١٣٣ ، ١٣٧

السمح بن مالك ١٣٢
سنان بن أنس ٢٠٤
سهل بن عبد العزيز ٩١
السيد محمد المهدي ١٦٣ م
ابن سرين ٧٨

حرف الشين

شارل (مارتل) ١٣٠
شبيب بن يزيد الشيباني ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ م ، ٢٧٩ م

الشريف الرضي ٩٠
شمس الدين بن أحمد بن يعقوب
الطبيبي ١٨٥ ، ١٨٦
شهاب الدين أبو فراس ١٧٨ ، ١٨٦
شمس بن ذي الجوش ٢٠٢ ، ٢٠٣
شوقب الشيباني ٢٥٢ ، ٢٥٣

حرف الصاد

صالح بن عبد الرحمن ٦٢ ، ٨٧
صالح بن مخراق ٢٧٦
صالح بن مسرح ٢٧٨
صخر بن حبيب ٢٧٦
صفية بنت عبد المطلب ٢١٤

حرف الضاد

الضحاك بن قيس ٥٧

رفاعة بن شداد ١٩٤ م ٢٠٨
الرسول (محمد عليه السلام) ٢٥
٢٧ ، ٢٩ م ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٧٥ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠

حرف الزاي

الزبير بن العوام ٢٧ ، ٣٤ ، ٢٢٢
زرعة بن شريك التميمي ٢٠٣
زفر بن الحارث ٥٦ م
زهر بن قيس ١٢٢

زياد بن أبيه ٢١ ، ٢٥ ، ٣١ م ، ٣٢ ، ٤٤ م ، ٤٧ ، ٢١٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢
زياد بن الأصغر ٢٧٨
زيد بن حصين الطائي ٢٤١ ، ٢٤٥

زيد بن الخطاب ٨٩
زيد بن علي بن الحسين ١٧ ، ١٧٣ ، ١٧٤ م ، ١٧٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
زينب بنت الامام علي ٢٠٥

حرف السين

ابن سريج ٧٢
سعد بن أبي وقاص ٢٧ ، ٢٤
سعد بن مسعود ٢١٢
سعید بن عمر الجرشي ٢٥٤
سعید بن المسيب ٣٣ ، ٥٩
سفیان بن أبرد الكلبي ٢٥٣ ، ٢٧٩
سفیان بن عوف ١١٥
سكينة بنت الامام الحسين ٢٠٥
سلامة جارية يزيد بن عبد الملك ٩٤

حرف الطاء

طارق بن زياد ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩

طريف بن مالك ١٢٥ ، ٢٤٠
طلحة بن عبيد الله ٢٧ ، ٣٤ ، ٥٦ ، ٢٣١
طويس ٧٢

حرف العين

عائشة (زوجة الرسول) ٥١ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ م ، ٢٦٥

عامر البصري ١٨٦
العباس بن عبد المطلب ١٧١
عباس بن سهل ٢١٣
عبد الله بن أبي بكر ٣٩
عبد الله بن أبيض ٢٧٤ م ، ٢٧٥ ، ٢٧٧

عبد الله بن الأخطح ١٥٨
عبد الله بن ثور أبو فديك ٢٤٧ ، ٢٧٧

عبد الله بن حرب الكندي ١٥٤
عبد الله بن حنظلة ٥٢
عبد الله بن خباب ٢٤٥ م ، ٢٥٩ ، ٢٦٤

عبد الله بن الزبير ٣٩ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٤ م ، ٦٥ م ، ٧١

١١٥ ، ١٤٢ ، ١٦٢ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢١٣ م ، ٢١٩ م ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ م ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ م ، ٢٣٧ م ، ٢٦٤

عبد الله بن الصفار ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩

عبد الله بن سهل ٩١
عبد الله بن عباس ٣٣ ، ٣٨ م ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ١٨٠ ، ١٩٨

٢٠٧ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢

عبد الله بن عجرد ٢٧٨
عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ٩٦

عبد الله بن عمر ٣٩ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢
عبد الله بن عمرو بن العاص ٤٢ ، ١١٥

عبد الله بن عمر الكلبى ٢٠٢
عبد الله بن الكواء ١٧٧ ، ٢٣٥
عبد الله بن مطيع العدوى ٥٢ ، ١٩٩ ، ٢١٦

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ١٥٦
عبد الله بن المهدي ١٦٨
عبد الله بن هلال الشكري ٢٧٤ ، ٢٧٦

عبد الله بن وهب الراسبي ٢٤٥ م
عبد الله بن زياد ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ م ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠

عبيدة بن هلال ٢٥١
عبد ربه الصغير ٢٧٦
عبد ربه الكبير ٢٥٠ ، ٢٧٦
عبد الرحمن بن أبي بكر ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠

عبد الرحمن بن الأشعث ٦٨ ، ٦٩ م ، ٢٥٨

عبد الرحمن الخافقي ١٢٥ ، ١٣٣
عبد الرحمن بن عوف ١٤٢ ، ١٤٩
عبد الرحمن بن مخلف ٢٥١

عبد الرحمن بن ملجم ٢٤ ، ٢٤٧
عبد العزيز بن مروان ٢٠ ، ٢٤ م ، ٥٨ م ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٣

٨٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠
عبد الملك بن سهل ٩١

عمر بن عبد الله بن معمر ٢٥١
عمرو بن العاص ٢٠ ، ٢٤ ، ٤١ م ،
٤٢ ، ٢٤١ م ، ٢٤٢ م ،
٢٤٥ م ، ٢٤٧

عمرو بن عبيد ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٧

عمران بن حطان ٢٤٧

على بن أبي طالب ١٩ ، ٢١ م ، ٢٣ ،
٢٤ م ، ٢٥ م ، ٣١ م ، ٣٤ م ،
٣٦ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٨٩ ، ١١٤ ،
١٤٨ ، ١٤٩ م ، ١٥٢ م ، ١٥٤ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ م ،
١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،
١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ م ، ١٧٨ ،
١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ٢١٢ ،
٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٧ ،
٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ،
٢٧٣ ، ٢٧٤

على بن الحسين ١٧٠ ، ٢٠٥

على خان ١٩٣

على الرضا ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ،
١٦٨

على زين العابدين ١٦٤ ، ١٦٨ ،
١٧٦ ، ٢٠٤

على بن عبد الله بن العباس ١٧١

عقال بن شبه ٩٦

عقبة بن نافع ١١٩ م ، ١٢١ م ،
٢٦٩ م

عيسى بن مصعب بن الزبير ٢٣١

حرف الفين

الفريض ٧٢

غزالة زوجة شبيب بن يزيد الشيباني
٤٨

غسان الكوفي ٢٨٣

غيطشة ١٢٦

غيلان الدمشقي ٢٩١

عبد الملك بن مروان ١٩ ، ٢١ ،
٢٣ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ،
٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ م ،
٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ م ، ٦٤ م ،
٦٥ م ، ٦٧ ، ٦٩ م ، ٧٣ م ،
٨٣ ، ١١٢ ، ١١٧ م ، ١٢٣ ،
٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ م ،
٢٣١ ، ٢٣٢ م ، ٢٥٠ م ،
٢٥٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٦

عتبة بن ربيعة ٣٠ ، ٧١ ، ٩٨

عتبة بن أبي سفيان ٢٠٥

عثمان بن عفان ٢١ ، ٢٧ ، ٣١ م ،
٣٣ ، ٣٤ م ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٦ ،
٧٠ م ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢١ ،
١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٥٧ ، ١٦١ ،
٢٢٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٦

عروة بن أدية ٢٤٩

عروة بن أذينة ٥٠

عروة بن جرير ٢٥٥

عروة بن الزبير ٦٠

عطية الاسود ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
٢٧٨

عمار بن ياسر ٣٤

عمر بن الخطاب ٢٧ م ، ٣٠ ، ٣٣ م ،
٤٠ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٨١ م ،
١١٣ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ،
١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ٢٠٣ ،
٢٧٢ ، ٢٧٦

عمر بن زرارة القسري ٢٢٥ م

عمر بن سعد بن أبي وقاص ٥٧ ،
٥٨ ، ٥٩ م ، ٦٠ ، ٢٠١ ،
٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢١٧

عمر بن عبد العزيز ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ،
٢٤ ، ٢٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ،
٧٨ ، ٨١ م ، ٨٢ م ، ٨٣ م ،
٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ م ، ٨٩ م ،
٩٠ ، ٩٣ م ، ٩٥ ، ١١٢ ،
١١٩ ، ١٣٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥

حرف الفاء

فاطمة بنت الرسل ١٦١ ، ١٨٠ ، ١٨٣

فاطمة بنت الامام الحسين ٢٠٥
فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة
عمر بن عبد العزيز ٨١ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩١

مروتنة ٨٩
الفرزدق ٥١ ، ١٨٣ ، ١٩٩
فرعون ٣١ م

فروة بن نوفل الاثجمي ٢٤٨ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣

حرف القاف

قبيصة بن ذؤيب ٥٩
قتيبة بن مسلم ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
١٣٧ ، ١٣٨

ابن قتيبة ٣٤ ، ١٦٥
قرة بن شريك ٧٥
قطرى بن الفجاءة ٢٤٧ ، ٢٥٠ ،
٢٥١ ، ٢٦٦ ، ٢٧٨

القبي ١٥٨ ، ١٥٩
قيس بن سعد بن عبادة ٣٥ ، ٣٨
قيس بن الهيثم ١٣٥

حرف الكاف

كثير عزة ١٨٠
كسيلة ٢٢٦
كليب بن ربيعة ٢٥٦
كيسان مولى محمد بن الحنفية ١٧٠

حرف اللام

لذريق ١٢١ ، ١٢٩
ليول المرعشي ١١٨

حرف الميم

المامون ١٦٤ ، ٢٢٤
مالك بن هيرة ٥٧
محمد بن الأشعث بن قيس ٤٦
محمد الباقر ١٦٠ م ، ١٦٢ ، ١٦٣
محمد بن الحارث ١٣٩
محمد بن الحسن الطوسي ١٥٩
محمد بن الحنفية ١٥٥ م ، ١٦٨ ،
١٧١ ، ٢٠٠ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
٢٢٧ م
محمد الفاتح ١٢٠
محمد بن القاسم الثقفي ٧٦ ، ٨٧ ،
١٤٠

محمد بن مروان ٢٣١
محمد (المهدي المنتظر) ١٦٧ ، ١٧٥
محمد بن يعقوب الكليئي ١٥٩ ،
١٦٤ ، ١٦٠

محمد بن يوسف ٧٥
المختار بن أبي عبيد الثقفي ٥٩ ، ٦٠ ،
٦٤ م ، ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٣ ،
٢١٤ م ، ٢١٥ م ، ٢١٦ م ،
٢١٧ م ، ٢١٨ م ، ٢١٩ ،
٢٢٠

مروان بن أدية (أبو بلال) ٢٤٩ م ،
٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
مروان بن محمد ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ،
١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،
١٠٧ ، ٢٥٣

مروان بن الحكم ٢٥ ، ٤٨ ، ٥٤ ،
٥٦ ، ٥٧ م ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ،
٦٨ ، ٧٣ ، ٢٣٠

مزامير وزير عمر بن عبد العزيز ٨٦ ،
٨٧ ، ٩٠ ، ٩١
المستورد بن علفة ٢٤٩

مسعد بن فذك التميمي ٢٤١
أبو مسلم الخراساني ١٠٧
مسلم بن عوسجة ٢٠٢
مسلم بن عقبة المري ٥٢ م ، ٥٣ ،
٦٤ ، ٧١ ، ٢٢٨

حرف النون

ناصر الأطروسي ١٧٣
نافع بن الأزرق ٢٤٧ ، ٢٥٠ ،
٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،
٢٧٤ م ، ٢٧٥ م ، ٢٧٦ م ،
٢٧٧ م ، ٢٧٨ م
نجدة بن عامر ٢٤٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ م ، ٢٧٧
نصر بن سيار ١٠٨ ، ١٣٨ ، ٢٢٢ م
نوح (عليه السلام) ١٨٥ ، ٢٦٣

حرف الهاء

ابن هانيء ١٩٢
هانيء بن عروة ١٩٧ ، ٢٠٠ ،
هيرة بن المشرج ١٣٧
هشام بن عبد الملك ١٠٢ ، ١٣٨ ،
٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٦
هشام البهلول بن عمر الشيباني ٢٥٤
هند زوجة أبي سفيان ٣١

حرف الواو

واصل بن عطاء ٦٥ م ، ٢٨٧ م ،
٢٩٢ م
وكيع بن حسان التميمي ٧٧
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ١٩٦ م
الوليد بن عبد الملك ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ م ،
٦٩ ، ٧٣ م ، ٧٤ م ، ٧٥ م ،
٧٦ م ، ٧٧ م ، ١٠٢ ، ١١٨ ،
١٢٦ ، ١٣٧
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٩ ،
٢٢ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٧ م ،
١٧٣ ، ٢٢٢

مسلم بن عقيل ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ،
٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٥٨
مسلمة بن عبد الملك ١١٨ ، ٢٥٢ ،
٢٥٣
مسلمة بن مخلد الأنصاري ٢٢٧
مسلمة بن المهلب ٩٤
المسيح ١٥١ م ، ٢٠٨ ، ٢١٦ ،
٢١٧ ، ٢١٨
مصعب بن الزبير ٦٠ ، ٦١ ، ٦٥ م ،
٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٣١ ، ٢٥١

معاذ بن جوين ٢٩٠
معاوية بن أبي سفيان ١٧ ، ١٨ ،
١٩ ، ٢٠ ، ٢١ م ، ٢٣ م ، ٢٩ ،
٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ م ، ٣٦ م ،
٣٧ م ، ٣٨ م ، ٣٩ م ،
٤٠ م ، ٤١ م ، ٤٢ م ، ٤٤ م ،
٤٥ م ، ٤٧ م ، ٤٩ م ، ٥٠ م ،
٥٥ ، ٦٩ م ، ٨١ ، ١١٣ ،
١١٤ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
١٣٥ م ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤١ ،
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢

معاوية الثاني ٣١ ، ٥٤ م ، ٢٢٩
معاوية بن خديج ١٢١
معبد الجهني ٧٠
المعتصم ١١٨
معقل بن قيس ٢٤٩
المغيرة بن شعبة ٢١ ، ٤٢ م ، ٤٣ ،
٤٦ ، ٤٧ م ، ٢٤٩ م ، ٢٦٩
المهلب بن أبي صفرة ٦٥ ، ٦٦ ،
١٣٥ ، ١٣٨ ، ٢١٥ ، ٢٤٧ ،
٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،
٢٧٣
موسى الكاظم ١٥٩ ، ١٨٢ ،
موسى بن نصير ٧٦ ، ٧٨ ، ١٢٢ ،
١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
موسى (عليه السلام) ١٢٧
ميسون الكلبية ٤٦

حرف الياء

يحيى بن الحكم القاضي ١٦٣ م

يحيى بن زيد بن علي ١٧ ، ٢٢٠

يحيى بن سعيد ٨٩

يزيد بن أبي سفيان ٣٠ ، ٣١ م

يزيد بن أبي مسلم ٦٩

يزيد بن عاصم ٢٤٥

يزيد بن عبد الملك ١٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥

يزيد بن علي ١٧٥

يزيد بن معاوية ١٧ ، ١٨ ، ٢١ م ،

٢٢ ، ٣١ م ، ٣٨ ، ٤٦ ،

٤٨ م ، ٤٩ ، ٥٠ م ، ٥١ م ،

٥٣ م ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦١ ،

٢٢٤ م ، ٢٢٥ م ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

يزيد بن المهلب ١٣٣

يزيد بن الوليد بن عبد الملك ١٠٢ ،

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٨١ ،

يزيد بن هانيء ٢٤٢

يوسف بن عمر النعمري ١٧٣ ، ٢٢١ ،

٢٢٢ م ، ٢٨٣ ،

فهرس الأماكن

حرف الجيم

جرجان ٨٠ ، ١٣٤
الجزجانية (عاصمة مملكة خوارزم)
١٣٥
الجزيرة ١١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢
جبلان ١٣٤
حرف الحاء
الحجاز ٥٦ م ، ٦٥ م ، ٦٩ م ، ٨٤ ،
١٠٦ ، ١٩٨ م
حلب ١١٨
حلوان ٨١
حمص ١٠٤

حرف الخاء

خراسان ٦٦ ، ٨٠ ، ٩٨ ، ٩٩ ،
١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ،
١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٨٣ ، ٢١٩ ،
٢٢١

حرف الدال

دابق ١١٨
دمشق ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٥٦ ، ٥٧ ،
٦٦ ، ٧٠ م ، ١١٢ ، ١٢٣ ،
٢٠٨ ، ٢١٦
دير الجماجم ٦٧
دير سمعان ٩٢
الديبل ١٤٠
الديلم (بطبرستان) ١٧٣
حرف الزاء
رودس (جزيرة) ١١٤

حرف السين

سبته ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨
سرقسطة ١٢٩

حرف الالف

الأردن ٣١ ، ٥٥ ، ٢٢٩
أرغونة ١٢٧
أرمينية ٩٩ ، ١١٣ ، ١١٧ م ، ٢١٧
أرواد (جزيرة) ١١٤
أذربيجان ٩٩ ، ٢١٧
آسيا الصغرى ١٠٣
أشبيلية ١٢٧
الأندلس (واسبانيا) ٨٧ ، ١١٢ ،
١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
١٢٧ ، ١٨٤
اندونيسيا ١١٢
أنطاكية ١١٨
أفريقية ٨٧ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ،
١٨٤
الأهواز ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٧٨
إيران ١٣٨ ، ١٨٣

حرف الباء

البحرين ٨٤
برشلونة ١٢٧
برقة ١٢٠ ، ١٢٢
البصرة ٤٢ م ، ٤٤ م ، ٤٦ م ، ٥٦ ،
٦٦ ، ٩٤ ، ١٢١ ، ١٩٦ ،
٢٠٨ م ، ٢١٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ،
٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٤ ،
٢٧٦
بغداد ٢٤٦
بلخ ١٣٤ م ، ١٣٥ ، ٢٢٢

حرف التاء

تور ١٢٥

سمرقند ١٣٤

السند ٨٧ ، ١١٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ م ،
١٤٢ م

سوريا ٢٣ ، ١١٣ ، ٢٣٠ ،
سيلان ١٤٠

حرف الشين

الشام ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٢ ،
٥٧ م ، ٦١ ، ٦٢ ، ٨٤ ، ٩٤ ،
١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١٣٠ ،
١٩٦ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٢٩ ،
٢٣٠ ، ٢٤٨

شمالى افريقية ٢٤١ ، ٢٤٦
شومان (عاصمة مملكة صفانيان)
١٣٤

حرف الصاد

صقلية ١١٤

صور ١١٧

حرف الطاء

الطائف ٢٢٧

طبرستان ٨٠ ، ١٣٣

طخارستان ١٣٤

طرابلس ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

طليطلة ١٢٧ م

طنجة ١٢٣

حرف العين

العراق ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٣ م ، ٤٤ ،

٥١ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ،

٦٤ م ، ٦٧ م ، ٩٤ ، ٩٥ ،

٩٨ م ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٩ ،

١٤٤ م ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٩٧ ،

٢١١ م ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٤٣

مستقلان ١١٧

العقير ٩٤

عكة ١١٧

عمان ٢٤٦

عمورية ١١٨

حرف الفين

غدير خم ١٥٧

غرناطة ١٢٧

غزنة ١٣٣

الغوطة ١٠٦

حرف الفاء

فارس ٢٤ ، ٦٢ ، ١٣٦ ، ١٥٠ ،
٢٧٦

الفسطاط ١٢١

فلسطين ٥٨ ، ١١١

حرف القاف

القادسية ٢٠٠

القاهرة ٨١ ، ١٦٥

قبرص ١١٥

قرطبة ١٢٧

القسطنطينية ١١٣ ، ١١٤ م ، ١١٥

م ، ١١٨ م ، ١٢٠

قشتالة ١٢٧

قنسرين ١٢٧

قوهشان ١٢٠

القيروان ١٢١ ، ١٢٢

حرف الكاف

كابول ١٣٣

كربلاء ٤٩ ، ٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٢١

كرمان ١٣٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٧٦

كريت ١١٥

كشمير ١٢٠

المصيصة ٦٠ ، ١١٧
المقرب ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤
مكة ٢٩ م ، ٣٣ م ، ٥٣ ، ٩٥ ،
١٩٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ،
٢٢٥ م ، ٢٢٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦
الملايا ١١٢
الموصل ٢١٦ ، ٢٥٣
حرف النون
النهران ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٠٥
نيسابور ٢٢١

حرف الهاء

هراة ١٣٣

حرف الواو

واسط ٢٤٥
وادي لكه ١٢٧ ، ١٢٨

حرف الياء

اليامة ٢٤٠
اليمن ٨٤ ، ١٩٧ ، ٢٤٦
اليرموك ٣٠

الكوفة ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٦ ،
٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ١٢١ ،
١٤٨ ، ١٧٣ ، ١٨٤ ، ١٩٥ م ،
١٩٨ م ، ١٩٩ م ، ٢٠٠ ،
٢٠١ ، ٢٠٩ م ، ٢١٠ م ،
٢١٣ م ، ٢١٤ م ، ٢١٦ ،
٢١٧ م ، ٢١٨ م ، ٢١٩ م ،
٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ،
٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٩

حرف الميم

الحدينة ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ،
٥٢ ، ٥٣ ، ٥٨ م ، ٦٠ ،
٨١ ، ٨٥ ، ١٩٨ ، ٢٠١ م ،
٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ،
٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٨ ،
الدائن ١١٥ ، ٢٠٩
مرعش ١١٨
مصر ٢٤ ، ٤٠ ، ٥٨ م ، ٨٤ ، ٨١ ،
٨٧ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٧ ،
١١١ ، ١٢٢ م ، ١٢٣ ، ١٨٢ ،
١٩٧ م ، ٢٢٦ ، ٢٣٠

رقم الايداع ١٩٨٤/٢٣٥٣

مطابع سجل العرب

HISTORY and CIVILIZATION of ISLAM

**A study, in Ten Volumes,
on History of MUSLIM NATIONS
in All Muslim Ages and Lands**



دكتور أحمد شلبي

2

The Umayyad Peiod With its Religious and Revolutionary Movements

By

AHMED SHALABY,

B.A. (Hon.) Cairo University,

Ph. D. Cambridge University,

Professor of Islamic History and
Civilization

Faculty of Dar El Ulum, Cairo University

حلقى دراساته في الأزهر وفي كلية دارالعلوم
(جامعة القاهرة) وفي جامعة لندن وجامعة كامبردج.
زار الولايات المتحدة الأمريكية كما زار أكثر دول أوروبا
وآسيا وأفريقيا، ومثّل مصر في عدة مؤتمرات دولية.
درس مجموعة من اللغات الأجنبية وبجهد الانجليزية
والاندونيسية.

اشتغل بالتدريس بجامعة القاهرة حتى وصل الى درجة أستاذ
ورئيس قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، وقد
حاضر - منتديا وذاثرا ومعارا - في جامعة الأزهر،
وعين شمس، واندونيسيا، والسودان، وماليزيا، والمملكة
العربية السعودية، وليبيا، وفي معهد الدراسات الاسلامية،
ومعهد البحوث والدراسات العربية، ومعهد الدراسات
الدبلوماسية.

- مؤلفاته تزيد من خمسين كتابا ظهرت الطبعة الحادية
والعشرون من بعضها وأهم هذه المؤلفات :

- ١ - موسوعة التاريخ الاسلامي في عشرة مجلدات
- ٢ - موسوعة الحضارة الاسلامية في عشرة أجزاء.
- ٣ - مقارنة الأديان في أربعة أجزاء.
- ٤ - كيف تكتب بحثا أو رسالة.
- ٥ - المكتبة الاسلامية لكل الاعمار (١٠٠ جزء من
التسيرة والتاريخ وقصص القرآن للأولاد والشباب
والسيدات والرجال).

٦ - ISLAM: BELIEF, LEGISLATION, MORALS

٧ - HISTORY OF MUSLIM EDUCATION

كتب بعض كتبه بالانجليزية والاندونيسية، وترجم أكثر
مؤلفاته الى الأوردية، والتركية، والاندونيسية، والماليزية
والعربية، والفارسية.

Published by :

THE RENAISSANCE BOOKSHOP

9 Adly Street, Cairo.